

# قمر

واحدى عشرة ليلة



رواية  
حيدر عصام

المنشور

قمر ..

واحدى عشرة ليلة

رواية

حيدر عصام



اسم الكتاب: قمر واحد عشر ليلة  
اسم الكاتب: حيدر عصام

**Book's Name: The moon and eleven nights**

Author Name: Hayder Isam

ISBN: 078-9933-9194-3-6

الطبعة الأولى ٢٠١٦

دار سطور للنشر والتوزيع

بغداد - شارع المتنبى - مدخل جديد حسن باش

هاتف: 07700492576 - 07711002790

E-mail: bal\_\_alame@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة للدار والمؤلف، حسب قوانين الملكية الفكرية لعام 1988.  
ولا يجوز نسخ أو طباعة أو اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا  
الكتاب إلا بإذن خطي من كلا الطرفين.

Published by Dar Soutour for publishing and distribution  
Baghdad - Iraq - Al Mutanabi street - Jadeed Hassan Basha Entry  
Revised Copyrights Dar Soutour and the Author of this work has been as-  
serted in accordance with the Copyrights, Designs and Patents Act 1988

## المقدمة

من البديهي ان يكون واقعنا هو انعكاسٌ لأحلامنا، تلك الاحلام التي راودتنا منذ الصِغر، منذ ان صنعنا المُستقبل دُمية من خيوط التمني، لتترك للقدر ان يمنحها ملامح وجه نضر، او ان يمنحها ملامح وجهٍ كهل يدعي الطفولة.

حين كُنّا صِغاراً اخبرونا بأن المُستقبل مَجْهول، وان ليس بالامكان معرفة خفاياه، وحين بدأنا نتفكر في الغد ونسأل عما سنكون عليه في المُستقبل، لم يخبرنا احدٌ بأننا بحاجة الى قدمين للتكهن بالمستقبل، هاتين القدمين هما (الارادة) و(الحلم).

لم يخبرنا احد بأن ارادتنا هي الفرشاة التي سترسم مُستقبلنا وان احلامنا هي من ستلونها، علمونا الوقوف بهاتين القدمين ولم يُعلمونا السير بهما، علمونا ان نبقي واقفين وان نرفع ايدينا فقط، لنبتهل بالدعاء، لتتضرع لمعتقداتنا الدينية بأن تهبنا مُستقبلٌ جميل، علمونا ان نتضرع فحسب، لم يخبرنا احد بأن السير بهاتين القدمين يضمن لنا غداً مُشرق.

في مجتمعنا هنالك خطأ شائع يُفيد بأن (القناعة كثر لا يُفنى) وهذه عبارة لا يصدقها سوى بليد النجاح، ذلك الذي رضى بما كتبه له القدر، ظل ساكناً ينتظر كل جديد يكتبه له وهو يتغاضى حقيقةً تُقر بأن للقدر حبرٍ يكفيه لكتابة يوم ولادتنا ويوم وفاتنا وما بينهما من احداثٍ ليس لها حُسبان فقط، وفيما عدا ذلك فإنه من صنيعتنا، هو جُهدنا عندما نسير بأقدام (الارادة) و (الحلم)، هو كثرنا الحقيقي الذي يجب علينا استثماره بكل القوى.

حيدر عصام

المؤلف



"لا يجب ان نزحف .."

عندما نشعر بشيء يدفعنا الى الطيران"

هيلين كيلر

## الفصل الاول

الحياة مسرحٌ عظيم، تختار طريقة تربيتنا مع البيئة المحيطة بنا الدور الذي سنظهر به على هذا المسرح ، سنظهر مع الذين اختارهم لنا القدر ليشاركونا العيش، على هذا المسرح سنشاهد عدة ادوار تُعجبنا وأخرى قد لا تُعجبنا، يجب علينا أن نعلم ان بعض هذه الادوار لم تكن بمشيئة أصحابها، حتى وان رضوا عنها وكانوا سعداء فيها، فهي كمالمح وجوههم لم تكن لهم أدنى أرادة في اختيارها.

البعض الاخر، هم من الذين تمكنوا من اختيار بعض أدوارهم بعد ان لم يعجبهم دورهم في المنتصف الاول من أعمارهم، هؤلاء يجب ان نكن لشجاعتهم كل الاحترام لأنهم رفضوا الواقع، فمن يرفض الواقع لا ينام ليله مبكراً، هؤلاء لم يرتدوا ما اراد لهم اباؤهم ان يرتدوا، هؤلاء حققوا احلامهم وكانوا على مسرح الحياة بأدوارٍ حقيقية، يرون كل من كان كما كان ابوه (ممثلاً خاضعاً للنص المسرحي).

الحياة ليست إلا سنوات أما ان نعيشها أو نحيا بها، منذ ان نولد و الى اخر يوماً كُتب لنا العيش او الحياة فيه، أو لأخر يومٍ نحن من يُقرر فيه بأنه سيكون اليوم الاخير، ومن هذه الأيام، نقضي سنين طوال لتتعلم ماهية الحياة أو لتتعلم كيف ان نتعلم منها، ونحن نشترى الدروس منها مقابل سنين العمر.

الرابح، هو الذي استطاع ان يكون ذكياً، هو الذي دفع أقل عدد من السنين مقابل الكثير من الدروس، فتراه نجح في حياته وحقق اهدافه جميعها او معظمها، أو على اقل تقدير فإنه سيكون متمتعاً بكل يوم من حياته.

أما الاخر، فهو الأقل ذكاءً و ربحاً، تراه دفع الكثير من السنين مقابل دروس اقل، تراه يتحدث بعقلٍ يتأخر عن عمره، وقد يتسبب ذلك بمعيشة صعبة إن لم يقف الحظ بجانبه، فتجده يقف على الصبر من اجل انتظار النهاية، اما إن وقف الحظ بجانبه مصطحباً الظروف الجيدة، فإنه سيقضي حياته كمثل الساعة الجدارية، منتظم السلوك، معدوم المجازفة ولا يوجد ضمن دوران عقارب ايامه ادنى ارادة.

أما عن ما تبقى من بشر فأنهم قد يكونوا اذكياء، ولكن دخلت عليهم ظروف قاهرة سرت سنوات حياتهم على غفلة دون ان يبدوا اعتراضهم، وقتها كان ليس بأيديهم ادنى ارادة لوجود عدة ظروف يصعب حصرها في بلاد العرب، فلم يتمكنوا من استثمار سنواتهم أو مقايضتها بالدروس بدل بالأيام.

من بديهيات العمر، عند معرفتنا لشخصٍ ما "للهولة الاولى" يخاطر لنا ما قد مر عليه من ظروف، أو كيف كانت حياته، مهما كان عمر هذا الشخص،



فحتى الاطفال تنطق عيونهم عن حجم السعادة التي مرت وتَمُر بأيامهم وتفصح عن ما اذا كانت قليلة او كثيرة، وكذلك في عمر الصبا والشباب والشيخوخة.

أن فِراسة الانسان تمكنهُ من اكتشاف ذلك، فهو ليس بالهين على اي شخص، إلا لمن عاش حياته دون أن يرمش عقله عن التفكير، هو الذي يمتاز صوته بنبرة التعب، هو الذي سرقت الظروف السيئة منه سنين حياته دون ان يستغلها ضمن مراحل عمره، فتجده يعيش فترة من الزمن بأُمُنِيات الزمن الذي قبله، كأن يكون شاباً بلا طفولة، او أن يكون مُسنناً بأحلام الشباب، أو قد يكون هرمًا على فراش العَجَز وينتابه أحساس القُبلة الاولى .. هو ذلك الانسان الذي ظل حالماً باليوم الجميل حتى قضى نَحبه على ارضفة التمني.

الحب والمال والخذلان .. هي من اهم الأحداث التي تطرأ على حياتنا فتحدث تغييراً ملموساً، الحب يحدث تغييراً في افكارنا، والمال يتسبب بالتغيير في سلوكياتنا. فالأنسان عندما يجد الحُب الحقيقي يشعر بأنه في غنى عن ما حوله، وأما اذا امتلك المال، فسيشعر بأنه أمتلك ما حوله.

أما الخذلان، فإنه يتسبب بندم عميق يؤثر سلباً على جميع العلاقات المحيطة بنا، فعندما يخذلنا شخص نحبه حد التعلُّق، تنكسر جميع الاواصر التي تربطنا به وتؤثر سلباً على من حولنا، وأن لم تنكسر، فهي حتماً ستصبح هزيلة ..

أن الانكسار بعد التعلُّق صعب .. صعبٌ للغاية

صعب أن تنام عاري الروح، مغطى بالدمع

صعب أن تنام وعلى أهدابك قطرات من ندى الذكريات

سنجد حينها الصمت هو السائد في ايامنا

و انعدام الثقة حليفة أمنياتنا

وعُقم الذكريات قد أصاب احلامنا

تمنحنا الحياة عدة فرص تُعتبر كمنح، أو أنها تشبه جوائز بطاقات الحظ،  
هذه الفرص تكون خارج نظرية المقايضة ما بين سنين العمر و دروس الحياة،  
فالحياة في بعض الاحيان تكون سخية بعض الشيء، منا من استغلها فتغيرت  
حياته، ومنا من لم ينتهزها فبقي على قيد الترجي.

أن هذه الفرص لا تبرح إلا ان تتسبب بالتغيير، فكل واحد منا مهما بلغ من  
العمر وقرأ هذه الأسطر إلا وخطر بباله ما منحت له الحياة ذات يوم، حتى  
وان كانت فرصة واحدة، ولكننا نذُكرها، كل الذكرى نذُكرها، نذُكر حجم  
التغيير الذي اصاب حياتنا انذاك.

ولكن مقابل هذا السخاء يوجد لدى الحياة الظلم الوفير، فمن حق حياتنا أن  
تخطف لون شعرنا ان ارادت، أو أن تطفئ بريق اعيننا أو نضارة أجفانها، أو ان  
شاءت، ترسم بقلم الحرمان بعض التجاعيد بالقرب من اعيننا.

نولد في هذه الحياة دون ادنى ارادة ، كما ينبع الماء من ثغرات الطبيعة، هي  
(الحياة) كما يشاء ان يسميها ابناء ميسوري الحال منذ ان وضعتهم امهاتهم  
على أسرةٍ مرصعةً بالذهب، لأن اباؤهم يمتلكون زمام الفقر والغنى، لأن  
الحرمان لم يتطرق حتى لأحلامهم، لأنهم وجدوا شيء من كل شيء.

اما البعض الاخر فقد لا يرضوا ان يطلقوا تسميه (الحياة) على حياتهم لأنهم على وجه الارض ليسوا بأحياء، وانما يمارسون العيش فقط ... فثمة فرق بين أن تحيا وبين أن تعيش.

كل أنسان ولد على هذه الارض ولد بحسب ما تقتضيه ظروف ذويه، ولا مناص للحياة عن ذلك إلا بالشيء القليل، (القليل الكثير) فهو قليل على الواقع، كثير على الانسان، ذلك الانسان الذي أنتصر على محيطه بقوى حقتته الايام بمصلها ذات ليلة، حين أفترش العوز ارضه، وتوسد الارادة، وحلم بالحياة بدل العيش، حياة ابناء الذوات الذين شاهدتهم على الضفة الثانية من محل سُكناه.

قديمًا كان هناك مثل تايلندي يقول: (أذا كان اباك لصبًا فلا تطمح ان تكون قاضياً) فمن روى هذا المثل كان مُلمًا بكل أنواع الآلام التي تسببت لمن هم بعمر الورد، كان عالماً بمستقبلهم وبمحتواه قبل ان يكبروا، كان شاهداً على ضفاف الحياة الاثنتين (الرفاه والحرمان).

من بديهيات القدر ان يعرف الانسان مصيره منذ طفولته وكيف ستكون نهايته، بحسب الظروف المحيطة به والمستوى المعيشي الذي حدد نوع الطعام الذي اعتاد على تناوله، الى أن تشاء تلك الفرصة التي ستضعه في قارب النصر ليُجذب بأرادته نحو احلامه، وينتقل (إن استطاع) من العيش الى الحياة، وهذا لمن كان ميسور الحظ فحسب.

أما من وقف حظه بالجانب لظروفه السيئة لمحاربته، فهنا يجب ان لا يجعل هذه الفرصة ان تجيء من تلقاء نفسها وانما يرغمها على ذلك لأنه اراد ان

يكون، يكون الشيء الذي يفتخر به أمام المرأة حين يرى ابتسامته وهي تغمر عينيه قبل شفثيه، يرى ملامح وجهه وهي تُلوح بأشارات النصر، ولكنه حتماً سيرى نُدبة الحرمان قد ظهرت في احدى اركان وجهه، فهذه ضريبة الزمن التي لا تقبل الاستثناء، حتى لا ينسى ما مضى.

بعضنا يكبر والطفولة تعيش بداخله رغماً عنه، لأنه رأى الاطفال ذات يوم تلهو وتلعب على باحة بابه وهو لم يلعب معهم، لأنه ارتدى البسته القديمة في أيام الاعياد، لأنه كان يرى الاطفال في الاسواق تضجر من الدمى التي بأيديها وتتودد لأمهاتهم لشراء الأكبر منها، وهي بالنسبة له أمنية تستحق التمني.

من أقسى أنواع الالم ان تشتري الدمى بعد فوات الاوان، أن تشتري العاب الاطفال وانت أكبر من عمر الطفولة ومن نعومتها، سيُصاحبك هذا الألم مهما كبرت، سيرافقك الى ارذل العمر، لكنك لن تستطيع أن تخبر أحداً عنه، إلا من كان رفيق روحك، فهذا الذي يشعر بصمتك سيشعر بحجم الألم الذي تقصده وأنت تتحدث عن الحرمان، ليس بإمكانك التحدث عن الحرمان أمام من لا يعرفه، فالحرمان احياناً قد يكون خدوش احساس، وليس بالضرورة أن يكون احتياج لشيء مادي.

أنا طفلةٌ لم تهتم بعدد السنين على كعكة عيد ميلادها

أنا صبيةٌ لم تهتم بثيابها ليلة العيد المجيد

أنا بنت تجاوزت عُمر المراهقة دون أن تحب

أنا شابة لم تعرف راحة الجسد عند اللمسة الأولى

أنا امرأة لم يخطر ببالها رجل، وهي تضع أحمر الشفاه قبل خروجها.

أنا من يسود الصمت حديتها، أنا من تبتسم لأجل أن تجامل من حولها، أنا ليل ممطر مر على يتامى بلا مأوى، أنا بحر بلا موج، كُتب عليه ان يشاهد من حوله وان يسمع صوت من يجلس على شواطئه دون ان يحرك ساكناً، أنا التي اشترت الدمى بعد فوات الطفولة، انا عُمر من التعب.

أنا من يمضي يومها شبيهاً بالذي قبله، مُعطياً صورةً واضحةً لليوم الذي بعده، ويتجدد الامل عند كل مساء، بأن حالي سيتغير وانني سأحب حياتي، سأحيا بها لا لأعيشها ... والعمر يمضي ..

رغم قلة الفرح، كُنت عند غروب الشمس اهمس في داخلي عن ما اتمناه، حتى تتطفل على احلامي ذكريات يصعبُ نسيانها، أجمعها وانا اجدل شعري، ثم ارميها مع جدائي خلف ظهري لأتناساها.

في كل ليلة اذهب لفراشي دون ادنى شعور بالنُعاس، دون ان يغريني الليل ببعض النوم، اجلس على فراشي وبالقرب مني نافذةٌ تطل على الامل، تطل على الحياة، تلك الحياة التي لطالما تمنيتها.

احياناً، وانا جالسة افتح بيدي جزءً من الستارة لأرى القمر، أراه كل يوم واتابع اشكاله، أنظر كل ليلة بصمت او أكاد ان اصمت، لما في داخلي من كلام تقشعر له اوراق الشجر في شهر نيسان، لما في داخلي من غزل، أريدُ قولهُ بشفاهِ ترتعدُ حباً، إلا انني اتوسل النسيان كي تغفو اجفاني، حتى يمر الليل الذي أخشى صباحه، لأنني سأستيقظ فيه وأجد عمري قد اصبح اكبر، أنا اناام ليلى ولي من العُمر ثلاثون عاماً من التمني.

بعد ان يتعبني الصمت، أستلقي ببطء على فراشي، افتح جداول شعري على  
وسادتي وأبدأ بالكلام، ذلك الكلام الذي لا استطيع البوح به كما لا اقوى على  
كتمانته، اذكر ما اشاء من الغزل، اسقي ورود احلامي بأواني الامل كي لا تذبل،  
احلم الى حد السعادة، الى ان اراه عند الصباح.

اعتدتُ على الاستيقاظ عند الساعة صباحاً، أفتح عيني لأني سأراه، لأني  
سأكون اسعد ما على الارض من بشر، يسكن هو أمام منزلنا ...

استعد كل صباح لأن أتحمل جماله واناقتة

أفكر .. كيف سأكتفي من النظر لعينيه الرائعتين؟

كيف يُمكنني أن أقبل نظرات عينيه حين أراه ولا يراني؟

حين يرى الدنيا بأكملها، ولا يراني؟

حين يخرج من منزله، اقف لأتمنى له ان يستنشق هواءً خرج للتو من اوراق  
الشجر، هواءً لم يستنشقه احداً قبله.

احبه ... لا احب على الارض سواه.

هو من اختصر امنياتي بأمنية اللقاء معه، على طاولة مُنعزلة، على ضيفة نهر،  
ذات غطاء ابيض، عليها فنجائين من القهوة.

هو الحب الذي ولد ولا زال تحت العناية المركزة، لكونه من دون لقاء.

هو الذي يخرج من منزله ليستغني الصباح عن الشمس، أشعة جمال وجناته  
تكفي للأشجار بأن تثمر.

هي النافذة التي اسهر امامها، اظل بالقرب منها لأجله، ارى فيها الحُسن  
تارتين، تارة عند المساء وانا اتمعن القمر قبل النوم لأنه يُذكرني به، وتارة

اخرى عندما اراه وهو يعلن بدأ يوماً جميلاً في أيامي، يومي خلافاً لأيام بقية البشر الذين يبدأ حساب ايامهم مع شروق الشمس، انا يومي الجديد يبدأ مع اشراقته هو..

هو الذي لا بديل عنه..

لا شبيه له..

ولا حبيب سواه..

كل صباح، يخرج (احمد) من منزله ذاهباً لعمله، يخرجُ بقامته الطويلة وبشرته حنطية اللون، وشعره الاسود قليل الكثافة، يقف عند شرفة منزله لعدة ثواني، تتعلم من خلالها الاناقة من اناقته درساً في الاناقة، يقف ليعلن شروق الشمس في يومٍ جديد في تاريخ ايامي سأحبه به اكثر من اليوم الذي قبله.

ينظر (احمد) الى السماء لبرهة ومن ثم يخرج علبة سجائره من جيبه، يشعل سيجارة تشبه روجي وهي تحترق شوقاً لوسامته، يسير بعدها خطوات الى نهاية الشارع، يسير وكأن خطواته اصابع عازف ماهر، يعزف لحناً هادئاً على مسرح ذو مدرجات عالية.

تبقى في اجفان عيني اثار وسامته وانا اغمضها، بعد ان منعته من ان ترمش طيلة الثواني التي اراه فيها .. هو (رفيق روجي)

بعد أن يكتمل هذا المشهد الساحر، اغلق نافذتي واقف امام مرآتي، اجمع شعري على كتفي الايمن، أقف أمام نفسي، في الوقت الذي اخاف فيه كما تخاف كل امرأة ثلاثينية عذراء من التقرب الى المرأة، تخاف من ان تتمعن ملامح وجهها وترها اكبر من الأمس، تخاف من الشيب فلا تقترب من المرأة

أكثر، تخاف من تجاعيد الماضي حول عينيها، تستمر بالخوف وتتقرب،  
تتقرب لتطمئن على جمالها من خدوش القهر.

انظر الى نفسي جيداً ثم ابتسم، ابتسم لنفسي لأنها تستحقُ مني الكثير،  
تستحق الكثير منذُ أن خسرت ابي وانا في السادسة من العمر بسبب مرضٍ في  
القلب، تستحق مني الكثير لأنني عشت طفولة أكتفت برؤية الالعاب دون  
لمسها، حين كنت أعيش في ذلك المنزل الصغير مع امي، امي التي احبها جداً،  
ليس لي غنى عنها ابداً، نعيش وحيدتين بعد ان رحل ابي.

في بلادنا يصعب العيش لمن هم محدودي الدخل، هذا الدخل المحدود هو  
الذي تسبب بأن لا يجري ابي عملية جراحية لصمام قلبه الضعيف كانت هذه  
العملية اغلى من احلامنا الذي اراد ان يُحققها، كان دائم القول: (عائلي اغلى  
من صحتي)، استمر على هذا المبدأ حتى ضاعت سعادتنا واحلامه.

ظل ابي لأشهر شاحب اللون، كثير الشجار مع امي بسبب امتناعه عن العلاج  
بحسب ما كانت تقص لي من احداث، نصحهُ طبيبه المُعالج وقتها بأن  
العلاج لم يعد كافياً ويجب عليه ان يجري عملية جراحية إلا انه رفض بسبب  
تكاليفها، ولو كان غنياً لكان طويل العمر.

توفي ابي، سرت في جنازته مع امي، كانت تمسك بيدي وتجري معي بخطوات  
متسارعة، نتبع نعش ابي، كانت تُريدني ان اسير بسرعة وانا حينها اردت السير  
ببطء، كنت لا اريد للعمر ان يمضي، كنت لا اريد لأبي ان يتركنا.

كل من حولي لم يقولوا لي صراحةً ان ابي قد مات، قالوا انه سافر وسيأتي،  
ولم يخبروني متى سيعود؟ ولماذا رحل ؟



كبرتُ ووجدت جواباً واحداً يكفي كل هذه التساؤلات .. مات لأنه كان فقيراً.  
كانت ايامنا بعد رحيل ابي تسير ببطء، كسير الافعى الى فريستها، نسكن انا  
وامي في منزلٍ صغير، بعد عودتنا من جنازة ابي، ظلت تفكر ابي فيما ستفعله  
لكسب القوت للعمر المتبقي، كانت ايامنا ساكنة تتخللها زيارات بعض  
الاقارب لأغراض المجاملة، كنتُ اسمع قولهم لأبي بين تارةً واخرى عبارة (ان  
احتجتم لشيء فنحن بالقرب منكم)، بدأت هذه العبارة تقل شيئاً فشيئاً،  
شهرأ بعد شهر، حتى اقتصرنا على المناسبات و الاعياد.

بعد وفاة أبي، امتهنت ابي مهنة الخياطة، فهي لا تمتلك أي تحصيل دراسي،  
صمدت امام كل الصعاب حتى كبرتُ وحصلتُ على شهادة البكالوريوس في  
العلوم السياسية، هذا التخصص الذي كنت لا اطيق السماع به، إلا ان وصية  
ابي حالت دون ذلك.

اوصى ابي ذات ليلة بأن أدخل كلية العلوم السياسية، هذا التخصص الذي  
اخبه كثيراً، حين كنت في الدراسة الثانوية، كنتُ افكر في عدم الدخول لهذه  
الكلية، ولا ابرح إلا ان اجد حنيني لأبي يرغمني على اسعاده في قبره.

حين أنهيت دراستي الجامعية بحثت كثيراً عن وظيفة، تعبتُ ولم اجد، لأنني  
من بلاد العرب، في هذه البلاد حين يكون الاباء يكونوا اولادهم، وأن انعدم  
الاباء أنعدم من كان من ذريته، صالحاً كان ام لا، يتعلق الامر بالانتماء الديني  
والاجتماعي وعدد الاقارب بالحزب الحاكم.

سرتُ في كل طرقات مدينتي بحثاً عن وظيفة، لم اقدر سوى على لعن بلادنا  
بالطريقة التي كتب فيها (احمد مطر) قصائده.

لا زلتُ اقف أمام مرآتي، اكرر تذوق مرارة هذا العناء، اتحسر على شعري الذي قصصته بعد تخرجي من الجامعة، قصصته بسبب فترة عِشْتُهَا نظراً لدموع امي، اتذكرُ ذلك اليوم جيداً، حين رأيتها وهي وافقة تدعو الرب من اجل ان يساعدنا على تحمل صعوبة العيش، وان يمنحنا الصبر، رأيت امي حينها وعزمت على مساعدتها.

كنتُ قد رأيت اعلاناً يطلبون فيه نادلاً في احدى المطاعم الفخمة في مدينتنا التي تشتهر بالسياحة لعدة مواسم في السنة، ولكن كانت هُنالك مشكلة، المشكلة هي ان توافق امي لكي أعمل، كنت حينها في المرحلة الثانوية. جلستُ ذات مساء معها على طاولة العشاء، طلبتُ منها ان اعمل، رفضت رفضاً شديداً حتى تلعثمت بالكلام وهي تجيب عن سؤالي حول ثوبها الذي تغير لونه ولم تشتري غيره، وعن ظهرها المُنحني وكيف سيعود الى شكله الطبيعي.

كان هذا الكلام مؤلماً للغاية، جعلني وانا في عمر الصبا اشعر بالشيخوخة ايقنت وقتها بأن الشيخوخة هي ليست التقدم في العمر، بل هي ان تعجز عن فعل ما تريد، ان تريد ما لا تقدر عليه، ولهذا كل كبار السن يدعون الشيخوخة وهي في الاصل لا تشرط على المسنين فحسب.

شاءت هذه الفرصة ان تُعرفني بصديق العمر الذي اهداه لي القدر على هيئة اخ، هو صاحب المطعم الذي ذهبت إليه، بعد ان قضيت أياماً لأقنع أمي، كان الخوف يراودها حول دراستي، جُل ما يهْمُها هو ان تجني ثمار تعبها عن

كل هذه السنين العجاف، ذهبت انا وصديقتي (سارة) و وجدنا الاعلان قد  
ازيل من باب المطعم!!

جلسنا على احدى الطاولات، غمرت الدموع عينيّ لأنني أضعتُ اياماً في اقتناع  
امي وترغيبها بالعمل، جاء النادل فسألتهُ (سارة) عن صاحب المطعم،  
استغربتُ من تصرفها !!

قال النادل: نعم موجود، انه هناك ... (اشار بيده الى احدى زوايا المطعم).  
قالت سارة: دعينا نذهب إليه.

قلتُ لها: لما نذهب؟ من المؤكد ان العمل لم يُعد شاغراً.  
قالت: دعينا نسأله فقط.

شعرتُ حينها بأن (سارة) قامت بهذا التصرف اكراماً لخيبي، حين راودني ألم  
الحرمان وعناء ابي مع كل خطوة اسير بها.

ذهبنا الى زاوية المطعم وإذا بشخصٍ جالس لوحده على طاولة، كان يُطالع  
كتاباً صغيراً بيده، قال لنا النادل بأن اسمه (زيد)، لاحظتهُ شخصاً هادئاً لا  
يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر، القينا عليه التحية، فسمح لنا  
بالجلوس، وبعد ان رَحِب بنا بدأتُ (سارة) بالكلام ....

قالت: سيد (زيد)، جئنا الى هُنا من اجل اعلانكم، كنتم بحاجة الى نادل.  
قال زيد: نعم، أهلاً وسهلاً، ولكن جاء شخصاً ما يوم أمس وحصلَ على  
العمل.

قُلْتُ بنبرة صوت ممزوجة بنية البكاء: شكراً لك، هيا بنا يا (سارة)، دعينا  
نذهب.

وانا أقف، مسك السيد (زياد) يدي من معصمها...

قال: لم تبكين؟ هل استطيع تقديم لك المساعدة؟

سحبت يدي منه...

قلت بنبرة غاضبة: شكراً، جئت لأطلب العمل و ليس لأطلب المساعدة.

قالت سارة: اجلسي قليلاً، اهدئي وبعدها سنذهب.

جلستُ، وانا أخرج المنديل من حقيبتي لأمسح دموعي شاهدتُ (زياد) وهو

يجلب لنا كأسين من عصير الليمون، شعرتُ حينها بأنه انسان رائع و ذو ذوق

واخلاقٍ رفيعة.

قال: اين كنتِ تعملين سابقاً؟

أجابته (سارة) وهي تنظر لي: لا تعمل، لا زالت طالبة في المرحلة الثانوية.

قال زياد: هذه اول مرة تقدمين فيها لعمل؟

قلت له: نعم، يا سيدي أن سبب غضبي هو أن امي لم توافق على العمل،

قضيت عدة ايام لأقنعها بذلك، نفذ الوقت مني دون ارادتي والان قد ضاعت

الفرصة.

قال: كلا توجد فرصة اخرى.

قلتُ مُتلهفةً: حقاً!! هل انتم بحاجة الى نادلاً اخر؟

قال زياد: كلا، نحن بحاجة الى عامل لغسل الصحون في المطبخ وليس في

خدمة الزبائن ولكن بنفس اجر النادل.

قلت له: كلا، لا اريد هذا اعمل.

سحبتُ (سارة) من يدها بقوة مرة اخرى، و بتعابير وجه يصطنع الرضا...

قلت (الزباد): شكراً لحسن ضيافتك، طاب يومك.

خرجت من المطعم بخطوات متسارعة وانا اسحب (سارة) من معصمها...

قالت (سارة): لَمَا رفضت؟

وقفتُ والتفتُ إليها، قلتُ: لسببين: الاول ان امي من المستحيل أن توافق على هذا العمل، والثاني اني أرغمت كرامتي على العمل كنادلة، ولا اظنها سترضى بالعمل بأعمال النظافة.

عدتُ غاضبةً الى البيت، وجدتُ امي تجلس على ماكينة الخياطة، سألتني عن ما حدث ...

قلتُ لها: لم احصل على عمل.

قالت: شكراً للرب!!!

وانا واقفة امامها انطبقت شفاهي على بعضها غضباً، قبضتُ بكف يدي اليمنى حقيبتى الصغيرة من شدة الغضب، تمنيتُ لو انها تعلم ان دموعها هي سبب بحثي عن العمل.

بعد ايام قليلة، شعرتُ أمي بألم حاد في رَقَبَتِها من كثر الاجهاد، منعها الطبيب من العمل على ماكينة الخياطة فأمتنعت لفترة.

ازدادت حالتها سوءاً، الى درجة انها لم تستطع الذهاب الى المعمل الذي كانت تعمل به صباحاً، كانت تعمل بأجرٍ ثابت في معمل لخياطة الالبسة صباحاً، وعند المساء تعمل لحسابها الخاص.

هذا الاجهاد الكبير جعلها ترقد في الفراش لأسابيع عدة. اشتدت صعوبة الامر خلال هذه الايام، أقنعتها بأن ابحث عن عمل لتكتفي هي بالعمل على ماكينة

الخيطة في البيت فقط، املاً بأن يقل التعب ويكف الدمع عن وجناتها التي أذبلتها تكاليف معيشتنا.

ذهبت بمفردي الى السيد (زياد) صاحب المطعم، لم اجده، أجبرني العوز على انتظاره، وقفتُ لساعتين عند باب المطعم حتى اتي، صافحي مبتسماً، ربح بي رغم سلبية تصرفاتي في اول مرة التقينا فيها، وخلال خطواتنا القليلة لدخول المكان لاحظت من عينيه انه قد قدر موقعي، جلسنا على احدى الطاولات ...

قلت له: سيد (زياد)، اني بحاجة الى العمل الذي تحدثت عنه مسبقاً.  
قال: هذا واضح، ولكني في المرة السابقة استغربتُ رفضك! هل العمل بالتنظيف لا يعجبك؟ من المؤكد أنه لا يليق بك، ولكن ما السبب؟  
قلت: اعتقد أنه لا يليق بي، ولكنه يليق بظرفي الحالي.

قال لي: ما أسمك؟

قلت: (قمر).

قال: ولهذا كُنْتُ مُتأكد ان العمل غير لائق بك، انت جميلةٌ ومن محاسن الصُدف ان اسمك له نصيب من جمالك، أنت قمرٌ بالفعل.  
كان كلامه رقيق لدرجة الاحترام، كانت طريقة كلامه تنم عن ثقافته، ايقنت بأنه انسانٌ نقي.

قال: ساعات العمل من الخامسة الى العاشرة ليلاً، سيزداد الاجر بعد شهر من المباشرة بالعمل.

قلت له: اتفقنا.

رجعتُ الى غرفتي في ذلك المساء وانا احلم بأحمر الشفاه الذي تمنيت اقتناءه، كنتُ احلم بأن اضع منه سراً دون ان تراني امي، حلمتُ بأني اخبأه بين كتيبي، كنت احلم بكل شيء تتمناه كل بنت من اقران عمري.

استمر الحال جيداً، استطعتُ ان اساعد امي بالقليل من تكاليف العيش، بعدها عادت لأمي صحتها الجيدة مع قلة الاجهاد الذي تراكم عليها طيلة السنين الماضية، اصبح (زياد) صديقي المُقرب، كان يسأل عني كل يوم، اهدى لي يوم نلتُ شهادتي الثانوية (هاتف محمول) اسعدني جداً، كانت هديةً جميلة وانا مُقبلةً على دخول الجامعة، شعورٌ جعل ملامح وجهي بأكملها تبتسم.

استمررت بهذا العمل الى يوم تخرجي من الجامعة، الى ان أكملت دراستي الجامعية في كلية العلوم السياسية، دفعت ثمن حصولي على الشهادة الجامعية صعوبة ايجاد عمل بهذا الاختصاص، قضيتُ اسابيع عديدة وانا ابحث عن عمل، الى ان وجدت عملاً في صحيفة محلية في مدينتنا ليست ذا شهرة كبيرة، في الوقت الذي تألمت فيه كثيراً لكوني ابتعدت عن صديقي (زياد)، وعدته بأن الصداقة الجميلة التي ألفت بيننا لن تعرف الفراق، وها قد مرت سنوات ووفيت بوعدتي، وانا الى الان اهتم بالسؤال عنه هاتفياً، وفي اغلب عُطل نهاية الاسبوع اذهب لرؤيته.

بعد سنتين من توظيفي استطعنا انا وامي ان ننتقل الى منزلٍ جديد، كان جميل بسبب من يسكن امام شُرْفَةِ غرفتي، بعد انتقالنا حصلت على موافقة من

جامعتي لألقاء المحاضرات في كلية العلوم السياسية لكوني كنتُ الأولى على دُفعتي في التخرج.

أخطأ من قال ان السعادة غير مرتبطةً بالمال، للمال عصا سحريةً تتحكم بالسعادة، صحيح ان ليس كل انواع السعادة تشتري بالمال، ولكن اغلبها تتملق له، وعلى اقل تقدير أن لم يستطع المال ان يشتري لنا ما نرجو من السعادة، فإنه قادراً على ان يجعلنا ان نعيش تعاستنا دون قلق.

شعرتُ بالانتصار بعد أن رأيتُ أمي من دون عمل، الانتصار على الظروف التي مرت بنا، شعرت بالفخر أمام نفسي التي تستحق مني الكثير فالظروف القاسية التي مررتُ بها كانت تشبه غابة شائكة الادغال، خرجتُ منها بصعوبة ممزقة الثوب والجلد.

بسبب هذه الظروف حَسرتُ جدائل شعري، قصصُتها بعد ان كانت طويلةً، خشيةً من ان يراني احداً في وظيفتي وهو يعلم بعلمي السابق في تنظيف الصحون، رغم اني، ومن محاسن الظلم، لم يكن عملي امام اعين الناس، إلا ان الخوف الممزوج بعزة النفس ادى الى ذلك، غيرت لونه، اختلف شكلي بعض الشيء عن ما فات من ألم، عن ما فات من ايام لا اريد أن أتذكرها.

يعصف كل هذا بخاطري وأنا أمام مرآتي، مرآتي التي أنظر فيها بعد أن ارأه خارجاً الى عمله، اخاف التقرب منها كي لا أرى وجهي قد ازداد عمراً، اخاف ان يذهب جمالي قبل أن التقى به على ضفة نهر، على طاولة عليها غطاء ابيض و فنجانين من القهوة.



احلام اليقظة، ما هي إلا فرصة للعيش في غير الزمان والمكان الذي نكون فيه،  
ريثما تسمح لنا فُرصة ما بالتحدثُ دون خجل، او للمس دون خوف، أو  
لتمعن شيء حُرِمنا من التقرب منه.

أما عن احلامنا الطبيعية عند النوم، فما هي إلا انعكاس لما نراه في يومنا،  
وليس لها اي صلة بمستقبلنا، كما أثبتته عالم النفس الالمانى (سيغموند  
فرويد) في كتابه (تفسير الأحلام)، بعد ان قدم دلائل عدة تُثبت ان ليس من  
الممكن لأحلامنا التنبؤ بالمستقبل، ولكنه لم يتطرق لأحلامنا جميلة، تلك  
الاحلام التي تجعلنا سُعداءً من وهم، لنستيقظ من شدة الفرح، لتلك الاحلام  
التي لم تجيء بمفردها، تلك التي جاءت بعد الالاح في التمني.

الفرق واضح بين احلام اليقظة واحلامنا الطبيعية، فهي عند الاول نختار ما  
نحلم به ونغمره بالأحساس الذي نريده، أما عند الثاني فإنه يأتي الينا عنوةً،  
كيفما كان يأتي، ليسعدنا، ليُخيفنا، سيأتي عنوةً حتى لو تعودنا بالفرح من  
الخوف.

من السهل أن تحلم، ولكنك من الصعب أن تستيقظ من احلامك بعد  
الادمان عليها، لأنك وببساطة ستجده حلم، بعدما تغاضيت عن كونه حلم،  
أو بالأحرى، هو واقع لم يكن واقع، اردناه ولم يكن، واقع لا يمكن رؤيته، كان  
حلماً فحسب، غالب البشر و في كل سنين حياتهم يلتجؤون الى الحلم، لأنه اراد  
شيئاً لم يحدث له، أو من الصعب ان يحدث له، أو قد فات الاوان لحدوثه.

للأحلام سحر يبعثُ السعادة، ولكن كثرة تكرارها يزيدنا اصراراً على تحقيقها،  
هذا أن كانت قابلة للتحقق، أما عن الأمنية المستحيلة، فمن الأفضل ان

تكف عن الحلم بها، وان تبقيها على رفوف الذكريات حيث أن تكنفي بالنظر إليها، لأنك لم ولن تمتلكها ذات يوم.

كانت اياي متشابهة، لا يطرأ عليها اي تغيير سوى فرق الارقام في اوراق التقويم، كنت اذهب الى العمل صباحاً دون أن أهتم بأنني سألفت انتباه رجلاً ام لا، لمظهري او لأناقتي، كنت عبثاً أختار الالوان التي أضعها لتجميل عيني، كنت لا ابالي أن وضعت أحمر الشفاه أم لم أضعه.

لا زلت مواضبةً على رؤيته كل صباح، وسامته كانت تزداد دقيقةً تلو الاخرى، هو الوحيد الذي يهشم كل ضجرٍ في داخلي كلما اخذ مكان الشمس ليشرق كل صباح، لا تشرق الشمس معه، هو من الشمس أحلى، وفائي لأعجابي به اصبح حقيقياً، لا أعلم ما السبب، انا لم اتكلم معه حتى!!

نظرة العين، هي أول ما يثير أنتباه كل فتاة، لأن لها تأثيرٌ ساحر على النطق ببعض الكلمات، وكم (الكلمات الاولى) مهمة في كل حب، تُقدم لك من تهواه بصورة مبسطة، لتقف على بُعد خطوة واحدة عنه لتقرر، تحب او لا تحب، فأن خدعتك العين بسحرها، فالكلمات الاولى لا يمكن لها خداعك.

تعشق المرأة في الرجل عدة سمات، اهمها الوسامة، وقوة الشخصية والانطباع، تكون هذه المميزات عبارة عن سلسلة تتأمل كل امرأة متوهمةً بأنه لا يمكن الاستغناء عن احداها.

احياناً، تستعد بعض الفتيات للاستغناء عن احدى هذه الميزات أو تتحمل وجودها بالشكل السيء مُقابل الارتباط بمن احبت، لأنها عَشقت رجلاً لا

تريده أن يتوقف عن الكلام لو التقيا، لأنها لو سُئِلت عنه (لما هو بالتحديد؟) صمتت.

هنا يكْمُن الحُب، لأننا ان استمرينا بالبحث عن هذه السلسلة متكاملةً، فمن النادر أن نجدها، أو أن صح التعبير، اذا كانت متكاملة فقد لا تكون بجمال اختيائنا، لأن للقلب لساناً يَصعب على العقل اسكاته.

كنتُ قد نوهت (لسارة) بأن هنالك شخصاً يُعجبني، وانني قد رأيتُهُ صدفةً عند خروجي من المنزل، لم اخبرها بأني استيقظ بوافرٍ من الفرح لأنني سأراه وأتأمل مظهره عند كل صباح، لم اقل لها أنني اتمنى تتبع خطواته أكراماً لعطر أنفاسه.

جلسنا ذات مرة مع اصدقاء لنا، طلبت من (سارة) همساً أن تبقى بعد مغادرتهم كي نتكلم على انفراد قليلاً.

وبعدما رحل الجميع ....

قلت لها: وما العمل إذا؟

قالت: عن ماذا تتكلمين؟

تنهدتُ، قلت: عن رائحة المطر في طرق التمني التي بداخلي.

شعرت (سارة) حينها وانا اقول هذه العبارة مع تنهيدة التعب، عن ما في داخلي، لكنها لم تعرف ما كنت اعنيه.

بدأ أعجابي به يدفعني لحبه، انا لا أوْمن في حُب المظهر والشكل، لطالما رأيتُ كثيراً من الرجال في عمري الذي مضى، ولكن لم يخفق قلبي لأحدهم، لم

اصادف رجلاً شخصيته أجمل من وجهه ومظهره، كل الذين رأيتهم كانوا عكس ذلك.

قالت سارة: ما بك؟

قُلت لها: عيناه.

قالت: تتكلمين عن ذلك الشاب الذي تصادفيه في شارعكم، أليس كذلك؟ قلت: نعم.

قالت بتعجب: قمر، منذ أيام الصبا وأنا اعرفك، لم اشاهدك تتكلمين عن رجل بهذا الكم الهائل من التعب، هل تُحبينه؟ تلعثت بالكلام، قلت: كلا، لم يتطور الامر الى هذه الدرجة، أنا معجبة به فحسب.

ضحكت بصوت عالٍ، قالت: الحمد لله، تأكدتُ الان من أن قلبك فيزيائياً قابلٌ للحب، وليس عازلاً له.

قلت: ولما تقولين هكذا!!

قالت: أتذكرين كم حدثتني عن ذلك الشاب الذي كان يحبك ايام دراستك الجامعية؟ هل تذكرين كيف رفضته؟ أنت تريدين الحب كما في الافلام السينمائية.

قلت: مراراً قلت لك بأن الحب في عمر المراهقة مُجوف المشاعر ولا يخرج عن حيز الاعجاب والتسلية، لأن الكبت الذي يواجهه الطلبة، وتحديداً العرب، منذ نشوئهم ولغاية دخولهم للجامعة يدفعهم لفعل اي شيء متى ما انزاح هذا الكبت، هم حائرون في تحديد نوع العلاقة التي تربط بينهم، هل هي

علاقة حب؟ أم صداقة؟ وبالأخص الفتيات، لأن فرصة الحب للشباب قبل دخوله الجامعة تكون اكبر، وقد يستطيع التمييز بين انواع العلاقة التي ذكرتها، أغلب الفتيات يَكُنَّ في حيرةٍ في امرهن، احدهن لا ترتبط بعلاقة إلا من كانت لا تخشى لعنة المجتمع ولا تخاف سخط الابوين، منذُ دراستي في الجامعة وانا الاحظ هذا الشيء وبعد أن اصبحْتُ اعمل فيها تأكدت منه. رفعت سارة حاجبها الايسر، وقالت: لو كان كلامك صحيحاً، فلما رأينا حب و زواج في الجامعة ؟ كل ما في الامر أنك صعبة المزاج ومغرورةً بعض الشيء بجمالك ولون عينيك.

قلت: اولاً شكراً للرب لأن شعري استعاد طولهُ ولونه، وثانياً هذا النوع من الحب موجود بالفعل، ولكنه يستمر الى الزواج فقط، بعد الزواج ستضمحل كل المشاعر التي كانت تتنابهم، سيستمرون نتيجةً لثقل الالتزامات التي على عاتقهم وتحسباً لما سيقوله المجتمع، اراهنك في ان تعطيني مثلاً للحب الدائم لأشخاص نعرفهم، غير اولئك الذين يتصنعون الحب قبل النوم على السرير المشترك، اريد زواجاً يتخلل الحب صباحهُ ومساوهُ، الحب الذي يزداد عمره تزامناً مع أعمارنا، اريد ان ابقى على قيد جمال النظرة الاولى، اريد رجلاً ينظر الي بتلك الطريقة التي نظر لي بها اول مرة.

قالت: ألم اقل لك أنك تريدين حباً كما في الروايات والأفلام.

قلت: انا اريدُ البوح عن ما في داخلي فحسب، اريد أن اتحدث معه قبل ان أصاب بعشقه، مظهره اعطى لي الامل بأن في داخله انسان رائع، هو ليس كسائر البشر، اشعر ان لديه ما يميزهُ أو أن لديه موهبة ما.

قالت: وماذا تنتظرين ؟

قلت: أستجدي من القدر صدفة تجمعني به.

بعد الصمتُ لثوانٍ، تأملتُ في خاطري شكل هذا اللقاء...

قلت لها: دعينا نعود الى البيت، تأخر الوقت.

رجعت الى غرفتي، جلست أمام نافذتي أعدكم يلزم من الوقت كي اراه، ليلي طويل جداً، عقاربُ ساعتِي ثَملة لا تقوى على الدوران، النوم لا يلمس أجفاني إلا بعد أن ارشيه ببعض التعب الجسدي أو بعقاير الصداع.

تُلبّي احلام يقظتي كل ما اتمناه، وكل ما أتمناه أن أثير انتباهه للحظة واحدة، اريد ان ارى عينيه عن قرب، اريد أن اعرفه عن كُتب، لكنني اخاف بعض الشيء من هذه الامنية، أخاف ان يكون ليس كما توقعته، أنا قرأت في ملامحه انه ذو شخصية قوية ولديه ما يميزه عن سائر الناس، لطالما تمنيت ان اتأكد من ذلك.

استيقظتُ في صباح اليوم التالي وأنا كالعادة أفتح عيني على الساعة الجدارية المُعلقة على الجدار الذي امامي لأجدها في ذات الوقت الذي استيقظ فيه، أبتسمُ لأنني سأراه، نهضتُ من فراشي ووقفت أمام نافذتي لأفتح ستائرُها قليلاً وأنظر الى الساعة بين الدقيقة والآخرى لأطمئن بأنني لست متأخرة عن مواعيدي معه، مواعيدي معه الذي صُنع من الورق.

ذهبت الى الجامعة مع بعض الضجر الذي ينتابني بسبب (صالح)، شاب في الثلاثينيات من العمر، رأسه غزير الشعر وله ذقن، نحيفٌ وله قامةٍ طويلة،

غير مهتم البتة بمظهره ولا بكلامه، يدعي انه اسلامي مُتدين، له تجربة فاشلة في الزواج مسبقاً.

هو احد زملائي في الوظيفة، يتكلم معي بين الحين والآخر ببعض الكلام اللطيف، وانا لا اطيع التحدث معه اطلاقاً، لأنني لا أتكلم في اوقات العمل بكلام خارج حدود الوظيفة، سمعتُ منه العديد من التلميحات الصريحة بالأعجاب، ولكنه كان يمزجها بموضوع اخر دائماً فلا استطيع رده، لأضع حداً لكلماته الشنيعة، كنت دائماً اتصنع السداجة امامه.

كنتُ في كُل صباح، اتمنى لو يفصح لي صراحةً عن أعجابه المُزعم، كي ارد عليه بالفرض ليكيف عن التملق، كم تكره الفتاة الرجل المتملق الذي لا كيان له، كنت اشعر بالضجر كلما اراه وهو يقول لي خصيصاً وبالقرب من مكنتي (صباح الخير) مع ابتسامة تجعلني اراها على عجل، لأشغل نفسي بأي شيء امامي، حتى لا يتكلم معي بعد أن يلقي التحية.

يمضي يومي بسرعة بسبب انشغالي باللقاء المحاضرات وينتهي الدوام على عجل حتى أعود الى المنزل لأتناول الغداء مع امي وأبني متطلباتها ومن ثم اخرج من بعد الظهيرة الى عملي في الجريدة، حتى غروب الشمس واعدود الى غرفتي، الى سكوني وصمتي، وان التقيت (بسارة) فأن اليوم يكون ذا ملل أقل. منذ سنتين و(سارة) متزوجة من احد اقاربها، كان زواجها تقليدياً اثرراً للعادات والتقاليد، إلا أنها كانت قد فكرت ملياً بهذا الموضوع وقت خطوبتها ومن ثم وافقت على اختيار شريك حياتها.

(سارة) من نوع النساء التي تحب بعقلها وهي احدى الانواع الثلاث للنساء، في الحب هنالك ثلاث أنواع من النساء:

النوع الاول: هي التي تحب بعقلها، وهو النوع الغالب، تحب المرأة هنا من كان مؤهلاً لزواج مادياً، توافق على من يتقدم لخطبتها شريطة ان يكون وضعه المادي جيد مع عدم وجود اي شائبة تشوب سمعته ونسبه، وغالباً ما تزوج هذه الفتاة زواجاً تقليدياً، ومحور الاسباب هنا هو رؤيتها لمن حولها سعيداً لأنه كان غنياً و مواظباً على الذهاب لرحلة بحرية كل صيف، او امنيتها بأمتلاك الكثير من الملابس والمصوغات الذهبية تجنباً من عاصفة الفقر التي قد تضرب مستقبلها فتختار الابحار بقارب الأمان بدلاً من قارب الحب، لكنها سرعان ما تُقرر قبل كل شيء بأنها لن تعترف بوجود الحب أو انها اعترفت بوجوده ولكنها نعتته بأنه (أثار المراهقة) حتى تتمكن من تقبيل شفاه من اختارت، وأنها ليست بحاجة للحب كي تُقبل شفاهه قبيل النوم، من اجمل مفاهيم هذه المرأة هي قناعتها الجريئة بأن الحب في مفهومها لا يَطعم من لا طعام له، يضاف الى هذا النوع من ارغمت على أن تكون من هذا النوع وهي ليست منه لأن عمرها أوشك على اليأس، ولا شك في أن سن اليأس يسلب من المرأة حق الاختيار، لئلا تُنعت بالعانس، كما يضاف إليهن النساء اللواتي تربين في بيئة قبلية، تلك النساء اللواتي سُلبن حق الاختيار بالفطرة.

النوع الثاني: هي التي تعشق بروحها، هي التي تود الارتباط بمن يأسر روحها (بالعشق) فقط، والسبب الالهم لأنها عشقت، عشقت وجهه أو كلامه أو



انطباعه، بعد انبادلها الحب بالحب، يكون سبب الارتباط هنا هو هيام روحها وامتناع العقل عن التدخل بهذا القرار، تختار حبيبها مهما كانت الظروف المحيطة بها، و لا تنتمي لهذا النوع إلا من كانت قد اعترفت بأن الحب أصل الزواج، وأنها لا تستطيع ان تُعانق رجلاً لا تعشق تنفس أنفاسه.

أما النوع الثالث: هي التي تعشق بجسدها وهذا النوع نادراً جداً، لا يسمح للمرأة هنا بالافصاح عنه أو أتباعه بالعلن، في بلاد العرب لا يسمح للمرأة أن تختار وفقاً لغريزتها، تكون المرأة هنا مُلْكُ لمن أسر جسدها، مُلْكُ لمن عبث بأزرار قميصها لأول مرة، تعشقهُ مهما كان أسمه او رسمه، السبب في التزامها هنا هو حب اللمسة الاولى، أو ليس بالضرورة أن تكون الاولى ولكن الالهة أن تكون الاولى بالاحساس المُفعم بالنشوة، أو أن صح التعبير، عند تلك اللمسة التي تسببت برعشة اجفان العين فجأة، لمسةٌ التي أعطت اثاراً داخل الروح، خدوشٍ لا تشعر بها إلا في الدقائق التي تسبق نومها، هنا تكون المرأة مسلوبة الارادة، ولا يمكن لها أن تختار إلا وفق ما تهوى أحاسيسها، هنا نجد اكثر نساء العرب بالسر، البنت التي تكون بالجهر من النوع الاول وبالسر تكون من النوع الثالث، لأنها لا تستطيع أن تفصح لزوجها (التقليدي) حين يحتضنها في غرفة النوم العتمة .. أنها تتأمل وجهاً ليس وجهه.

التقيتُ بصديقتي (سارة)، كنت قد طلبتُ رؤيتها لأنني اتخذتُ قراراً ووددت مُناقشتها به، قررت ترك العمل في الصحيفة، لكونه عملٌ مُتعب وقليل الاجر، التقينا ورأيت عيونها قد توقفت عن البكاء للتو ، جمعت شعرها الى الخلف بالشكل الذي لا يليق بها وكحل عينيها اشتكى من كثرة دموعها....

سألتها: ما بك ؟

قالت: لا تكثرني لأمرى، لا يوجد شيء.

قلت لها: وكيف لي أن اتغاضى عن دموعي، أنتِ تبكين دموعي في عينيك، إلا

تعلمين ذلك ؟

قالت: ليس هنالك شيئاً مُهماً، انتِ كيف حالك؟

قلت: دعكِ من شأني، ما بكِ؟

قالت: لأنني لستُ مثلك، قلبي كان عديم الحب وجُل ما كنت أتمناه حياة لا

ينقصها شيء، لم افكر بالأشياء المعنوية اطلاقاً، مضى على زواجنا سنتين،

وأنا في كل مرة أستجدي منه ان نخرج للعشاء ويقول لي انه لا يمتلك وقتاً

شاغراً، منذ يومين وعدني بأن نخرج بنزهة، واليوم قال لي بأنه مشغول في

موعد عمل، لن أطلب منه موعداً مرةً اخرى، وأن طلب مني فسأرفض.

قلت: أعطيه فرصة، واعطه العذر ايضاً أن كان مشغولاً.

قالت: هل تعلمين حتى وأن خرجنا للعشاء فأن اغلب وقته يقضيه

بالسكوت، وأن تكلم فإنه يتكلم في هاتفه من أجل العمل، أنا السبب ؟

قلت لها: فعلاً انتِ السبب، لا تغضبي مني لأنك اخترتِ شريك حياتك بالعقل

فقط، وربطتكم العلاقة وفق الاعراف المجتمعية، والان تريدان منه ان يكون

رومانسياً وهو لم يلمس يدك قبل الزواج.

قالت: يوجد ثمة فرق بيني وبينك او بالأحرى بين ديني ودينك، أنا مسلمة

وكل هذه الاشياء لا يمكنني فعلها قبل الزواج.

قلت: وهل لكوني مسيحية فمن الممكن أن امنح جسدي عبثاً دون زواج او قبل الزواج!!

قالت: كلا انا اسفة، لم اقصد ذلك، ولكن القيود في مجتمعنا الاسلامي اكبر من قيودكم هذا لا يعني اننا لا نعرفُ الحُب ولكن، يمكننا ان نعرفه بعد الزواج.

بنبرةً غاضبةً قلت لها: لا تحملي وزر اطباعك على المجتمع والدين، أنا وانتي نعرف الكثير من الأصدقاء من الديانة المُسلمة تزوجوا عن حب ولم يرغمهم المجتمع على ما تقوليها، (سارة)، أنت من النوع النساء اللواتي يحبن بعقلهن ولا تنكري ذلك.

قالت: ما تقولينه صحيح، لعل الحب يأتي بعد الزواج. ابتسمت، خبأتُ ابتسامتي عنها، قلت: أتمنى ذلك؟ ابتسمت كذباً وقالت بغرور: أعرف ما تعنين، ولكن يكفي أنني أعيش بمستوى ماديٍ اعلى من من هم حولي، هذا ما كنت اسعى لأجله. قلت: تعجبني صراحتك، أستمرري بهذا التفكير فأنت نلتِ ما كُنْتِ تحلمين به.

ارتشفت من قهوتها، قالت: ما الامر الذي اردتِ التحدث بشأنه؟ قلت: أريد أن اترك العمل في الصحيفة لأنه مُتعب واجره قليل. قالت مبتسمة: لهذا السبب فقط؟ أم ظَهَرَ لكِ (صالح) آخر في الصحيفة؟ بنظرة أمتعاض قلت لها: كلا، لا يوجد إلا (صالح) واحد قابِعُ امام مكتبي في الجامعة.

قالت: الى متى ستمتنعين عن التكلم مع من يريد التعرف بك؟ الى متى ستبقين انطوائية؟

اجبتُها: لمن سيخفق قلبي لرؤيته.

كعادتها منذ سنين، استمرت بأقناعي بأن أغير مفهومي للحب، لكنها جرت اذيال الهزيمة وعادت الى بيتها والى زواجها التقليدي الذي لم يعرف يوماً كيف تكون القُبل بالأعين قبل الشفاه.

عدتُ الى البيت، فكرت بكلامها الذي لطالما سمعتهُ منها، فكرتُ فيه قليلاً قبل النوم لأنساه، نسيتهُ حال أن حضرني طيف (أحمد) وانا اتأمل كيف سأراه غداً، وأنا أغلق عيني لأرى نقش وجهه داخل أجفاني.

تراودني بعض الكلمات التي تحبه، حتى كلماتي تحبه، تراودني في الليل بعض الكلمات التي تحبه وهي تُريد أن تكتب لأجله، أكتب إليه سطرأ في أوراقتي التي لا تقبل أن يقرأها أحد سواي، في أوراقتي التي أخبأها عن نفسي، لأنني أكتب في الظل، و ما أوهن الكتابة في الظل ...

يا من تتمناكَ أحلامي

أن تأتي بجمالكَ الطاغي

كطيفٍ

كخيالٍ

كظلٍ

كيفما تأتٍ .. سأحبيكَ ثم سأعشقك، ثم سأعشقُك اكثر.

كتبْتُ هذه الكلمات على تلك الأوراق التي تنتظر لُفائه، كتبْتُ لهُ في الظل الى ان يسمح لي القدر بأن أكتب لهُ في النور، سيبقى كل شيء في الظل، أغلقت عيني لأجل أن أراه غداً، أغلقتُ عيني فلم يتبقى لكلام (سارة) أي اثر. صحوت عند ميعادي اليومي لأنتظر الشمس وهي تشرق من أمام شرفتي، لأنتظر من يُغير عدد دقات قلبي عند رؤيته...

هذه المرة لم اراه، لم يخرج من منزله!!  
وقفتُ انتظره امام نافذتي سبعون دقيقة، تأخر الوقت ولم يخرج، تأخرتُ عن موعد ذهابي للجامعة.

هل غير وقت خروجه بعد أن ادمنته؟

هل حدث له شيء اجبره على عدم الخروج؟

هل أصابه الكسل ولم يخرج الى عمله؟

هل يمكنني تحمل هذا اليوم بالاضافة الى ايام العطل التي لا اراه فيها؟

هل يعلم أن الارض توقفت عن الدوران؟

هل يعلم ان الشمس لم تشرق؟

كيف لي أن اذهب الى العمل ولا زال عقلي يظن أن ليل الأمس لم ينتهي، وان الشمس لم تشرق بعد، انتظرتُ ولم يبدأ صباح يوم جديد.

بعد الانتظار، يئست من رؤيته، انتابني القلق بشأنه، ولكنني أستغرب من كل شعور ينتابني، لمْ يأسرني بهذا الشكل ؟ لما أنا هكذا!!

وصلتُ الى عملي مُتأخرة، قدمت عُذراً كاذباً، استمرت عقارب ساعتي في هذا اليوم بالدوران عكس عقارب الساعة.

بعد الظهر، ذهبت مُستاءةً الى الصحيفة، بعد أن انهيت اعمالى التي كُلفت بها لذلك اليوم كتبتُ طلب الاستقالة، كنتُ بأنتظار انتهاء اجتماع المدير مع بعض قيادات فى الحزب الليبرالى، وهو الحزب الذى يأتى بعد الحزب الحاكم اهميةً، كان المدير من احد اهم قياداته، اتباع هذا الحزب كثر ولكنهم يتبعون جِميةً فى نشاطاتهم، لا يُسمح لهم بأى نشاطات سوى عقد الاجتماعات تحت اعين الحزب الحاكم، كان من بين اعضاءه جواسيس للحزب الحاكم بما لا يقل عن نصف اعضاءه، لكنه ظل صامداً يطالب بفصل الدين عن الدولة وتطبيق العلمانية فى ادارة الحُكم، ظل يطالب فحسب.

وأنا اعدُ دقائق الملل، رأيت ما لا يقبل العقل تصديقه، رأيتُ (أحمد) يدخل الى مكنتى!!

طرق الباب، ألقى التحية قائلاً: (مساء الخير)

لأول مرةٍ أراه فيها عن قرب، أغلقتُ عينيّ ثم فتحتها، لعل اشتياقى له منذ الصباح هو السبب، لعل عدم رؤيتى له تسببت بظهوره سراياً أو ملاكاً على هيئة بشر.

بعد أن سمعت صوته الذى لم اسمعه من قبل، نسيت ماذا على أن اجيب أن قال لي شخصاً (مساء الخير)، بأى الكلمات على أن اجيب، نسيت!!

كل الناس يتبادلون التحية المسائية المعتادة "مساء الخير .. مساء النور" ولكن (احمد) ليس كسائر البشر، فكيف تكون تحيته؟

بعد أن استطعت وبأعجوبة أن اصدق هذا الموقف، أغمضت عيني وشهقت الهواء لأخر حدٍ تستوعبه رثناى حتى أمتلك القوة لقول كلمة واحدة.

أجبتّه بصوتٍ خافت: أهلاً وسهلاً.

جلس أحمد على الكرسي المجاور لمكتبي، سألني عن المدير أن كان موجوداً  
ام لا؟

رفعت عيني و رأيت عينه، رأيت السهل الاخضر الذي لا حدود له، رأيت كما  
هائلاً من الجمال، لم أكن اتوقع بأن عيناه تمتاز باللون الاخضر، له رمش  
كثيف، ألتزمتُ الصمت مرة اخرى من هول ما أراه، يا رباہ أعني على ما انا  
فيه، أعني على النطق في حضرة وسامته.

شعرتُ بالخجل الشديد لتمعني عينيه طويلاً، سألني سؤالاً وعليّ أن اجيبه،  
كيف اجيبه؟

أنا نسيت حتى من أنا؟ وأين أكون؟ حوله هالة من الضباب تمنعني من رؤية  
ما حوله.

تذكرتُ لوهلة من هو المدير وأين مكتبه، نويت أن ادله عليه وخفتُ من ان  
يغادر مكتبي، نقد الموقف المدير بدخوله المكتب، رحب به وصافحه،  
جلسا امامي يتبادلان الحديث، استغربتُ من معرفته بمديري وهو يقول له  
"اشتقتُ لك، لم ارك منذ فترة"

اتضح لي أن له عدة مقالات قد نُشرت في جريدتنا، لكن، كيف لم أعلم بهذا  
من قبل!!

قال (احمد) للمدير: أنا اسف، لم ازودكم بمقالاتي منذ اسابيع، كنت مشغولاً  
بسبب الوضع السياسي الراهن، سهرتُ ليلة أمس لكتابة هذه المقالة، حتى  
انني تأخرتُ على موعد عملي صباحاً، أرجو من جريدتكم نشرها.

أجابه المدير: بكل سرور، أننا في كل مرة نَتوق لنشر مقالاتك، أنت كاتبٌ متميز، تمتلك أسلوباً نقدياً مُحترم، لك منا كل التقدير.

خلال حوارهما، كنت خاشعةً في الانصات لتعايير وجهه وهو يتكلم، ما أروعه، مظهره أنيقاً جداً، كان يرتدي بدلة زرقاء وربطة عنق جميلة جداً، كانت قصة شعره تُليق به، شعره متوسط الطول، له ذقنٌ خفيف فائق البهاء، يشبه تدلي العسل من خلية النحل.

وقف (أحمد) بعد أن سلّم مقالته الى المدير، قال: سأزودكم بمقالاتي بين الحين والآخر والتمس منكم العذر ان تأخرت فلديّ وظيفةٌ تشغل معظم وقتي.

رد عليه المدير قائلاً: أننا نعتز بأن يكون مجهودك الفكري منشور على صفحاتنا، أنا شخصياً أسمع الكثير من اراء الاعجاب بك من قبل زملائي، ولكنك ما زلت تصر على استخدام اسماً مُستعاراً أسفل مقالاتك ولا تود ذكر اسمك الحقيقي.

قال (احمد): انت تعلم يا سيدي أنني موظف، أخاف أن يتعمد أحداً ايذائي في العمل بسبب أسلوبِي في النقد السياسي، بالاضافة الى ان في بلادنا القانون يتبع الاحزاب وليس الاحزاب هي من يتبع القانون، أود أن أسرد لك مقولةً جميلة للكاتب السوري (محمد الماغوط) يقول فيها "كي تكون شاعراً عظيماً يجب أن تكون صادقاً، ولكي تكون صادقاً يجب أن تكون حرّاً، ولكي تكون حرّاً يجب أن تعيش، ولكي تعيش يجب أن تخرس".



أبتسم المدير مع بعض ملامح الاعجاب ، قال: اعجابي بك يزداد يوماً بعد يوم، أتمنى لك مزيداً من النجاح.

صافح (أحمد) المدير والقي تحية الوداع على المدير والتفت لي...

قال: مع السلامة.

أجبتّه بصوتٍ خافت: مع السلامة.

وأجبتّه بالهمس: لم لا تبقى أكثر، الكون بحضورك أصبح أجمل.

استمر حديثهم لدقائق، نسيْتُ خلالها أن أطلب له شيء لضيافته، أنشغل عقلي بتحمل صدمة رؤيته هنا، مشهدٌ لم يخطر حتى في بال احلامي، لم اتوقع انني سأراه صدفَةً.

بعدها، جلستُ على مكثبي، اسند رأسي على يدي، اغمض عيني وافتحها لعلي اصدق ما حصل، تحققت أمنيّتي، رأيتُهُ وتكلمت معه، تمعنْتُ وسامته.

بقي طيفه جالساً بعد أن رحل، يجلس في مكانه وأنا أتأملُه، لم ترمش عيني وقتُها، بقيت على هذه الدهشة الى ان اتت زميلتي واخبرتني بأن وقت العمل قد أنتهى، اخذتُ طلبي بصدد الاستقالة من العمل ووضعتُه في حقيبتي وخرجت من مبنى الصحيفة مسرعةً الى البيت، لا ادري لما كنت مرتبكة.

رجعت الى غرفتي مسرعة، أراجع بذاكرتي ما حصل، فرحتي كانت كبيرة بوجود سبب يجعلني ألقاه في الايام القادمة.

من شدة جماله بقيتُ جاحظةُ العين الى أن شرقت الشمس، كانت أطول ليلة أراها في حياتي، بقيتُ أتذكر طريقة كلامه، كم كان أنيق الاسلوب في الحديث، كم كان كلامه مُختصر بوافر المعاني، سبق وان تخيلته متميزاً ولكني لم أكن

اتوقع أنه رغم وظيفته مهتماً بالسياسية وكتابة المقالات السياسية، هذا يدل على تميزه عن باقي أقرانه، تأكدت من أن عقله يبلغ من العمر ضعف عمره، ولكن السؤال الالههم كيف كان معتاداً للنشر في صحيفتنا وانا لم أعلم ؟ كيف لم أراه من قبل؟ كيف كان يرسل مقالاته للنشر وانا لم اراه من قبل؟ كيف فكرت بأن أقدم استقالتي من العمل في الصحيفة !! وهي المكان الذي ساراه فيه؟ شكراً للرب لأنه جاء في الوقت المناسب.

عندما شرقت الشمس، وقفت لأقوله عند خروجه المعتاد (صباح الخير) كان يومي هذه لصيقاً باليوم الذي قبله، لم اتذوق النوم للحظة، خرج ورأيته، ابتسمت وهمست له "صباحك خير .. يا من جعلت لي لي صباحاً" ذهبت الى الجامعة وانا أبتسم، كنت سعيدة جداً، وما أن انتهى عملي ذهبت مسرعة الى الصحيفة...

سألت احدي زميلاتي في التحرير: منذ متى والسيد (أحمد) ينشر مقالاته في صحيفتنا؟

قالت : أي (أحمد) !! لا يوجد لدينا صحفي بهذا الاسم. قلت: كلا، هو ليس صحفياً وانما ينشر مقالات سياسية في صحيفتنا، على ما أظن.

قالت: تأكدي من الاسم أولاً، وسأجيبك على سؤالك. خطر ببالي حينها مقالته التي اعطاها للمدير يوم أمس لأنني تذكرت قول المدير له (ولكنك ما زلت تصر على استخدام الاسم المستعار أسفل مقالاتك

ولا تود ذكر اسمك الحقيقي)، تذكرتُ أن مقالاته لا تحمل اسمه فكيف لي أن أعرف ذلك؟

دخلت الى غرفة المدير لأسأله بذريعةً واهنة عن بعض الاعمال، دققتُ بالنظر الاوراق التي على مكتبه، وانا أفكر في أسمه المُستعار اصطنعت انشغال فكري بما احمل من ورق...

سألت المدير: أود أن أسألك عن الشخص الذي زارك يوم امس واعطى لك مقلاً واجريتما حديثاً على مكتبي، لم يستخدم اسماً مستعار بدل اسمه؟ اجابني: تجنباً للمشاكل في عمله، إلا انه ناقدٌ رائع، أنا من اشد المُعجبين به لأنه حيادي في الكتابة جداً، من النادر أن نرى شخصاً مهتماً بالسياسية، أو كاتباً بشتى المجالات وليس له انتماءً معين وسط هذا التطرف السياسي والحزبي والعقائدي والديني والمذهبي في بلادنا.

فكرت ملياً في كيفية استجواب المدير للأفصاح عن اسمه المستعار الذي استخدمه (أحمد) حصلت على القليل من المكر الطيب فأستدرت لأدعي بأنني اود الخروج ...

سألتُهُ بأبتسامهٍ مصطنعة: ولكن اسم (أحمد) شائع جدا في بلادنا، فلو أستخدمه لما عرفه أحد، أليس كذلك؟

فقال: نعم، إلا أن أسمه المستعار جميل للغاية ولا يمت له بصلة.

كانت اجابة مُريحة، لأنها سمحت لي بالاستفسار عن ما اريد ومعرفة السبب دون توضيح، ولو أنني سألت لكان الامر طبيعياً، ولكن لما أرتبك عندما يتعلق الامر باسمه، لا أعلم!!

قلت: وما أسمه المستعار؟

قال ضاحكاً: أنه يستخدم أسم (الياس) بدلاً عن أسمه.

قلت مندهشةً: لمَ اختار اسم مسيحياً وهو اسمه (أحمد)؟

قال: لكي يبعد الشك عنه، وله الحرية في اختيار ذلك.

أبتسم، واكمل كلامه: أيزعجك استخدامهُ اسماً مسيحياً وهو مسلم؟

قلت: بالطبع لا، أنت تعلم أنني مسيحية الدين فقط، ولكنني أتبع انسانيتي

في التعامل مع من حولي.

قال: أعلم ذلك جيداً، أتمنى أن يكون كل الناس مثلك.

القيت التحية على مدير، واستأذنت منه لأذهب مسرعة الى زميلتي في

التحرير...

قلت لها: منذ متى وأنت تنشرين مقالات بأسم (ألياس)؟

قالت: هذه المقالات ننشرها بين حين واخر ولكنها مقالات شديدة النقد،

كاتبها صديق المدير وهو معجب بأسلوبه، مع العلم بأنه ليس صحفياً.

قلت لها: عادةً متى يأتي صاحبها الى الصحيفة؟

نظرت الى زميلتي بأبتسامة فضول بعد أن لاحظتني أجلس على طرف

الكرسي، لم أكن أجلس بالشكل المعتاد، كانت اللفظة تملئ عيني وأصابعي

متشابكة.

قالت: عادةً يأتي مرتين أو ثلاث في الشهر ولكن في الاونة الاخير بدأ يأتي مرة

واحدة، اعتاد على أن يأتي في الصباح الباكر حينما يريد أن يزودنا بمقالته.

شعرتُ ببعض الخجل، جلستُ على الكرسي بالشكل الصحيح، قلبتُ بعض الاوراق التي كانت بحوزتي تصنعاً بعدم الاهتمام، عرفت حينها لمَ لم أراه من قبل.

قلت لها: أنا معجبةٌ بمقالاته، بعد انتهائي من تحرير الاخبار السياسية غالباً ما أنصفح صحفنا الصادرة فأنتابني الفضول لمعرفة بعد أن عرفت انه يستخدم اسم مستعاراً، كنت أظن أن هذه المقالات تعود لرجلٍ مُسن وليس لشاب، عموماً شكراً لك على هذه المعلومات.

عرفت حينها كم حالفي الحظ هذه المرة كي لا اقدم استقالتي، وما الفارق إلا دقائق بين أن انجزت كتابتها و بين دخوله، ما أجمل تلك الصدفة التي سمحت لي بأن أراه، أن أرى لون عينيه، هذه مُنح الحياة التي تكون على شكل هدية، فهي بلا مقابل.

التقيتُ (بسارة) عند المساء في المقهى المفضل لدينا، حدثتها عن ما جرى، التزمت الصمت طيلة الفترة التي كلمتها فيها .... سألتها: لمَ أنت صامتة؟

أجابتنى والاستغراب يملئ عينها: أشربي قهوتك أولاً، فقد فقّدت حرارتها وتغير لونها.

قلت: سأغير قهوتي، لن اشرب القهوة (السادة) بعد الان، سأشرب القهوة متوسطة السكر مثلما يحبها (احمد)

رفعت حاجبيها، ونظرت لي نظرة حادة ...

قالت: كيف عرفت أنه يحب القهوة، كيف عرفني نوعها؟

وأنا امسكُ إحدى خصلات شعري حول أصابعي...  
أجبتُها: احسست بذلك من عينيه، نظرتُ إليه فتأكدتُ بأنه أنسان يمتاز  
بالكثير، ويحب القهوة متوسطة السكر.  
قالت: أنا مندهشة، انا لا اصدقك، لم أتوقع (قمر) التي لم تقبل مسبقاً  
أعجاب رجل تُعجَب هي أولاً به، لا أستطيع تصديقك.  
قلت: قلب العين وما يهوى.  
قالت: أنا لم أكن اعلم أن قلبك يهوى من الأصل، هل تريدان أن أعد لك  
عدد الذين رفضتهم ذريعةً امك ومن سيبقى لرعايتها؟  
لم اجيبها بشيء، بقيتُ شاردة النظر لأتهرب من اجابتها، طلبت القهوة من  
جديد (متوسطة السكر).  
قالت لي: ماذا ستفعلين بعد ذلك، أخاف عليك من ضياع هذه الفرصة، سبق  
وان أيقنت بأنك ستبقيين في عزلة طوال حياتك، هذا الحب الذي في داخلك  
يجب عليك السعي لتحقيقه، لا تقبعينه بالتمني.  
قلت: فكرت في أن اذهب الى الدوام مبكراً.  
قالت: وما علاقة ذلك بالأمر؟  
قلت: سأخرج وقت خروجه، لألتقيه في صدفة مُخطط لها.  
قالت: فكرةٌ جيدة!! ولكن لم أنت اليوم انيقةً بهذا الشكل؟ كوني على ثقة بأن  
أكثر شيء أسعدني اليوم هو ابتسامتك التي لازمت وجهك طيلة حديثنا.  
قلت لها: لا، بل طيلة هذا اليوم، أنا سعيدة منذ رؤيته ليلة أمس، منذ رؤيته  
الى الان لم أندوق طعم النوم.

قررْتُ أن أخرج يوم غد بذات الوقت الذي يخرج به، لعل الاقدار تخضع لأرادتي وأثير أنتباه قلبه.

في سُهدي المُعتاد، انشغلتُ بأختيار ما سأرتديه غداً، كل ثوب اخرجه من خزانتي يفر مني خوفاً، لما أنا مرتبكة!!

بقيتُ أنظر الى ساعتي الجدارية في كل دقيقة حتى ملت مني ثوانيتها، بدأتُ أقدم التعب لعيني كرشوة حتى يلامسها النوم، لم تفارق عيني أجزاء الثواني حتى انتابني الشك بأن ساعتي معطلة، أنا أحبه في الدقيقة ستون الف عام.

حل الصباح، شرقت الشمس، نجحت في التخلص من التعب، تناولت افطاري مع أمي، سألتني لِمَ أنا ذاهبة الى الجامعة مبكراً....

أجبتها: تغير وقت دوامي ويجب عليّ الخروج مبكراً كل يوم.

لم أجد اجابة حول سؤالها الثاني...

حين سألتني: أناقتك اليوم ستجعل كل من في المدينة يعرف أسمك؟ أنت اليوم اجمل من القمر.

أستمرت أمي بعد هذه المزحة بالدعاء لي كما اعتادت في صباح كل يوم، كما انها اعفتني من الاجابة على سؤالها التي تعرف اجابته بحكم انها أم.

حان الوقت..

خرجتُ أمشي ببطء، خرجتُ والروح تسبقني بخطوات لرؤيته، تراجع عقلي عني بخطوات، أنشغلتُ في التفكير في عدة تساؤلات .....

هل سيتذكر لقاؤنا؟

هل سيعرفني؟

أم أنه أنشغل بالتحدث مع المدير ولم يعرني أنتباهه؟

هل سيتذكر وجهي؟

شاهدته يخرج من بيته، يبتعدُ منزلي عن منزله بضع عشرات الامتار، رأيتُهُ يتوقف ليشعل سيجارته اليومية بنفس الزمان والمكان، يا لها من أنافةً ترتدي جسده، ويا له من جمال أنصب على وجهه، تمنيت لو كان لي الف عين لأراه فيها، لا يكفي وجود عينين فقط أمام جماله، وقفت عيناى امامه مكتوفة النظر.

نظرتُ إليه، كانت كلتا يداهُ تُحيط بسيجارته لتشعلها كما تَشْتَعَل روجي لأجله قبل النوم، انعطفتُ يميناً وسرت، شعرت به يمشي خلفي بخطوات، احسستُ من نظرته لي بأنه فَكَر بمعرفتي مسبقاً، اعتقدتُ بأنه كان يحاول أن يتذكرني، هل كان اعتقادي صحيحاً .. أم تَحْيَل لي ؟

مضيتُ في طريقي، لم ألتفت إليه الى أن وصلنا الى مفترق الطريق، ذهبت أنا يميناً وذهب هو يساراً، وصلنا الى الطريق الرئيسي الذي يبعد عن منزلي عدة دقائق، إلا أنه في ذلك الصباح أبتعد عن منزلي لعدة ثواني فقط، تغيرت كل الدنيا من حولي، في لُقياه كان قلبي مَرِحَ مَرِحَ الأطفال.

مرت الايام، منذُ أن قررت أن أخرج مبكراً، تغيرت كل مواعيدي معه، لم أعد أنتظره مثل كل يوم، اصبحت أراه على بُعد بعض أمتار، ولكن يا تُرى، متى سيتذكرني؟

رأيتُهُ ذات صباح بأحاسيسٍ يقول لي بأنه تذكرني، لعل احساسى كان عند حسن ظني.



كان ذلك اليوم هو اخر يوم عمل في الاسبوع، اعتدت ان لا اراه في عطلة نهاية الاسبوع، إلا في بعض الصدف حين يعود الى بيته متأخراً عند الليل. لم يحدث شيء، لم يتكلم معي، لم يهتم لأمرى، بعد ان سعيْتُ جاهدةً لألقاهُ، لقاءً مبنيً على الضَّم.

سهرتُ كعادتي وأحلام اليقظة تملكني كلياً، بكل ما يخص ملامح وجهه الجميل، كان ما يشغل تفكيري مع من يعيش؟ وانا لا أرى احداً يخرج من بيته سواه؟ كم كان عمره؟ هل هو كما ظننته أم لا؟

كنتُ أحبهُ في الايام التي اراقبهُ فيها، لست معجبةً فيه فحسب، عليّ الاعتراف بذلك، كلما ازداد عدد هذه الايام، تنتابني هذه الاسئلة على هيئة مخاوف، اخاف أن أصدم فيه بعد ان أصبح فارس أحلامي، أنا لم أعجب ببشر غيره.

انا الان في ورطة...

بدأتُ أصدق أُمُنياتي بأنها ستتحقق

بعدها ... نسجتُ له لقاء

نسجتهُ من خيوط الاحلام السرمدية

كم تمنيت لو اطلبه لموعِدٍ حين اراه

تمنيت لو انني أفصح له عن ما كتبت

ليلة أمس نطق التمني بالكلام

نسجتُ له من الخيال موعداً، سألقاه به

في جبال الحب نحت منزلاً سيجمعنا

سأحدثه فيه وسأحتضنه فيه

من حنيني له صنعت معطفاً

سيقيني برد لقاته

لقاته الذي لا وجود له..

خوفي من البرد قد يقتلني احتراقاً

خوفي من أن يكون وهماً زائلاً ذا يوم

لعشقي له .. ناراً توقد كل ليلة

حطبها أحلام لقاء كان فيه جليسي

بركاناً يثور في خاطري عندما يجول به

يثور في خاطري رسمٌ لشفاهه منقوشٌ بنعومتها

تثور في خاطري احلاماً، بانتظامٍ أحلمُ بها

أضحى اصراري عليها عقيدة

قلبٌ يتمسك به وعقلٌ لا بديل له سواه

هذه عقيدتي ..

يا رجلٌ تثور من أجله كل الحواس

أستمر هذا الحال لأيام، بدأ يراودني اليأس، لم يكلمني ولم يلقي علي التحية.

أعتاد كلانا على التصرف بصورة طبيعية، بثُ أنظاھر بأني لا أعير له انتباهي،

نظراتي المسروقة تُكذِّبني، أشعر بأنه ينظر إلي، أشعر به فقط، ماذا يمكنني أن

أفعل غير الشعور؟

مرت أيام أكثر، كنت أشكر الرب لأنني بئ أراه كل الصباح، وجهاً لوجه دون ان أعصّ شفيتي، قضيتُ وقتاً كثير وانا اراه خلسة، حالي الآن بات افضل، ولكن الحُب الذي يمتلكني كان طامعاً بالأكثر، حبي له كان كالطفل عندما يلهو بأرجوحة وهو لا يصل منها الى حد الاشباع.

وجههُ الجميل كل صباح يعني لي الكثير، كان الأمل على هيئة بشر، كل هذه السنين التي عشتها اضحت تندم لأنها لم تراه من قبل.

كنتُ لا أعلم لمَ أنا أحببتهُ بهذا القدر قبل أن اعرفه، احببتهُ قبل أن أكلمه، كان الأمر ذي حيرة، لطالما أصرت (سارة) على معرفة الاسباب، كنت أخجل من أن اقول لها "لا أعلم السبب"

قبل أن اراه، كنتُ أنظر الى كل الرجال دون أن يثيرني أحد منهم، لا أعلم ما السبب، بعد ان عرفته تبين لي أنني كنت أحب محتوى الاشياء لا مظهرها، كيف سأثبت (لسارة) صحة هذا الكلام، انا حتى لا اعرفه، هي في أغلب الاوقات تسمعني أتغزل بشكله وأناقتهُ، من المؤكد ستقول لي من اين تأكدت أن لهُ روح جميلة لتُغرمي بها وانت لا تعرفيه!!

هنا يكمن احساسي، احساسي الذي أحترمه للغاية، لم يُخمن شيئاً من قبل ويلتقي ضده، هذا الاحساس يمكنني أن أقنع به ذاتي فحسب وأنا أستغرب من حبي له، ولا سيما وانه لايزال من طرفٍ واحد.

عندما كنت أحدث وصادتي عنه قبل النوم، كان يراودني بعض الخوف من أن لا يكون كما ظننت، حينها ستكون الصدمة، سبب هذا الخوف هو أن حبي لهُ

بُني على الظن، وما أن يبرح احساسي إلا أن يلقي بالماء على نيران الشك التي تكاد تحرق أحلامي.

كل شيء فيه كان يُعجبني، كان حَسِن الوجه، أنيق، ولكم يعجبني الرجل الذي يهتم بمظهره وبكلامه، فهما تتقدمان بقية صفاته أينما ذهب، محور حبي له كان ليس شكله تحديداً، كنت أرى فيه الرجل المُختلف، له ما يميزه عن غيره، كنت أشعر أن في داخله الكثير، يملك من الذكاء ما يوصله لحدود التفاخر.

كانت (سارة) لا تصدق كل هذا الأحساس، مُحققةً هي، لم تراني من قبل أُعجب برجل، أو حتى أتكلم عنه، هي لم تتوقع يوماً أني سأعجب برجل قبل أني يُعجب بي هو أولاً، قبل ان يطلب مني الحب، لأفكر به بكل غرور، كانت تظني بليدة المشاعر، خاملة الاحلام، لم تكن تعلم كم انا بحاجة الى أن أشعر بأصابع كف رجلٍ تتخلل خصلات شعري وأنا أحدثه بشفاه متقاربة، كانت مُحققة لأنها لم تسمعي إلا وأنا اتغزل بجماله واناقتة ووسامته، كان ظنها أنني أحبه بما تملي عليّ عيني.

قالت لي ذات مرة: "أنا أستغرب من حبك له، أنت عرفت من قبل من هو أفضل منه، ورأيت من يفوق وسامته وسامة ولم ترتبني به"، كانت هذه العبارة صادقة، شعرت حينها بأنها أيقنت ما في داخلي.

كانت (سارة) في أغلب الاوقات تُقارن بين (أحمد) وأحد زملائي أيام دراستي الجامعية، كان من ضمن أصدقائنا المقربين جداً، ظل كذلك الى أن افصح لي بحبه، منعتة بعدها حتى من القاء التحية عليّ، يتوجب عليّ معاقبته، لم كان

طيلة هذه الفترة لا ينظر لي نظرة الصديق؟ يتوجب عليّ معاقبته لأن نظرات عينيه كانت تشوبها بعض المشاعر.

كنت لا أومن بأن الصداقة تتطور الى حُب، لأن مشاعر الحُب تنبض منذ البداية، فمن الممكن أن تبدأ بتعارف أو صداقة ولكن لفترة قصيرة فقط، وان طالت فأنها ستكون خداعاً أو أنها ستكون صداقة مصطنعة من أجل الحُب، أنا لا أغفر هذا الاستغلال ابداً.

كان وسيماً ولكن قلبي كان عنيداً، كان يحبني جداً الى درجة التعلق، بعد تخرُجنا من الجامعة وحصولي على وظيفة فيها، استمرت علاقتي بالكثير لكوني لم انقطع لفترة طويلة عن الجامعة، سمعتُ من بعض اصدقاءه أنه أصبح أنسان سيء جداً، لم يتوظف، أصبح مُدمناً على الكحول، كان كل أملي أن لا أكون أنا السبب، اخر جملة قالها لي آلمت بي كثيراً، قالها ذات صباح كي يعتذر عن اعجابه بي، لم اجيبه بشيء، لأنني لم اغفر له وقتها، حتى انني لم انظر في عينيه، بقيتُ اتصنع شرود الذهن لأنكر وجوده، تسببت له بالكثير من الاذى، قال لي: "اتمنى ان اجد امرأة تحبني بالطريقة التي احببتك بها"

ينتابني عذاب الضمير احياناً اتجاهه، أقول يا ليتني رفضته دون هذا القدر من الجحود، يا ليتنا بقينا أصدقاء حتى لا أصدمه، جَل ما اتمناه أن يكون بخير أولاً وأن يغفر لي ثانياً.

كان هنالك غيره من الذين عرفتهم كزملاء في الدراسة أو في العمل وتقدموا لي بأعجابهم ورفضتهم، اتمنى أن يسامحني الرب أن كنت قاسية في الرد وأن لا يضاعفني محلمهم يوماً ما .. أنا أخشى الانكسار كثيراً.

بسبب هذه المواقف المتكررة تصر (سارة) على أنني كنت رافضة للحُب وليس للأشخاص، في حين كنت انا أبحث عن رجل قوة شخصيته تفوق وسامته، كلماته تهمني أكثر من تصفيفة شعره، موافقه أقوى من بنية جسده، لن أكذب، لن أقول أن ما أثارني (لأحمد) بالبده ليست وسامته، كلا، كل ما فيه كان يعجبني، لا أنكر تأثير عطره، حين التقى بمدير الصحيفة في غرفة مكنتي، كيف جعلني أتنفس بسرعة حتى لا يفوتني من عطره شيء..

ولكن .. يا ليتني رأيته قبل هذا العُمر

لكنت أجمل مما أنا عليه الان

يا ليتني كنت أصغر من هذا العمر

يا ليتني التقيته قبل أن املك من العمر اكثر ثلاثين عام

يا ليتني التقيته قبل أن اخاف العُمر و زوال الحُسين.

يا ليتني عرفته قبل ان تبدأ أنوثتي بالتسامي ..

كان كلام زميلتي في الصحيفة يراودني دائماً، حول مجيء (أحمد) في الشهر مرة واحدة في الاونة الاخيرة وأنه يأتي من الصباح الباكر ليقدم مقالاته، كنت أفكر كيف لي أن أراه مجدداً، أفكر فيما لو كنت قد قدمت استقالتي التي كتبتها، فكيف كان لي أن ألقاه.

منذ أن التقيته، وأنا كل يوم حال دخولي مبنى الصحيفة أصلي للرب لعله يأتي وقت قدومي، وأن لا يفوتني من مجيئه شيء، كنت أستجدي هذه أمنية عند كل لحظة.

لا زلت أشعر به جالساً، كما كان جالساً آخر مرة، لا زلت أستنشق عطره، كم تمنيت أن أغلق باب غرفتي بعد خروجه، حتى لا تخرج أنفاسه.

كم تمنيت أن أجمعها واستنشقها..

كم تمنيت أن المس يده ليس للمصافحة فحسب

تمنيت أن يمهلني القدر بعض الثواني

تتوقف فيها الة الزمن لأقبل وجنتيه

ما أجملها من صدفة

ما أروع هدايا القدر لو كان راضياً عتاً

وأنا في وسط كل هذا التمني دخل أحمد الى مكنتي مجدداً!!!...

كنت جالسة على مكنتي وباب غرفتي مفتوح و ما أن رفعت رأسي لبرهة شاهدته واقفاً على باب بشتى أنواع الاناقة والجمال، طرق الباب بهدوء بيده اليسرى مستأذناً للدخول.

في خاطري، وددت أن أقول له: "لا تطلب الاذن للدخول فأنت دخلت احلام ليلى و أفكار نهاري دون استئذان"

دخل أحمد بخطوات متناسقة، قال: مساء الخير.

وقفت وصافحت يده، قلت له بصعوبة: مساء النور، شرفتنا.

مد يده نحوي، صافحني، قال: أنا (أحمد) جئت قبل فترة وجيزة وقابلت السيد مدير هنا في مكنتك.

صافحت يده بدقات قلب مُتسارعة، قلت: أتذكرك، تشرفت بمعرفتك.

جلسن، نسيت انا أن أجلس، لم تفارق عيني وجهه، حتى نَظَر إلي بأستغرابٍ  
بعدهما جلس، جلست بسرعة.

قال: هل يمكنني أن اقابل السيد المدير ؟

قلت له: اسفة، لن يأتي اليوم، دعني أولاً أقدم لك شيئاً لضيفتك.

قال: لا داعي، شكراً لكرمك.

قلت له: لا يمكن ذلك، أنت ضيفُنا.

قال مبتسماً: أنا جاركم أيضاً

وأنا أرفع سماعة هاتف المكتب تعجبت كثيراً من هذه العبارة، تعجبتُ  
وفرحتُ في ان واحد، وحين أردتُ الاجابة، أجابني على الفور عامل الضيافة  
على الهاتف ليقطع سلسلة الفرح.

على عجل، قلت له: هل لي بفنجانين من القهوة متوسطة السكر بسرعة  
لطفاً، غلقت سماعة الهاتف، واستأنفت فرحتي والدهشة.

نظرت له، وجدته ينظر لي، ارتبكتُ، ارتبكتُ الى درجة لم أستطع العودة  
للتعقيب على كلمته الاخيرة، "بأنه جارنا".

قلت: منذ يومين، لاحظتُك تخرج من المنزل في الجهة المقابلة لمنزلنا.

بقي أحمد صامتاً لعدة ثوانٍ، لم يعقب على كلامي بأي كلمة، ابتسمت شفاهه  
من جهة واحدة تعبيراً عن التعجب.

قال: كيف عرفتِ اني أشرب القهوة متوسطة السكر!!!



شعرتُ بخجل حينها، لدرجة أنني اضطررت لأبتسم وعيني في الارض من صعوبة الموقف، ابتسامتهُ مع السؤال جعل الموقف لطيفاً نوعاً ما، أعطى لي الفرصة لأحتج بالصدفة عند طلبي للقهوة.

قلت: في الغالب أن جميع من في عمر الشباب يفضلون القهوة متوسطة السكر، اما كبار السن يفضلونها بالمذاق المر (السادة)، هذا أن فضلوا مرارة القهوة على شُرب الشاي أو بقية أنواع العصائر من الفاكهة لأنها حلوة المذاق؟

قال: كيف عرفت أني من الشباب الذي لا يفضل القهوة على المشروبات حلوة المذاق؟

استغربت من استفساراته المتواصلة لدرجة جعلتني ألوم نفسي لعدم سؤاله عن نوع قهوته قبل ان اطلبها، ابتسامتهُ عند السؤال جعلتني أجيبه من دون خوف، ولكن الامر كان معقداً للغاية، أنا كنت على حدود الانهيار من ما أراه، توقف عقلي عن التفكير وهو بالقرب مني، عيني لا تصدق ما تراه من وسامة وأناقة وجمال، لساني تلعثم أمام حركة شفثاه وهو يتكلم، شعرت حينها بأني أمام قوة دفع شلال من السعادة، لا أقوى على الصمود أمامه.

قلت: أنت صحفي وكاتب مقالات سياسية، كيف لك أن تكتب حول سياسية بلاد عربية دون قهوة؟ كل أنسان حين يود أن يكتب ما في داخله أو يكتب بحسب ما يستخرجه من قواه الباطنة يحتاج الى فنجان من القهوة، يحتاجها بكل تأكيد قبل أن يمسك القلم ويبدأ في اعلى الزاوية اليمنى من ورقته.

أبتسم ابتسامة أعجاب أثر كلامي، رمشت عيناه مرتين....

قال: فلسفة رائعة، تدل على ثقافة عالية، كم أكون سعيداً حين أتعرف بأناس بهذه الثقافة والاناقة في الكلام، ولكن هل لي بسؤال أخير؟  
قلت مبتسمةً: بكل سرور، تفضل.

قال: لما الى الان تضعين يدك على سماعة الهاتف؟ أنهيتِ الاتصال قبل دقائق؟

نظرتُ الى يدي وهي لا تزال على سماعة هاتف المكتب المغلقة، فأنا بعد أن اغلقت الهاتف ظلت يدي على السماعة، لم أرفعها من شدة الارتباك، كنتُ قد استمررت بالكلام معه ويدي لا تزال على سماعة الهاتف، اردتُ أن اقول له بكل جُرأة "انت السبب"

أنا اشكر الرب كوني استطعت تدارك الموقف والاجابة على أسئلتك، لا بل أنني لم أكن أتوقع أنني سأستطيع تهجأ احرف اللغة العربية أمام لون عينيك. بعد أن رفعت يدي من سماعة الهاتف نظرتُ له فوجدته يكتم ضحكته بسبب طرافة الموقف، شاركته الضحك، ضحكنا لثواناً متواصلة، غَيَّر من جلسته قليلاً على الكرسي ومسك بيده اليمنى ربطة عُنقه ليجعلها اجمل.

قال: أسف، وجهتُ لك الكثير من الاسئلة، صار لقاءنا أشبه بالتحقيق الجنائي، أنا الى الان لم أعرفك بنفسي.

همستُ في داخلي دون ان يَرِمَش لي حرف "أنا أنتظر هذه اللحظة منذ زمن،  
تكلم يا أحلى ما على الارض من بشر"

طرق الباب عامل الضيافة، دخل وقدم لنا القهوة، سمح لي من خلال دخوله ان اسرق النظر قليلاً، أن أتمعن أناقته قليلاً وأن أستفيق من تأثير عطره الذي تستنشقهُ الروح قبل الانف.

قال: أنا (أحمد) حاصلٌ على شهادة بكالوريوس في الاقتصاد، أعمل في إحدى المصارف الحكومية في المدينة، لدي اهتمام في السياسة، أكتب مقالات في المجالات السياسية والاقتصادية الخاصة في بلادنا، أتعامل مع صحيفتين أحدهما صحيفتكم الموقرة.

قلت: حصل لي عظيم الشرف بمعرفتك، أنا (قمر) بكالوريوس في العلوم السياسية، عملي في الصحيفة عمل ثانوي، أعمل محاضرة صباحاً في الجامعة التي درست فيها، القي المحاضرات في كلية العلوم السياسية. تحركت ملامح وجهه تعبيراً بالتعجب، شرب من قهوته ...

قال: تبارك الله، كان يجب ان تكونين انتِ مولعة بالعمل السياسي، وليس أنا، تخصصي هو الاقتصاد وانت تخصصك السياسية.

قلت: منطقياً، هذا صحيح، ولكن من البديهي أن من يكتب المقالات في شتى الانواع من السياسة او الاقتصاد أو الادب فإنه يكون موهوباً بالاضافة الى دراسته وشهادته، لأننا لم نر ذات يوم ان الدراسة الجامعية لوحدها قد أنشأت كاتب، ولهذا أنت مُتخصصٌ بالاقتصاد ولكنك موهوب بشيء امتلكته بذاتك، وهي موهبة التعبير، موهبة تحويل الافكار لكلمات، موهبة رسم الذكاء على الورق، استطعت من خلالها أن تكتب المقالات السياسية والاقتصادية.

قال: ألم اقل لك بأنك أنيقة الكلام.

أسعدني تكرارُ لهذه العبارة، فهي وبلا شك تدل على بعض الاعجاب.  
قلت: لكنك أضعت بعض من موهبتك باستخدامك أسماً مستعاراً لمقالاتك،  
أليس كذلك؟

قال بصيغة التعجب: وكيف عرفت ذلك؟ أنا اقدم مقالاتي الى المدير وهو  
فقط من يعرفني، كما أنني لم اقدم الكثير من المقالات لصحيفتكم؟  
قلت له: كلمني عنك السيد المدير لكوني تفاجئت من كونك مسلماً وتختار  
أسماً مسيحياً لمقالاتك بغية أبعاد النظر عنك.

قال: كان هذا شرط ابي، بعد أن وقف امامي مُعارض لأن أكتب رأيي النقدي  
وادخل مجال الصحافة، من شدة خوفه ومن شدة تمسكي بحلمي في كتابة  
المقالات الصحفية توصلنا الى هذا الحل.

قلت: أفضل ما في الدنيا أن يكون الوالدان في رضا عنك، ستجد حينها كل  
ابواب المستقبل مفتوحة امامك، أن من نعم الرب علينا دعاؤهم لنا عند  
خروجنا كل صباح.

قال: أنا أسمع دعائهم عبر الهاتف فقط، فهم يقطنون في الجنوب، أراهم في  
الاعياد والزيارات المتناوبة بين الحين والآخر بسبب مشاغل الحياة، حالياً  
أصبحت زيارتي لهم تعد بأصابع اليد.

قلت له: كان الله في عونك، لكن لما لم تسكن معهم؟

قال: نشأت في مدينة صغيرة في الجنوب، احببت منذ الصغر العمل في  
العاصمة، لم أكن أريد العيش كما أراد لي ابي، أنا لا أحب البساطة.

قلت متعجبةً: البساطة جميلة، ولكن اي بساطة تقصد؟  
قال: أقصد بساطة العيش والايام المتشابهة، أنا أمتلك الكثير من المشاريع  
والخطط في مخيلتي واسعى كل يومِ جاهداً لتحقيقها، لو أنني بقيت في قريتنا  
لكانت كل ايامي متشابهة ولا استطيع تغيير أياً منها.

قلت: هذا شيء جميل، من مواضع الفخر ان يكون للأنسان أهداف يسعى  
من أجلها، جميلٌ أن تتجدد هذه الاهداف في كل مرحلة من حياته، أن يسعى  
بكل مرحلة من حياته لهدف جديد، وأن لا يتبع القول السائد (نم مبكراً  
تصحى مبكراً)

ضحك ثم قال: أنا من هذا النوع تحديداً.

رفع أحمد يده اليسرى قليلاً لينظر الى ساعته الجميلة، ثم اعادها على ساقه  
الايسر....

قال: اخذت الكثير من وقتك وشغلتك عن عملك.

قلت: بالعكس، حصل لي الشرف بمعرفتك والحديث معك، إلا تود أن أصل  
شيء الى السيد المدير؟ أو أن أخبره بقدمك؟

قال: لا شكراً، لا تخبره بقدمي، فانا سأأصل به حال خروجي من هنا، ولكنه  
من المؤكد سيكون لنا لقاء اخر، أسعدني الحديث معك كثيراً.

قلت له: على الرحب والسعة، هذه صحيفة تختص بشؤون الشعب، وكننا  
ترحيب لمن يود زيارتنا.

كانت جملي هذه مُعتادة على مسامح كل زائر، ولكنني أردت أن أرحب به لأنه  
زار قلبي وليس مكتبي، لأنه أدخل الفرح لمهجتي بسرعة الضوء، لأنني غداً

صباحاً سأستطيع أن القي عليه التحية دون ان اتردد، فقد تعرفنا على بعض وتبادلنا الابتسام.

وقف، رفع أوراقه من على الطاولة التي أمامه....

قال: علي الذهاب الان، شكراً لحُسن ضيافتك وجمال حديثك.

مد يده ليصافحني، قال: عمت مساءً.

خَرَجَتْ أوردة قلبي من كف يدي والتفت على يده لتصافحه....

قلت له: طاب مساؤك.

ذكرني لقاءه بمطلع قصيدة (لغادة السمان) تقول فيه: (وتقول شفتاك للفرح

.. كن فيكون)، كان يمتلك مفاتيح الفرحة وانا لا اعلم، عندما يتكلم كان

يمتلكني، كان يأسرني تحت مشيئته وأنا لا أعلم.

ما أجمل لقاءه، ما أجمل كلامه، ما أجمله، كانت أمنيةً وتحققت، اخيراً

تكلمت معه، كان حُلماً أن أراه يوماً جليسي، والان قد تحقق.

بالرغم من أن لقاءنا الاول كان لقاء عمل إلا ان تأثيره عليّ كان كبيراً، شعرتُ

بأن القدر حقق لأجلي الكثير، سمح لي بأن القي التحية عليه غداً، رزقني بأمل

لقاءه، ثم جعله يتجدد كل لحظة.

كنتُ أتأمل دخوله الى مكثبي كل يوم، ليمطر الفرحة على أيامي بحديثه، حديثه

الذي أعطى الأدلة لما ظننت بشأنه، تأكدتُ من أنه أنسان مُتميز عن اقرانه،

يمتلك موهبة ويمتلك الذكاء.

تمنيت أن لا ينتهي هذا اليوم، ولكنني وبعد ثوانٍ من مُغادرته، تمنيتَه أن

ينتهي هذا اليوم كي أراه يوم غد واقول له (صباحَ الحَير أيها الفَرح)

رجعت الى البيت وأنا أحمل الفرح بالحجم الذي لم أعرفه من قبل، دخلت المنزل ورأيت أُمي جالسة مع جارتيها، القيت التحية والفرح يغمرنِي، كان وجهي مبتسم، كم يكون هذا الموقف صعب على أي فتاة، في هذا الموقف لا تستطيع أن تخفي الفرح الذي يغمرها، ستفضّحها عينها، سيفضحها كلامها الجميل الذي تقوله بشكل عفوي لكل من يصادفها، ولو انها تمكنت من أن تخفي فرحتها عن الناس فكيف لها ان تُخفيها عن الام!!

دخلت أُمي لغرفتي بعد أن ذهبن صديقاتها، ابتسمت عند شرفة الباب وهي تطرقهُ

سألني سؤالها المعتاد : كيف كان يومك يا قمر؟

قلت لها: كان جيداً، أنتِ كيف صحتك؟

قالت: أنا بخير لطالما اراكِ مبتسمة.

قلت لها: شكراً لكِ يا أُمي، هذه الابتسامة من نعمة دُعائك لي.

مضى الليل، التقيتهُ عند الصباح، خرجتُ من منزلي فرأيتهُ واقفاً، كان على ما يبدو قد خرج قبل مواعده وظل واقفاً على باب بيته ولم يمضي في طريقه، استنتجت ذلك من السيارة التي كانت بيده، كانت على وشك أن تنتهي، يعني ذلك انه كان واقفاً ولم يخرج للتو، حالما خرجتُ رماها، كان من المعتاد أن يخرج ويتوقف لثوانٍ ليشعل فيها سيجارته، ثم يواصل السير ولا يقف، لم رأيتُ السيارة بيده منتهية؟ هل كان ينتظر خروجي؟ أم أنه مجرد ظن خاطئ؟

رأيتُهُ يترك باحة بابهُ ويواصل سيرهُ، صادفتهُ وجهاً لوجه، قلت: (صباح  
الخير)

اجابني مبتسماً: (صباح النور)

واصلت السير رغماً عن وسامته، في كل صباح كان يقتني عطراً يتغلغل وسط  
الروح قبل الحواس، كان أنيقاً للغاية، وجههُ كان أجمل صباح اراهُ في حياتي.  
أستمر روعه هذا المشهد كل صباح، ولعدة أسابيع، انتظمتُ على الخروج  
مبكراً، وانتظم هو ايضاً.

تكرر لقاءنا كل صباح، تأكدت بأنه يخرج قبل خروجي، ينتظرنني لأخرج، لا  
يواصل طريقه إلا بعد أن يلقي التحية عليّ.

كانت تحياتنا متشابهة، إلا في بعض الاحيان سألني فيها عن صحي وأجيبه  
بأنني بخير، كانت نظراته جميلة، كان من الصعب عليّ قراءتها وفهمها، لا  
أجيد قراءة كلامها، ينتابني بعض الاحيان أحساسٌ بأنه معجبٌ بي، وفي احيانٍ  
الاخري ارى نظراته عارية عن الاعجاب ولا يتخللها شيء يثير الأمل، ذلك  
الامل الذي يُطمئني بأنه شَعَرَ بما في داخلي وسمِعَ الكلام الذي على لسان  
نظراتي.

بعد فترة وجيزة، تأكدتُ أنه قرأ الكلام الذي في كتبهُ السُهد في عيني، تأكدتُ  
بأنه شَعَرَ بأنني أحلم بأن ألقاه، بموعِدٍ من ورق، موعدي الذي كتبتُهُ بأبيات  
شعر على الورق، كلما كتبت لأجله الكلمات كان بيت القصيد يحوم حول  
موعدهُ.



الاهم من كل شيء تأكدتُ من أنني اثرت أنتباهه، راودني أحساس بأنه يعرف  
بأن أسمه قد كتبت على جدران ايامي.

يا ليته يعلم كم احبه...

يا ليته يعلم عن ما أريد قوله

يا حبي الأول

سنلتقي..

سأنتظرك وشفطاي تأكلان بعضهما

في ذلك البيت الذي نحتته من اجلك

سترى سنين عمري قد باتت شموعاً

تنير لك طريقك وانت قادم

للقاؤنا نثرت سنيني شموعاً

سنيني التي كانت تخلو منك

هل تعلم كم مرة عََلَّقْتُكَ أمنيّةً على شجرة الميلاد؟

هل تعلم كم وردة حمراء جَلَبْتُ لك؟

هل تعلم كم كلمة حُب جمعت لك؟

أريد أن أقولها لك، في حضرة جمالك

ولأجل ذلك .. بملء الصبر سأنتظرك

أصبحنا أصدقاء، نُلقِي التحية على بعضنا صباحاً، كنت قد فكرتُ ملياً في

تطوير هذه الصداقة، فكرتُ في الطرق التي تسمحُ لي بأن أحادثه، أحتاج لأن

أحادثه حديثاً لا نهاية له، كم أحب حديثه، أحب ملامح وجهه حين يتكلم، حين يتناثر الحُسن منها كرزاذ مطرٍ في جوٍ عاصف.  
بدأت أناقض مبادئي، بدأت انكرها لأجله، في المقابل، بدأت أختلق الحيل من أجل ارضاء الذات، فكرتُ في صداقتي معه، لم أنسى قبل بضع سنين كيف رفضت شخصاً أحبني برداء الصداقة لأجل أن يراني كل صباح، لأجل أن يتكلم معي بموضوع يختلقه كي أكلمه، صار صديقي لأنه أحبني، أليس أنا الان أفعل كما فعل هو!! ألم أرفض مسبقاً فكرة أن لا يكون الصديق حبيباً، لم هذا التناقض!!!

لأنه يتسم كلما يراني، وجدتُ نفسي أقدم لنفسي الاعذار، حتى أصل الى شواطئه التي حلمتُ بها، وأنا حبيسة جزيرة الاعجاب به، هذه الجزيرة النائية التي أمضيتُ فيها ليالٍ وأنا أتخيل كيف سيكون الارتباك لو وقفت بالقرب من أكتافه ؟

قررت أن تربطنا الصداقة، الى أن أرسم مشاعري بقصيدةٍ سأقولها له على ضوء الشمع، الى أن أجعله ينظر لي كمنظراتي له، الى أن أصارحه بحبي، الى أن أعرف سر العطر الذي في عينيه، سأنتظره على ذلك المقعد المُطل على الشاطئ.



إن تمنيتك تُوصد الأمنيات أبوابها  
وإن حلمتُ بك يفتح الحنين نوافذه  
وإنا أقف على أبوابك .. تعبت  
تعبتُ أتمناك .. وإنا مُكبلة الأحلام

## الفصل الثاني

تَتَمَّوجُ الارضُ تحتَ أرْجُلِ كلِّ امرأةٍ تخلو أيامها من الحُبِّ، تحتَ أرْجُلِ كلِّ امرأةٍ أمست بلا حبيبٍ، تحتَ كلِّ مَنْ تنامُ ليها خالية المشاعر.

حينَ تنهضُ من فراشها صباحاً، تشعُرُ كلُّ امرأةٍ بهشاشة الارضِ التي تقفُ عليها لو تأملت لثوانٍ أن ليس بانتظارها أحد، عندئذٍ تخشى من أن تُدفنَ تحت السنين دون أن تبقى لها ذكرى، فهي لم تخطر على بال رَجُلٍ وهو يَنْصُتُ لأغنية ما.

تخشى من أن تكون حُطام أنسان تراكم نتيجة الإهمال، تخشى من أن ينتهي بها العُمر ولم تجد على خصرها أثاراً لأيدي لرجُل.

الحُبُّ عند النساء يضع حداً لتقدم السن، النساء لن يصلن الى سن اليأس أن بقين على قيد الحُبِّ، يأس العواطف لا يأس العُمر، لن تدبل أجفان تلك التي تضع الكحل كل يوم قبل غروب الشمس.

أغلب النساء في بلاد العرب يعتبرن الحُب مقصوراً على عمر الصِبا، لا أضع اللوم عليهن، فالظروف الصعبة وحجم الالتزامات التي على عاتقهن جعلتهن يَنَمْنَ مبكراً.

مِنْهُن قَلَّةٌ قليلة من اللواتي يقين على قيد الحُب، أو على قيد ذكرى جميلة لحبيبٍ كان عشقه قد سبق الزواج أو جاء بعده، أو على قيد حبٍ عاش ومات وهو يفتات على الكتمان.

في المجتمع العربي على كل النساء المُتزوجات الالتزام بالعِفَّة والشرف، ويقصد بذلك عفة الجسد للأيام القادمة وسُرف الصِبا للأيام السابقة، يتطلب الأمر حُسن سيرة للماضي بحسب السُن الناس، لا يهم شيء أكثر من ذلك.

الحُب في مجتمعنا ينهب شرف الفتاة أن تحدثت عنه، يسيء لسمعتها لو قرأت له كتاباً، هذا المَنع لا يشمل الكلام فحسب، بل يسري على كل المشاعر والاحاسيس التي تنتابهن قسراً بالفطرة، ويستثنى من ذلك العِين ومقلتها.

هنيئاً لامرأتين، أحدهما قرأت هذه الاسطر على عجل ولم تُعيد قراءتها، وأخرى قرأتها جيداً، ولكنها لن تكثرث لما أعنيه ... هنيئاً لمن تزوجت عشيقها، وهنيئاً لمن عَشِقت زوجها.

غالباً لا تكون المرأة كيفما تشاء، غالباً ما تكون خلافاً لواقعها، ولكنها لا تتكلم، لا تتحدث بهذا الشأن إلا لوسادتها، تكتم اسرار روحها لترضي الواقع، يتقبل جسدها التغيُّرات التي تطرأ من حولها، والتغيرات التي تطرأ على جسدها ايضاً، ولكن روحها تأبى ان تتغير.

نحن خاضعين للظرف المادي قبل كل شيء، ما تولد عليه الفتاة هو الذي يُحدد ما ستكون عليه، كيف ستحب، هل سيُسمح لها بالحب اساساً ام لا، هل ستختار مَنْ يفكُّ ضفائرها ام سيختار لها المجتمع، هل ستكون كتلك التي ارادت الخلاص فتزوجت، تلك التي ارادت الهروب مما يحيطها فاقرنت بأول ميسور حال طلب يدها، تلك الوحيدة التي لا يحق لها العبث بروحها، لا يحق لها ان تحلم مجدداً، تلك التي قايضت جسدها بالثياب والمصوغات الذهبية.

غالباً ما يكون الحب فقيراً فالأغنياء لا وقت لديهم للحب، لطالما رأينا قُصص الحب وهي تصارع العوز، كيف ينهش الفقر جسدها ليفزقها الى قصتين، كل طرف يأخذ قصته بمعزل عن حبيبه ليصنع منها (اقراصٍ للذكرى) يتناول احداها كلما شَعَرَ بالمِ في الروح، كلما كان الحنين سبب سُهده.

(البيوت السعيدة لا صوت لها) قرأتها ذات مرة للكاتب المصري (مصطفى محمود) فعلاً انها كذلك، العائلة سعيدة لن تسمع لهم اصواتاً عالياً، لا يوجد قَهْر مع يُسر الحياة، مثلما لا توجد سعادة مع الفقر.

ذات ليلة، كَذَب الحب على الفقر وقال سأزورك، لم يأتي، تلك البنت التي اختارت حبيبها الفقير لأنها عشقته وتزوجا بعد ان سمع منها المقولة الشهيرة "لا يهمني كيف ستكون حياتنا لطالما سَأبقى بقربك" لم يستمر عشقهما بعد اول حديث تفاخر كان بين الاقارب، اعتاد هو على النوم قبل مجيئها الى الفراش، وهي استلقت بعده على سريرها الابكم، تنظر الى سقف عُرفتها، نادمةً دون دمع.

القصيد هنا لن ينسجم مع المعنى، العيون الصامتة تحمل براكين الكلام في قلوبها، بعض النساء خاملات المشاعر، فقد انطفأت لهيب براكينها بمرور الزمن، اما ذوات الشفاه الناعمة، اللواتي لم ترهقها القُبل، اللواتي لم يمنم على يد (الحبيب الأول)، اللواتي لم تغمض اعينهن إلا وكانت نبرة صوت الحبيب همساً تقتحم اذنيها، رسمه كالبرق يخرق اجفانها، هن فقط، لم يطفأ لهيب مشاعرهن مع تقادم الزمن.

من البديهي اننا نسمع الاصوات التي تصدر من حولنا حال دخولها مسامعنا، إلا صوته، كان يدخل لعظام جسدي قبل مسامي، كانت نبرة صوته تغريدة امل في كل صباح.

منذ أن أصبحنا أصدقاء والابتسامة على شفاهنا باتت أجمل، حتى أنا أصبحت أجمل، بتُ اجمل عن ما قبل أن أعرفه، كل من حولي شاهد حجم التغيير الذي حدث لي، لملامحي، لألبستي التي تتنافس فيما بينها كل يوم من أجل أن تلقاه.

غمرتني السعادة لدرجة الغرق حين قرأ عيني ذات يوم، خرجت فيه ورأيتُه واقفاً، كالمعتاد أخذتنا الخطوات في طريقنا وأنا بلا أدراك، لا أرى في الدنيا سواه حين يكون، لا أعرف ماهية الدنيا لو استنشقت عطره.

كنت متعبة للغاية، أرهق السهر عيني وأنا اقضي الليلة التي سبقت ذلك اليوم في المشفى حين أنصلت مساءً بصديقي (زياد)، اجابتي أبنته على الهاتف، ابلاغتي بأنه في المشفى منذ ساعتين، بسبب أصابته بنوبة عصبية، كم شعرت بالذنب حينها لأنني لم أتصل به، ذهبت الى المشفى ورأيتُه في غيبوبة، تألمت



كثيراً، أنبني ضميري على تقصيري اتجاهه، علمتُ من أبنته وزوجته ان حالتهُ الصحية كانت جيدة وانه لم يشتكي من شيء اطلاقاً خلال هذه الفترة، انا نادمة، لم أسأل عنه منذ فترة سبقت اخر اتصال هاتفي كان بيننا بأسابيع، قضيت ليلة كاملة في أروقة المشفى، لم أستطيع الذهاب الى البيت، أتصلت بوالدي وأبلغتها بالأمر، بقيت في المشفى الى ان طلع الفجر، الى أن تكلم (زياد)، زاره الطبيب وخرج من غرفتهُ وسمح لنا بعدها بالدخول إليه، استطعت أن اتكلم معه.

دخلت لغرفتهُ وخجل يسبقني...

قلت له: حمداً لله على سلامتك، سامحني، انا لم أسأل عنك ولم أزورك، قلقت عليك جداً.

قال زياد: شكراً لك يا (قمر)، لم أتعبت نفسك في الحضور، الشمس اشرفت للتو؟

قالت زوجته: (قمر) هنا منذ ليل الامس، لم تنم، لا بل لم تجلس حتى. بعدما جلسْتُ على الكرسي الذي كان بالقرب من سريره، انحنيت بالقرب من رأسه، وضعت يدي اليمنى على شعره فأنهمرت دموعي..

قلت له: لما أنت مُتعب لهذه الدرجة؟ ما أصابك؟

قال زياد: نحمد الله على ما يصيبنا، تفاجئتُ بالأمر، أبلغني الطبيب بأنني أصبْتُ بأنهيار عصبي حاد، لم أشعر بشيء طيلة هذه الفترة سوى بعض الصداع، ولكن بالأمس ما الذي حصل؟ كل ما اذكره أنني كنت جالساً على العشاء مع عائلتي، لم أعلم بما جرى.

قالت زوجته: كُنّا ليل الامس نتناول العشاء، كنا نتكلم عن المستوى الدراسي لأبنتك، وبعد ان ازداد غضبك سألتك ولم تجبني، ثم أغلقتُ عينك، بعدها أغمي عليك وجئنا الى المشفى.

قال زياد: حمداً لله لأني كنت معكم.

مسكت يده وقلت: لا تقلق، سأصلي لأجلك كل يوم حتى تتعافى.

أبتسم وقال: لا تبكي يا أبنتي، أنا بخير.

شعرتُ بالخجل الشديد لأنانيتي، لم اسمح لأحد بأن يسبقني له، سبقتُ زوجته واولاده حين سمح لنا الطبيب بالدخول، دخلت اولاً وجلست بالقرب منه، أجبرت البقية على الانتظار الى أن أبكي الدموع التي تليق بتقصيري اتجاهه ثم مسحت دموعي وابتسمت.

قلت: أنا اسفة، لم اسمح لعائلتك بالتحدث معك والاطمئنان عليك، سبقتُ الجميع بالحديث معك، منذ الامس وانا قلقة عليك، سأترك الان لتأخذ قسطاً من الراحة بالقرب من عائلتك، سأزورك عند المساء.

قال: لا تقلقي بشأنني، سأكون افضل، شكراً على زيارتك واهتمامك .

القيتُ التحية على الجميع ، خرجتُ من المشفى مليئةً بالتعب، ارهقني القلق أكثر من السهر، لم أنم منذ ليل الامس، يجب عليّ أن اذهب الى العمل بعد ساعتين من الان، فكرت في أن اتصل لطلب الاجازة، ولكنني أيقنتُ بأن رؤية رفيق الروح ستمحي كل التعب.

رجعتُ الى البيت، أسكبت الماء البارد على وجهي كي اطرد النوم، بدلت ملابسني وخرجت مسرعةً كي لا أتأخر عن شروق شمس أيامي، عن اشراقه

وجهه الذي فاق جماله بريق قوس قزح، رأيتُهُ، القيت عليه التحية فتوقف ولم يواصل السير ..

التفت لي، قال: ما بك؟ عذراً للسؤال أن كنت متطفلاً.

قلت له: أنا بخير.

أستمر بالسير قليلاً وقال: يظهر على وجهك الإرهاق، وكأن عينيك لم تنم.

قلت: قضيت ليل الامس في المشفى، لم استطع النوم.

توقف عن السير، قال: لماذا؟ هل تشتكين من شيء؟

قلت: كلا، أحد اقاربي كان في المشفى، ذهبت لزيارته ليل الامس، وجدت

حالته سيئة للغاية فأضطرت للبقاء حتى الصباح الى أن فاق من غيبوبته

لأطمئن عليه.

قال: كيف هو الان؟ هل تحسنت حالته؟

قلت: نعم، أفاق من غيبوبته عند الفجر، اتمنى أن تستقر حالته اليوم.

قال: تمنياتي له بالشفاء.

قلت: شكراً، هذا من لطفك.

وجدت نفسي بعد ذلك في نهاية الطريق الذي نفترق عند نهايته، ابتسمت له

....

قلت: مع السلامة.

أجابني مبتسماً: طاب يومك، مع السلامة.

أزال الإرهاق من وجهي ثم رسم الابتسامة عليه بفرشاة وسامته، جعل أيامي

اجمل من كل يومٍ سبقه، كم أنا سعيدة بلُقياه، كم انتظرتة، كم تمنيت أن القاه

في ذلك الموعد الذي رسمته في احلامي، كم وددتُ ان اقول له عن ما اكتب له  
عند كل المساء...

حين يعذبني الصمت

ويرجمني الشوق

حين ترفع الأمنيات سوطها وتلقيه

بُتُ اخاف من الحنين اذا طغى

واخشى الأنين إذا أرتجى

عند المساء، ذهبتُ الى المشفى التي كان فيها (زياد) لأزوره، أتصلت به وانا في  
طريقي إليه، أجابت زوجته على اتصالي، ابلغتني بأن حالته الصحية قد  
تحسنت بعد الظهرية وقد سمح لهم الطبيب بالمغادرة.

ذهبت الى بيته، جلست مع زوجته لأطمئن عليه، كان نائماً نتيجة العلاج  
الذي تناوله، كانت عائلته تحبني جداً، في كل مرة أزورهم فيها كانوا يرحبون بي  
اشد الترحيب، كانت ابنة (زياد) تحدثني دائماً عن عملي في الجامعة، كانت  
تروم لأن تدخل كلية العلوم السياسية، كنت دائماً أحاول أن أمنعها من ذلك،  
أحاول ترغيبها بتخصص آخر، كانت زوجته تعلم بعملي السابق في مطعمه،  
احتفظت بهذا السر دون أن تتكلم عنه لأولادها، كانوا يعتقدون بأنني كنتُ  
جارتهم قبل سنين مضت.

تحترمني زوجته وتحبني كثيراً، بسبب ذلك تمكنت من أن أوصيها بأن تهتم به  
وان تراقب حالته الصحية، قدّرت موقفي، شعرت بخوفي عليه دون أدنى  
غيرة، تلك الغيرة التي تنتاب كل امرأة حين تتقرب أي امرأة أخرى من زوجها،

هذه الغريزة التي لا تتخلى عنها أي امرأة، إلا من كانت واثقة من قلب زوجها ودخله الشهري.

رأيت (أحمد) في آخر يوم عمل في الاسبوع، كان قد غير عطره الذي اعتدت عليه خلال الايام التي مضت، عند سيرنا في الخطوات المعتادة صباحاً...

قال لي: أيمكنني دعوتك لحضور عيد ميلادي، يصادف يوم غد؟  
أجبتُه بالتفاته تعجب: حقاً!! عيد ميلاد سعيد.

قال: هل بإمكانني سماعها يوم غد، لا يجب ان تكون التهنئة قبل أطفال الشمع.

قلت: يسعدني ذلك، ولكن في أي ساعة غداً؟

قال: حجزت طاولة في مطعم وهذا عنوانه، دعوت عدداً قليل من أصدقائي ثم أبتسم، واكمل حديثه: في الحقيقة انا لا أملك الكثير من الاصدقاء.

اخذت العنوان من يده، قلت: لا يهم أن تمتلك الكثير من الاصدقاء بقدر ما يهم أن يكونوا أصدقاءً لك بالفعل.

قال: هذا صحيح.

قلت له: هل لي ان اصطحب معي صديقتي (سارة)، أن كان ذلك لا يعجبك لا يهم؟

وضع يده اليمنى في جيبه وقال: بكل سرور، يُسعدني ان اتعرف على صديقتك المقربة.

بنظرة استغراب، أجبتُه: كيف عرفت بأنها صديقتي مقربة؟

أبتسم من شدة جماله، قال: لولا أنها لم تكن مقربة لما استأذنت للحضور معك يوم غد، أنت لم تسألها بعد هل تود الحضور ام لا، أليس كذلك؟ قلت: استنتجت بالشكل الصحيح، لكنني سأسألها عن رأيها بالحضور لعيد ميلادك.

قال: أمل ان لا ترفض، لأنني أود معرفة كل اصدقائك، بسبب ثقافتك واخلاقك يتشرف بمعرفتك جميع الناس ولا شك ان اصدقائك الذي اخترتهم لا يختلفون عنك.

قلت: سنأتي يوم غد.

قال: سأكون بانتظاركم في الساعة التاسعة مساءً.

القيت تحية الوداع عليه ونظرت فوراً لساعة يدي لأحسب كم من الوقت يلزمي لأنتظر، كم يلزمي من الصبر؟ بأي طريقة سأهنئه بميلاده؟ ميلاده الذي جعل توقيت ايامي يمضي من دون ساعات.

قبل ان انهي عملي اتصلت (بسارة) لأخبرها بدعوة (احمد) ليوم غد، وافقت على الحضور لأجلي، شعرت بأنها في حرج من ان تذهب الى موعد مع اشخاص لم تعرفهم من قبل، لكنها لم تفصح عن شيء.

قضيت الليل بأكمله أفكر في نوع الهدية التي تليق بأعجابي به، تليق بحبي، اردت ان اهديه شيء يثير انتباه قلبه اتجاهي، اردت ان اهدي له ما تبقى من العمر من ايام، أنا احبه كثيراً.

فكرت في كل الهدايا التقليدية للرجال، فكرت في العطور والساعات اليدوية والخواتم الجميلة، فكرت في الزهور الحمراء والبيضاء، فكرت في كل

الجالسين وقتها، ماذا سيقولون لو شاهدوني وانا انظر إليه، اخاف ان تغالزه عيني بصمت، خفتُ كثيراً من جسعي وانا ملهمة به، قضيت الوقت الكثير في التفكير، حتى تمنيت لو اني أستطيع ان اضع له فؤادي في زجاجة عطر.

قررت أن اشترى له ربطة عنق تليق بأناقته، قررت ان اكتب له، ان اعلن عن مشاعري اتجاهه، قررت ان اخطوا الخطوات التي لم تخطيها أي امرأة شرقية قبلي، لم تعترف قبلي امرأة لرجل في البلاد العرب بأنها تحبه.

قررتُ ان افعل ذلك حتى تقف الارض عن الدوران، حتى تقف سنوات عمري عند ذلك اليوم، كي ابقى طفلته، حتى لا أرى الشعر الابيض وهو يتخلل شعري، حتى انطق بأسمه وانا اضع احمر الشفاه.

قضيتُ ليلتي بأكملها وانا انتقي الكلمات التي تعبر عن ما في داخلي من حب دون ان تخدش احدهن كبريائي، دون ان يُقلل تعبيرها من شأني، كتبتُ الف كلمة وحذفتُ الف، انتابني شعور الرفض مراراً.

وانا جالسة في غرفتي، على طاولتي الصغيرة، شرقت الشمس فجأة، شعرت حينها بالفشل، كررتُ المحاولة، لن أفوت هذه الفرصة التي انتظرتها كثيراً.

اغمضت عيني، تذكرت نظراته لي، منذ ان التقينا في مكتبي والى اخر لحظة، فتحت عيني وان امتلك الكثير من الشجاعة لأكتب، كتبت له حقيقة ما في الامر ...

"عندما اراك ادرك معنى السعادة

وعندما اتكلم معك اتمنى ان يتوقف الزمن

وعندما انظر في عينيك اعرف ان ليس للجمال حدود

ولكن الى متى...

ستستمر سيوف الخجل بقتلي

والخوف من المجهول..

الذي قد يحرمني من جمال ابتسامتك في كل صباح

اخشى ان تزعجك كلماتي

او ان اكون قد تجاوزت كل الحدود

فأن رفضت اعجابي .. ارجو ان تخبرني

حتى اعتذر عن ما قلته

واترك الكلام لليلة قد اراك فيها .. بأحلامي"

الثاني من شهر نيسان ...

نمتُ قليلاً قبل ان يتم الصباح نوره، التقيت (بسارة) لنخُج من اجل

التبضع، اشتريتُ لهُ ربطة العنق لترافق كلماتي له، لم اخبرها بقراري، لم

اخبرها بأني سأكتب له تهنئة ممزوجة بما اشعر، بحسب ما املك من حبٍ

له، كيفما اتمناه كتبتُ له.

في ايام العُطل كنت اقضي النهار بأكمله مع امي في البيت، فأنا طيلة الاسبوع لا

اراه إلا عند المساء، وفي بعض الاوقات اتناول معها الغداء عند الظهر،

كانت دائماً تحدثني من الاجل الذهاب الى الكنيسة في يوم الاحد، كنت ارفض

دائماً، لي الكثير من الانتقادات لطريقة الحضور والمجاملات الدنيوية على

حساب الدين في الكنيسة، كنا في كل يوم عطلة نستغرق الوقت بأكمله من



اجل هذا النقاش العقيم الذي احاول انهاؤه بصيغة تجعل امي تبتسم حتى لا تضجر مني.

جاء المساء الجميل، سألقاه تحت ضوء القمر لا تحت اشعة الشمس، سألقاه والقمر لا يعني لي شيئاً في حضوره.

ارتديتُ فستاناً أحمر يتخلله السواد، اخترتُ الاحمر القاتم لشفاهي، طبقتها على بعضها لأرى كيف اصبح لونهما فنطقت اسمه، اطلقت العنان لشعري، وضعت الكحل لعيني لأجله فحسب.

جَهزتُ هديتهُ في عُلبتها، كتبتُ كلماتي في ورقة صغيرة وعلقتها على الشريط الاحمر الذي التف حولها، مسكتُ زجاجة العطر خاصتي و وضعتُ منها حول رقبتي وحول هديته، لمَ وضعته؟ لا اعرف السبب، ولكن السبب حتماً لا يتعدى خواطر القلب آناء الليل.

ذهبتُ الى الموعد بصحبة (سارة)، وصلنا الى المكان، رأيتهُ من خارج زجاج المطعم جالساً وعلى طاولته امرأتين و ثلاث رجال، دخلتُ الى المطعم بخطى الروح التي تسبق الجسد، تمنيت لو يخلو المكان من البشر لنجلس وحدنا، تمنيت لو يخلو المكان من الهواء كي استنشق انفاسه.

اتجهتُ نحو الطاولة التي يجلس عليها، شاهدته يقف ومن ثم يتجه لأستقبالنا، اقترب اكثر، تمنيت لو يسمح لي القدر بعناقه لدقائق، او لساعات، او لأيام.

رَحِب بنا ثم عَرَفنا على اصدقاءه، جلسنا على الطاولة سوياً، ومن خلال الحديث علمتُ ان اثنين من الرجال هم اصدقاءه المقربين منذ سنوات وهما

(سعيد و هشام)، كان (سعيد) قصير القامة، يرتدي نظارات سميكة، و(هشام) وسيماً بعض الشيء، له اطلالة جميلة ووجهه ضحوك، اما الرجل الثالث فهو زوج زميلة (احمد) في العمل و الامراة الاخرى كانت زوجة (سعيد) كانت على الطاولة كعكة جميلة، لكنها لم تحتوي على أي عبارة، لم تحتوي حتى على شمع، بعد ان عرفتُ (سارة) على الحضور وعلى (احمد) تحديداً وكيف تعرفت عليه في الجريدة ..

سألت احمد: لما لم تكتب شيئاً على كعكة عيد ميلادك؟

اجابني صديقه (هشام): هذا لا يهم، المهم اننا فرحين جداً لأنه اقام حفل بسيطاً، ان اعرفه منذ ان كنا في الجامعة، لم اراه يوماً يحتفل بعيد ميلاده.

من اسفل الطاولة ضرب (احمد) (هشام) بقدمه، ثم نَظَر إليه خفية..

قال: كلا ليس كذلك، انا لم اكن اجد وقت الفراغ كي احتفل به، منذ ايام تذكرت هذه المناسبة ووجدتُ اليوم مناسباً لدعوتكم، ولكنني لا املك الكثير من الاصدقاء بسبب انشغالي بالعمل واراى السياسية، في حقيقة الامر، النقد لم يبق لي صديق.

شعرتُ بأن (احمد) اختلق الموعد كي نحضر له، او انه ارادهُ سبباً لمجيئنا، استنتجتُ (سارة) كذلك ايضاً.

قلت: اولاً لا يهم كم يكون عدد الاصدقاء عند الانسان، بقدر ما يجب ان نهتم لماهية العلاقة التي تربطنا بينهم، انا لا املك إلا صديقةً واحدة، في الوقت الذي املك فيه الكثير من الاصدقاء، ولكن ان صح التعبير، هم زملائي في العمل او من سكان حارتنا، ثانياً لطالما انك الان برفقة اصدقائك المقربين

وتحتفل بعيد ميلادك فأنتك تحتفل بما انجزته في ما مضى من حياتك، يكفي ان تحتفل بدوام هذه العلاقات، لا ان تحزن عن من فارقك النقد عنهم، كل الذين يختارون طريق السياسة يمتازون بثلاث صفات: الاولى: هي التدخين والثانية: يكونوا ذوو حوارات شيقة وثالثاً: يكون لهم رفقة محدودة.

ابتسمتُ بعد ان انهيت كلامي، تمنيت اني قد كنت خفيفة الظل في اول نقاش لي مع اصدقاءه الذين لا اعرف احداً منهم، نظرَ الجميع لي.

قالت احدي صديقات (احمد): كيف تمكنتِ من اعداد هذه الاحصائية السريعة لمميزات المهتمين بالسياسة؟ انهم بالفعل كذلك.

سألتها: هل انا محقة في ذلك ام لا ؟

اجابني (سعيد) ضاحكاً: اعطيك كل الحق فيما قلتِ، لا يوجد شخص على هذه الطاولة يخالفك الرأي فيما قلتِ، احسنتِ التعبير.

قال (احمد) وهو ينظر لي مبتسماً: كم انا سعيد بمعرفتكِ، قلتها لك منذ اول مرة تكلمت معكِ فيها، انتِ انيقة الكلام.

تناولنا العشاء، تكلمنا في بعض المواضيع المتعلقة بسياسة بلادنا العمياء، تكلمنا في ظروف عمل كلِّ منا.

استمرت (سارة) بتنبهني من نظراتي (لأحمد)، استمرت طول اللقاء وهي تهمس في اذني او تضربي بقدمها من اسفل الطاولة حين اكون في اللاوعي، انقذتني من الغرق في بحر عينيه.

انتهى لقاءنا الجميل، قضيت اربع ساعات ونصف من الجمال، وانا بالقرب منه عند نهاية جلستنا قام اصدقاءه بتقديم الهدايا له وتوديعه، جعلت نفسي اخر من يعطي هديته، بعد ان انتهى الجميع، قدمت له هديته....

قلت له: عيد ميلاد سعيد، كل عام وانت بخير، تمنياتي لك بالعمر المديد والمزيد من النجاح في حياتك المهنية.

اجابني: حضورك وتلبيتك لدعوتي اجمل هدية، ورغم ذلك انا ممتن لك على هذه الهدية، شكراً لحضورك البهي ولهديتك الجميلة.

بعد ان قدم (احمد) شكره (لسارة) لحضورها، خرجت والفرح يغمر كل اوردة قلبي، حتى أنني رأيت الوان ثيابي اكثر جمالاً من قبل ان ارتديه، كان فرحي للقياه، ولأنني سررتُ للأمام بخطوةٍ لعلها تجدي نفعاً، لعله يُقدر كم هو صعب ان تسبق المرأة الرجل بالبوح بحبها، كم تجاوز الحدود والتقاليد صعب.

كم سأندم لو خلى رده من المشاعر

كم يلزم من الوقت لأنتظر؟

أتراه سيكتب لي ام سيكلمني عبر الهاتف؟

دخلتُ الى البيت، صعدتُ الى غرفتي مباشرةً، القيتُ حقيبي على الارض، بقيتُ خلف نافذتي انتظر عودته، لم تُملئ عيني منه ولم اكنفي.

بعد دقائق عاد (احمد) الى بيته، ظننته بأنه سيتأخر ولن يعود مُباشرةً الى البيت، تمعنُ خطواته، حركات اصابع يده وهي تقبض مفاتيح الباب، همستُ له بصوت خفي، بكلمات تختفي خجلاً كما اختفي انا خلف نافذتي، قُلت .. عيناك تُتعبُ ناظري.

في غرفتي المُعتمة، جلستُ على الكرسي وكأنني انوي الخروج لأجله مجدداً، لا اريد النوم، أنا بانتظار رده.

انتظرتُ نصف ساعة، اتعبي الانتظار، اتعبي القلق، ترجيتُ حفنة من الصبر كي تهدأ الافكار التي تراودني، افكار تبناها الندم، انا لم احب احداً قبله، كيف تجرأتُ على البوح بالحُب!!!

رن هاتفي برسالة بُعثت لي، فتحتُه، كان المرسل (أحمد)، كتب لي...

"الف تنهيدة حُب تنهد عيني كُما تراكِ

حين ترى شفتاكِ تتكلم

حين تتمعنُها لو صممت

حين ينتابها الخجل فتبتسم ..

حين اراكِ .. تنبتُ في احشاء عيني

الف قلبُ يتنهد"

اغمضتُ عيني، بقيت اتنفس ببطء من شدة الفرح، فرحتُ كثيراً، لم تسع فرحتي حدود الكون بأكملة، غمرني النوم الهانئ بعدها، بعد ان قرأتُ رسالته عشرات الاف المرات.

رأيتُه في صباح أول يوم عمل تلى لقائنا، ارتدى ربطة العنق التي اهديتها اياه، كان جميل عليها اكثر مما كانت لاثقة به، لم تجد لها حيز من اناقته، كان مبتسماً، رأيتُه يرفع رأسه من التمعن بساعته اليدوية، تأخرتُ عن موعد خروجي عدة دقائق، تأخرتُ كي اعرف مقدار تفهمه للكلمات رسالتي، ولكن وقوفه منتظراً وارتدائه لهديتي ونظرة عينيه، اخبروني بالكثير ..

قلت له: صباح الخير.

اجابني: صباح النور، شكراً لكِ على هذه الهدية الرائعة.

اجبتهُ بابتسامة: انها انيقة جداً.

قال: لا بل كانت مُتناغمة وجميلة، حتى تسببت بالسهد، كنتُ حائراً كيف

ابداً وانت هديتي لأول الطريق، أنا شديدُ الاعجاب بك.

انحت عيوني خجلاً، قلت: أنا لا اعرف كيف فعلت ذلك، من اين جئتُ

بهذه الجُرة، اتمنى ان تفهمني بالفعل لا ان تتفهمني طبقاً للواقع الذي يقول

بأن كُل امرأة فعلت كما فعلتُ انا فأنها قد تجاوزت حدود احترامها لشخصها،

انا وددت ان اقول بأنني أ....

قاطعني احمد قائلاً: انا احتفلت بعيد ميلادي لأجلك.

قلت له بأستغراب شديد: ولماذا؟

قال: كنت قد كتبتُ تلك الكلمات التي بعثتها لكِ بالأمس إلا أن عمر

احساسها ليس الأمس، لا بل منذ ان التقيتك ، كنت حائراً في كيفية البوح بها،

كنت انوي قولها لكِ بقلب ولسان معجبان بك، كنت اتمنى ان تسمح لي

الفرصة في جلسة عيد الميلاد لأقولها لك بصوتٍ خافت، ولكن بعد ان قررتِ

اصطحاب صديقَتك، اضطررتُ لجمع اصدقائي، كان يوماً وهمياً، لم يكن يوم

ميلادي، ولكنني بعد ان قرأت كلماتك بالأمس، ايقنتُ بأن الامس يوم

ميلادي، خجلتُ ان اطلب منكِ المجيء بمفردك، حتى انني رجعت الى البيت

يوم أمس غاضباً جداً، لكوني لم انجح لما خططت له، الى ان فتحت تهنئتك

التي وجدتها على شريط الهدية، وحينما قرأت ما كتبت لي لم تسع فرحتي

حدود الشمس، شكراً لأنك انقذتني من خيبة امل كادت ان تُقضي على كل آمالي، شكراً لك ايُّها الجميلة.

كنتُ قد ارتعشتُ من عطره، ارتعشتُ مرة ثانية من عبق أنفاسه وهو يتكلم معي، اغمضتُ عيني لثواني وحركت رأسي قليلاً لأستفيق من رعشة اخر كلمة قالها....

قلت: شعرتُ بأن هنالك سبب لأحتفالك بعيد ميلادك، استنتجتُ ذلك عندما قال صديقك "بأنها المرة الاولى التي تحتفل بها بيوم ميلادك"، ولكنني لم اكن متوقعة عن ما كنت تروم إليه. رفع يدهُ اليسرى ونظر الى ساعته...

قال: نعم، هذا ما حصل بالفعل، دعينا نذهب الى العمل فقد تأخرت كثيراً. مضينا قليلاً في طريقنا المُعتاد، الغريب أنني رأيت نفسي بعد اول خطوة انني واقفةً في الجهة المقابلة لمنزله، لم اكن في مكاني المُعتاد، اعتدنا على ان نلتقي وسط هذا الطريق او بالقرب من جهة منزلي انا، كنت انا ابطء خطواتي بحكم انوثتي ليسرع خطواته ويُصادفني، هذه المرة انا والشوق وسُهد الليل عنده، ذهبْتُ باتجاهه دون ادنى ارادة.

عرفتُ بأنني كنتُ في اللاوعي، ركضتُ إليه من شدة الحُب، دفعني الشوق نحوه، كلماته هي السبب، نبرة صوته التي راودتني عند قراءتها جعلت زوايا عقلي مُعتمة.

شعرتُ بالفخر الشديد، فخر الانتصار بعد الذي حدث، وأنا اقف امام نفسي شعرتُ بأنني قدمت لها شيئاً من الفرح بعد ان لازمني التعب سنين طوال.

نجحتُ في تحويل المرايا الى نوافذ، نوافذ تطل على السعادة، تمر فيها  
نسمات الامل.

ستشعر بالفرح الشديد حالما تستطيع تحويل المرايا الى نوافذ، لأنك بعدها  
ستشعر بأنك لم تُعد حبيس احلامك والتمني، انت الان على قيد ما تستحق،  
انت الان ما حلمت بأن تكون، انت الان على قمة الجبل الذي كنت تتأمل  
النظر فيه اعجاباً وتخشى تسلقه، انت الان على متن سفينة الامل، تنظر الى  
التذكرة التي بيدك، تذكرة صعودك إليها، التذكرة هي مخططات الليل واحلام  
اليقظة وتلك الآمال التي تتجرأ على البوح بها ليلاً فقط.

لم يكن حلمي ذات يوم مُجرد رُجُل بقدر ما كان حلمي حُب يملئ الحياة  
بالحياة، لا اريد الحُب الذي تقضي ايامه بالوعود الوردية والغزل المُصطنع،  
حُباً يبدأ بالأعجاب وتليه فوراً طقوس الزواج وتلميحاته، انا لست من النساء  
اللواتي يردن الزواج على حساب العمر خوفاً من حديث المجالس، انا اهوى  
رعي الحطب لنار الحب والاشتياق.

لا شك في ان الأنسان نتاج خلواته، كيفما تكون خلواتنا نكون نحن، خلواتنا  
التي اختلينا بها عن الواقع المتكرر من جهة، وعن العادات والاعراف الموروثة  
بالتربية والدين من جهة اخرى.

في كل يوم نختلي بأنفسنا بعض الوقت، وان شح الوقت فلا ملاذ لنا غير  
السكون على الابرة قُبيل النوم، نتأمل في كسر القيود التي تتمثل بالعادات  
والاعراف التي اعتاد المجتمع والدين على تقديمها لنا بشكل اخلاقيات  
وسلوكميات يجب اتباعها، هذه القيود منها الحسن ومنها السيء، الحسن منها



انها جعلتنا صالحين، والسيء منها انها جعلتنا مكبوتين، علمتنا ان نصرخ بصمت.

يقول احد العلماء في علم النفس بأننا حين نخلع ملابسنا للنوم ليلاً فأنا نخلع معها كل عاداتنا وتقاليدينا واعرافنا واخلاقنا لنسمح للذات بالتأمل في الأفكار التي حُرمت علينا من قِبل المجتمع والدين خلال النهار.

بعض هذه الافكار، هددنا المجتمع بسخطه لو تجرأنا على فعلها، لكننا لو فكرنا فيها فقط فالأمر هين، لن يشي احداً بنا له، اما الجانب الاخر من هذه الافكار فقد حرص الدين على منعها حتى لو كانت بالمشاعر.

عند النوم، نسمح لأنفسنا بالتجوال في ازقة الحرام والمُعيب قليلاً، وعند الصباح نعود لأرتداء اخلاقنا وعاداتنا وكل ما تربيينا عليه مع ارتداءنا لملابسنا، لم يخطأ هذا العالم البتة.

ان شرط وجود هذه الافكار، هو تلبيةً لرغباتنا المكبوتة، الكبت كان فرضاً علينا من قِبل المجتمع والدين للذات لم نختار أيّاً منهما، اورثناهما كما اورثنا اسماؤنا، هذا الكبت كان دافعاً لهذا التفكير بالاضافة الى حب احلام اليقظة التي قد تكون احياناً اجمل من واقعٍ نعيشه، أنها الاجمل لما تقدمه لنا ممّا نشتهيهِ من احساسيس، تحديداً حين تعتاد الغربان الوقوف لأيام طويلة على اشجار آمالنا.

الحب الذي يكون لأجل الزواج يُقتل بدم بارد بعد بضع شهور من ليلة الزفاف، كل الذين ظنوا انهم عشقوا لأنهم سيتزوجون، اعطوا السكين الحاد للملل ليقتله بدم بارد وهو نائم على فراش النصيب.

من الجميل أنك تعشق دون ان تعرف ماذا سيحصل لك بعد المُضي بهذا العِشق، إن حصل الزواج فأنتك وقتها عاشق ولست بحاجة لتوثيق عشقك، وإن لم يحصل فإنه كان الأجل والاروع لما وثقتهُ ذكرياتك، إلا العرب، لا يطيقون سماع هذه العبارة مع انهم يصدقونها في خلواتهم.

ان تعشق .. فأنتك قد تجاوزت كُل الحواجز التي فُرضت من اجلك. العشق كالتشوه الخُلقي ليس بإمكانك الشفاء منه، لن ينفحك أي عقاقير ستعاطاها من أجله، عليك بالصبر فأن العِشق ابتلاء.

العشق ليس له مصل كما الحب، قد نكره بعد الحُب، نبغض شيء بعد ان احببناه، ولكن في العشق الامر مُختلف، ليس بإمكاننا كره من عشقنا، سنفقد الكراهية وسنكتسب الهدوء، سنكون اهدأ من الساعة المُعطلة، ويستثنى الاشتياق والعناق من ذلك.

في العشق معنى الاكتفاء، من بعد العشق الاوحد ستصاب بعقم الهواجس، عقم لنظرات الاعجاب ولمشاعر القلب، عقم لأعصاب اليد التي تسكعت ثملة على جسم من عشقنا، حين نُفارق عشيقك فلن تشعر بشيء من بعده، لن تشعر إلا بالألم طلوع الروح لخالقها.

في بلاد العرب ليس من حق النساء ان تحب، ليس من حقها ان تقول ما تشعر، ليس من حقها ان ترتدي ما تشاء، في بلادنا ليس من حق النساء ان تشاء في الاصل.

كنتُ اتكلم كثيراً مع طلبتي وأنا القي محاضراتي في كلية العلوم السياسية، كان الحديث السياسي يَجُرنا الى التكلم في سياسة البلاد وأثر هذه السياسة على المجتمع والفرد.

كان الحديث السياسي في القاعات الدراسية شيق جداً لأختلاف الآراء التي تُطرح، ولاسيما واننا في دولة متعددة الاديان والمذاهب مع وجود اختلاف ضئيل في القوميات.

اعتدتُ على طرح آرائي الشخصية وسط المنهج الدراسي، اعبر عنها بقولي (هذا بحسب رأي واعتقادي) كي احفز الطلبة على بيان آرائهم الشخصية في المادة العلمية الموجودة في الكتب المخصصة للمنهج، كنت اهدف لجعلهم يتفكرون في السياسة وان لا يتلقنوا المنهج الدراسي بحسب رأي المؤلف فحسب.

من الجدير بالذكر ان جميع المؤلفين المعتمدين في المناهج الدراسية في كلية العلوم السياسية في جامعتنا ليسوا قليلي الشأن ولا تشوب افكارهم أي شائبة، ولكن دراسة السياسة ليست بمادة علمية تؤخذ كما هي لأنها وضعت للناس براءة اختراع، الامر شتآن بين السياسة والعلوم البقية.

في السياسة علينا ان نفكر بواسطة عقل واقننا، لا بعقولنا وقدراتنا، قدراتنا هي قدرات دولتنا ومواردها وليس قدرات رئيسنا العضلية.

في الكثير من بلاد العرب يمثل كلام الرئيس وانطباعاته سياسة دولته، وهذا خاطئ، لأن سياسة دولته تقتضي وفق مواردِه الاقتصادية اولاً وحجم السلاح الذي يحتازه ثانياً ومقدار قربه من الشعب ثالثاً لأن قراراته إن صَبَّت في

مصالحهم فأنها ستُعري هتافات معارضيه وتضعفها، ورابعاً طبيعة علاقاته بدول الجوار وحُسن سياسته الخارجية و التوافق بين رضا الدول العظمى ومصالح بلاده، هذه أسس لا مناص للحياد عنها.

في بلادنا يهتم الرئيس بزيه الرسمي، يهتم بالمكان الذي سيراه من خلاله بقية الرؤساء، يجب ان يكون ذو اثاثٍ فخم لألقاء خطابه، رئيسنا لا يفكر في ما أملى عليه مستشاريه في الخطاب المكتوب امامه، لم يقرأ الاوراق التي اعدت على منصبه، قرأ النص مرةً واحدةً فقط تحسباً للأخطاء اللغوية.

في بلادنا يظهر الرئيس على شاشات التلفاز مرصعاً بالخونة، هؤلاء الذين احاطوه بحكم تقارب النسب او بحكم الانتماء الحزبي وتقارب الافكار التي أنشأت حزبهم والذين تخلوا عنها بعد ارتدائهم للبدلات الثمينة الانكليزية الصنع، بعد تسلمهم الحكم نسوا انهم بشر، انتزعت السهرات الليلية الضمير وحب الوطن من توافقاتهم السياسية.

كنت اوعز لطلبتي بضرورة التفكير في سياسة الوطن، لأنهم قادتها بعد بضع سنين، بعضهم استغل فرق الدين الذي بيني وبينه وبدأ بألقاء التهم عليّ امام رئاسة الجامعة.

في صباح يوم هادئ وردني تبليغ من عميد الجامعة بضرورة الحضور، وعندما حضرت انهالت عليّ التهم من ازدراء الاديان الى اهانة الحزب الحاكم والمساس بهيبة الدولة، لم اجيبهم بشيء، استمروا بالكلام امامي والقاء اكبر عدد ممكن من التهم كي اوعدهم خائفة بعدم تكرار ذلك، لم اجيبهم بشيء، انكرت كل ما حصل بأستثناء سردي لأفكاري ومعتقداتي ضمن المحاضرة

للتوضيح وليس لحث الطلاب على التهم التي أُتِهمت بها، انتهى الامر بتوقيعي لتعهدُ بعدم تكرار ما حصل، كيف واني لم افعل شيء، عليهم هم ان لا يكرروا شكواهم وليس انا!!

لعب الخلاف بيني وبين زملائي التدريسين في الجامعة دوراً مهماً في هذه الاتهامات لكونهم متدينين جداً، كانت الصدفة الالههم انهم توافقوا في الافكار والمذهب، انا الوحيدة التي كنت خارج هذا التوافق، كانت الصدفة الالههم هي ان رئيس الجامعة يوافقني الدين بالوراثة، كان هذا سبباً في ان يكون القرار تحذيراً بدلاً من انتهاء خدماتي في الجامعة، ازعجني ذلك كثيراً، كانت الفتوية والطائفية غالبية على القضية اكثر من فحوى القضية ذاتها، لم يسألني احد لما تفكرين بهذا الشكل؟ لم يناقشني احد الرأي؟ لم يجعلوني اقدم الادلة والبراهين العلمية لما ادعي؟ لم يقدموا لي أي دليل، هم حتى لم يناقشونني، بدأ الامر وانتهى ولم يسألني احدهم إلا سؤالين، الاول: ما هي ديانتك ومذهبك؟ والثاني: الى أي حزب تنتمين؟

رجعت الى العمل في الجريدة، كان الضجر يغلب على كل تصرفاتي وما ان انهيت عملي رجعت الى البيت فاتصلت بي (سارة) فأنا لم التقيها منذ عيد ميلاد (احمد)، وعدتها بأن نلتقي في المقهى عند الساعة السابعة. التقينا، وجدتُ الفرصة مناسبة لأعترف لها عما كتبتهُ (لأحمد)، اخبرتها كيف جرى الموقف، الغريب انها لم تتعجب من الموقف، ظلت صامته الى ان انهيتُ حديثي، طلبت (سارة) القهوة لنا مجدداً، لم انبها مجدداً اني لم اعد

اشرب القهوة (سادة)، اوصت من تلقاء نفسها النادل بقهوتين احدهما متوسطة السكر والاخرى (سادة).

أتكأت بكف يدها اليمنى على جبينها، وبعد ان ابعدهٔ عنه، غيرت جلستها...  
قالت: كان لدي احساس انك ستستبقين الاحداث وستبادرين، ولكن لم اكن متوقعةً أنك بهذه الجرأة، توقعت انك ستلُفتين انتباهه ببعض التصرفات والنظرات فحسب.

اتكأت بظهرها على الكرسي وقالت مبتسمة: نظرائكٍ لهُ كانت جريئة للغاية في عيد ميلاده، كنتُ خاشعة لعينيه وكأنك تؤدين صلاة.  
قلت لها: لي الحق، انا احبه، لا بل اعشقه، وكان قلبه ينبض بالياسمين بدل الدم.

ضحكت (سارة) وشربت من قهوتها، قالت: ما كان هنالك ضرورة لأن تكتبي له، عيناك حينها قالت كل شيء، تمنيت لو انني استطيع اخراج مرآتي الصغيرة من حقيبتي واقول لك أنظري لنفسك، انظري لعينيك كيف تود قضمُ بعضاً من وجهه.

قلت: أتمنى لو تنطوي اطراف الارض على بعضها لنلتقي.  
في هذه الاثناء رن هاتفي، تفاجأت كثيراً عندما اخرجت هاتفي ورأيت المتصل، نظرت الى (سارة) ونظرت الى هاتفي، كان المتصل (احمد)، انا كنت اتمناه للتو...

اجبْتُ على الهاتف، قال لي: مساء الخير (قمر)، كيف حالك؟  
اجبته: مساء النور (احمد)، انا بخير، وانت؟

قال: انا بخير، هل استطيع رؤيتك؟

قلت: اسفة، انا جالسة مع صديقتي (سارة) الان، لا اعلم متى سأتركها.

قال: انا اسف، وددتُ التحدث معك في بعض المواضيع، في كل صباح القاكِ على عجل، لا املك وقتاً للتحدثُ معك، نحن نلقي التحية فحسب.

قلت له: يمكننا ان نلتقي يوم غد.

قال: يا ليت، سأنتظرك يوم غد لتناول العشاء في المطعم المُطل على البحر في الساعة العاشرة مساءً، اتصلت بك لأنني لن اراك صباح الغد، سأذهب الى الجريدة في الصباح الباكر لتزويدهم بمقالة كتبُتها، بعدها سأذهب الى وظيفتي.

قلت له: اتمنى لك كل التوفيق، سأراك مساء الغد.

القيتُ عليه تحية الوداع، وتمنيت من الشمس ان تشرق وتغرب على عجل لألقاه.

انهيتُ اتصالي وانا ارى (سارة) تنظر لي بغرابة...

قالت: تمنيته للتو فأتصل بك، هل لديك اطلاق على كتب السحر؟ ام ان حظك وافر لهذه الدرجة حتى تُلبى امنياتك بمجرد التمني؟

قلت لها: تعبتُ من انتظاره.

قالت سارة بأبتسامة مزاح: لما لم تقولين له بأنك متعبة؟

اجبتها ضاحكةً: كيف هذا !!!! يجب ان اكون بالصلابة الكافية لأضع التوازن بين اعترافي بحبي له وما بين الايام القادمة، لا اريدهُ ان يتوقف عن الاشتياق لي، متى ما توقف الاشتياق، سيتوقف الكلام الجميل.

انتهى لقائنا، رجعت الى عُرفتي افكر فيما سأقوله غداً، من اين سأبدأ؟ كيف سأتنهد؟ هل سيمسك يدي؟ ماذا سأرتدي؟ كيف سأصفف شعري؟ كيف سيمضي الوقت؟

غداً ليس لدي الكثير لأقوله، أنا لا أومن بجمال البدايات.

لم افكر كثيراً فيما سأقوله، لم اعر الاهتمام لكلام اللسان، املك ما يكفي من فصاحة العين، عيني ستبوح بلغتها بكل ما اود، قررت ان اغير تصفيقة شعري يوم غداً، سأكون متأنقة اكثر لو غيرتها.

جاء الصباح المُنتظر، جاء اليوم الذي حلمتُ به، في هذا الصباح تغير كل شيء الى الاجمل، حتى اغاني (فيروز) اصبحت تطربني اكثر.

جاء (صالح) ليعكر صفو يومي الجميل، لم يكن كالمعتاد، القى تحية الصباح وأجبتُه بصوت مزعج، جلس امام مكتبي...

قال: قمر، كيف حالك؟

شغلت نفسي بمجموعة اوراق كانت امامي، قلت له: انا بخير.

ابتسم ابتسامة الشامت وقال: سمعتُ عنك اخبار سيئة منذ يومين، ماذا حصل بشأن الشكاوى المُقدمة بحقلك في رئاسة الجامعة؟

غضبتُ غضبٌ شديد، قلت له: عندما تتكلم معي انتقي الالفاظ الجيدة، لا تسمي الشكاوى الكيدية (اخبار سيئة) فأن معناها ليس جيداً للهولة الاولى، ثم ما شأنك انت وشأني، لم اطلب منك أي مساعدة.

قمت من مكتب لأخرج من المكان الذي يتواجد فيه هذا الانسان، وقف هو ايضاً..



قال: انسة قمر، انا اعتذر، ان اردت الاطمئنان عنك فحسب.

قلت له: شكراً لك، سأكون بخير لو تركتني وشأني.

خرجتُ من مكتبي الى القاعة الدراسية مسرعةً على امل ان لا يلحق بي، كم اكرهه، انه عديم الاحساس، عديم الكرامة، لحق بي، ظل يناديني حتى اثار انتباه كل من في اروقة الجامعة، التفتُ بضجر..

قلت له: نعم.

قال: ارجوك، لا تغضبي مني ، وددتُ تقديم لك اي مساعدة إن احتجتِ لشيء، سبق وان نبهتُ الكادر التدريسي قبل ايام بأنك لم تكوني تقصدي الاساءة لأحد او.....

قاطعته كلامه، قلت: من أذن لك بالكلام نيابةً عني؟ انت لا تعلم ان كنت اقصد الاساءة ام لا؟ كيف تعلم ماذا يدور في ذهني؟ ارجوك اتركني وشأني، انا اشكرك لسؤالك عني ولكنني سأكون ممتنة لك ان تركتني وشأني.

لم اسمع الرد منه، تركته ومشيت مُسرعة، دخلت الى القاعة الدراسية وأغلقت الباب بقوة، لاحظ الطلاب غضبي، القيت عليهم التحية وباشرت بألقاء المُحاضرة ليخف التوتر الذي بداخلي وانسى تطفل هذا الدليل.

حل المساء، اقترب الموعد، ذهبت إليه وانا احبه اكثر، هو شريك في العمر والروح والجسد، قررت ان اسميه "رفيق الروح" فهو يسكن الروح ويمكث الاحداق.

كان موعداً في احد اجمل المطاعم في المدينة، مكان في غاية الجمال يشرف على البحر، ذهبت، دخلت الى المطعم، شاهدتهُ جالساً على طاولة في احدى زوايا المطعم، كان ينتظري.

رأيتهُ جالساً يَنْظُرُ باتجاه البحر، كانت اصوات امواجه جميلة جداً، وقفت خلفه وابتسمت، شاهدني بانعكاس الزجاج الذي امامه، التفت مسرعاً ثم وقف، توقفت معهُ اصوات موج البحر، هل انا لم اعد اسمعها؟ ام انها توقفت بالفعل؟

كان انيقاً، ارتدى بدلة سوداء و ربطة عنق نُشأبُها، كان الحُسن ينبثق من وجهه كالبركان في ساعاته الاولى، كان شمساً وقت الشروق في اول ايام الاعياد.

استمر لثوان ينظر لي، ابتسمتُ له كثيراً، لم اجلس، انا اعشقه كثيراً.

وقف ومد يده لمصافحتي، قال: اهلا وسهلاً، اشكرك لتلبيتكِ دعوتي.

خطف النظر سريعاً لثيابي، تحرك حاجبه الايسر حركة تعجب، ابتسم، ترك يدي...

قال: تفضلي بالجلوس.

جلستُ امامه في طاولة مخصصة لشخصين، وجدتُ امامي ورقة مكتوبٌ فيها عدة اسطر، وضعتُ بشكل مائل لتكون امام ناظري حين اجلس، مسكت الورقة، عرفت انها رسالة ترحيب بي كتبها (احمد) و وضعها امامي قبل مجيئي.

نظرتُ إليها ثم نظرتُ إليه..

قال لي: افتحيها فهي لكِ.

فتحت الورق فأنهمر منها الغزل، كُتِبَ فيها....  
"اتمنى ان لا يَغَارَ البحرُ من جمالِكِ فتثور اواجه  
أنا بحاجة الى الهدوء  
اتمنى ان لا يغار منكِ القمر  
فأنا بحاجة لضيائه لقول الكثير  
وأنت اليوم اجمل منه بكثير  
يا سيدة التفاصيل الجميلة  
مرحباً بكِ على هذه الارض  
هذه الارض الجديدة  
بعد ان جعلتني أولد من جديد"

حالما انتهيت من قراءتها، مسكتها بيدي ونظرت إليه، وجدته يدقق كل تعابير  
وجهي وانا اقرأ ..

قال: مرحباً بكِ، اتمنى انها أعجبتكِ؟

قلت بخجل: هذا من لطفك وحسن ذوقك ان ترحب بي بهذه الطريقة.  
جاءنا النادل، تكلم مع (احمد)، انتهزت الفرصة لأرسم كلماته في أوردة قلبي،  
وضعتُ الورقة في حقيبتي، اوعزنا الى النادل بطلباتنا ثم ذهب، وضع (احمد)  
كلتا يديه الى الطاولة...

قال: قمر، انا اود ان اشكرك للمرة الثانية، انا عاجز عن شكركِ، انا سعيد جداً  
بمعرفتكِ، لأنني تمنيتكِ قررت ان احتفل بعيد ميلادي، كان كل شيء مصنوعاً

لأجلك، كما قلت لكِ انا لم اجد الطريقة التي اقترب لكِ بها سوى هذه المناسبة وكادت ان تفشل لولا انكِ انقذتها في الوقت المناسب كما انقذتني من الوجدة التي تغلب اوقاتي واوراقي.

قلت له: انا سعيدة جداً لمعرفتك، انت انسان مهذب و ذو خلق، ولكن دعني اسألك، ما هو تاريخ ميلادك الحقيقي؟

قال: نسيته، لا اريد ان اتذكره، تاريخ حُبكِ لي هو تاريخ ميلادي، ولكن الاهم، طلبتُ منكِ الحضور كي اراكِ اولاً، جمالكِ يحتاج لساعات من النظر، انت فاتنة، ثانياً اود ان اعرفكِ بنفسي اكثر واتعرف عليكِ اكثر.

استمررتُ انصتُ للكلامه وهو يتحدث لي عن حياته، كان لطيفاً، حتى الطعام كان له طعمٌ خاص بالقرب منه.

حدثني عن نفسه، عن طفولته، كيف تربى بين اسرةٍ صغيرة تتكون من اب وام وابن وابنة، كان ابوه مُزارعاً بسيطاً في قريتهم في اقصى الجنوب، لهُ اخت واحدة تكبره بخمس سنين، متزوجة من احد اقاربه وتسكن في قريتهم، اكمل دراسته الجامعية في المدينة واضطر للسكن اغلب اوقات السنة في المدينة لبعُد الجامعة عن مكان سكناه.

بعد ان انهى دراسته الجامعية قرر ان لا يعود الى قريتهم، وذلك لسبب مهم وهو عدم وجود فرص للعمل هناك في مجال غير الزراعة، إلا ان السبب الرئيسي كان سرّاً يحتفظ فيه وافصح لي عنه، كان لا يحب الحياة الروتينية التي تفتقد للإنجازات الدائمة والنجاح والتقدم، وهو مُحق في ذلك، لأن

الذين يقطنون في الريف تتكون حياتهم من شقين، يزرعون المحصول في موسمٍ ليحصدوه في موسمٍ اخر، لم يرضى ابوه عن سفره، لكنه اقنعه. كان مُثابراً، هو الوحيد من بين ابناء عمومته من اكمل دراسته، كان يجبره اباه على العمل في المزرعة، دون الذهاب الى المدرسة، وخصوصاً عندما حصل على الشهادة المتوسطة، فأغلب الفلاحين يعتقدون انها مرحلة علمية متقدمة ويكفي ما حصله من العلم ومعرفة الى هذه المرحلة وعليه ان يتزوج وان يُكون اسرة وان يمسك زمام العمل مع ابيه ولكنه خالف قوانين قريتهم، ودفع ضريبة ذلك سهراً طويلاً، هذا طبيعي لأن "من طلب العُلا سهر الليالي". كان يخرج في الصباح الباكر للعمل مع ابيه ويضطر للسهر ليلاً للدراسة، مع تحمله ضجر ابيه كلما اراد الذهاب الى المدرسة، الى ان قرر انه يكمل دراسته الجامعية واستقر في المدينة، بعد تخرجه اضطر للعمل في الاعمال الحرة الى ان حصل على وظيفة محترمة، ثم أستأجر منزلاً خاصاً به وهو المنزل الذي يجاورنا.

يشكو (احمد) من اصدقاءه الذين يخالفوه الرأي، منذ ايام الدراسة وحتى بعد توظيفه، كان يتحذر من الدخول في نقاشات سياسية في وظيفته ولاسيما وانه قد اقسام يميناً لأبيه انه لا يفعل ذلك، كان كثير النقاش السياسي في قريتهم منذ ايام دراسته والى ان ابتعد عنهم واكتفى بزيارتهم بين الحين والآخر. أخبرني عن ما كان يقوم به من توعية لهم في المساجد، كان يستغل الاوقات المسائية، كان يذهب الى الكنيسة ايضاً، بعد ان ينتهي القداس يحاول ان يلقي بعض الكلمات في حُطبة صغيرة، استمر بالعمل جاهداً حتى اشتكى الناس

لأبيه، واخبره البعض ان الحزب الحاكم بإمكانه ان يزج به في السجن وان يتهمةً بثهمٍ سياسية، بعد ذلك انتاب اياه الخوف الكثير، فقرر ان يمنعه منعاً باتاً من أي نشاط سياسي.

كان ذلك سبب جيد في ان يسمح له بالسفر خارج القرية وان يبتعد عن الناس الذين اشتكوا منه ومن شعاراته، إلا ان له روح وطنية جميلة نابعة عن ثقافة وعن اسلوب واعي في نشر الافكار دون تسقيط الغير او التلطف بألفاظ نابية بحق من يخالفه الرأي.

كانت مقالاته جميلة للغاية، تحدثنا عنها قليلاً على العشاء، إلا انه في الاونة الاخيرة بدأ يحرض القراء على التظاهر سلمياً ليجبروا الحكومة على تغيير بعض الوزراء والمناصب السيادية، اخبرته بأن هذا الموضوع اصبح بالغ الخطورة.

من محاسن بلادنا وجود عدداً من التيارات والاحزاب بحسب تعدد الاديان والمذاهب والقوميات، كان القمع التام للمعارضة امرٌ صعب للغاية على الحزب الحاكم، ولكنه يتمكن من القمع الجزئي في بعض الاوقات ذريعة الحفاظ على الامن العام، وهذا يدل على ان حرية التعبير لا زالت بخير في بلادنا، وان بإمكاننا ان نكتب ما نشاء من اعتراضات في الصحف او في البرامج التلفزيونية.

استمر نقاشنا حول عائلته وفكره السياسي الى ان انتهينا من الطعام، مر الوقت بسرعة، كان الوقت برفقته كأنه قطعة من الخيال، وكأن آلة الزمن قد توقفت عن حساب الزمن، افتقدت النظر لساعتي، حتى اني لم اعر انتباهي

لأي شيء بقدر ما انتبهت لملامح وجهه وطريقة كلامه واناقلته في الحديث والتعبير.

بقينا جالسين في المطعم لمدة ساعتين او اكثر، لا اعلم الوقت تحديداً وشفته تتحرك امامي، انتهى حديثنا بعد ان تكلمت بشيء موجز عن ما مضى من حياتي، تكلمت عن الجانب المشرق فحسب، لم اعث في ركام ذكرياتي الحزينة، كان الوقت ليس مناسباً لذلك، كان الفرح يملئ الدنيا فلا داعي لذكر السنين العرجاء.

خرجنا من المطعم، طلب مني ان نسير قليلاً بجوار شاطئ البحر قبل العودة، كانت اسعد لحظات حياتي، سرنا بخطوات بطيئة، كان الجو ساكن، سكن البحر ايضاً، صمتنا في اللحظات الاولى، وبعد ان اشعل سيجارته، بدأ بالكلام

...

قال: عندما حضرت الى مقر الجريدة لم يخطر ببالي انني اعرفك، تفاجئت كثيراً حينما رأيتك تخرجين من المنزل المقابل لمنزلي، انا اعجبت بك كثيراً حين رأيتك، اعجبت بمظهرك الانيق وجمال وجهك، وفي المرة التالية حين جئت الى صحيفتكم ولم اجد المدير وجلسنا نتبادل الحديث فوجدتكم تعرفين نوع قهوتي، حقاً، الى الان لم اعرف كيف عرفتي ذلك؟ وقتها زاد اعجابي بك كثيراً.

ابتسمتُ خجلاً، قلت: انا حَمَنت ذلك فحسب، لطالما انك تكتب المقالات السياسية فمن المؤكد انك من عشاق القهوة العربية.

قال: ألم اقل لك انك انيقة الكلام.

قلت: شكراً.

توقف، وضع يديه في جيبه ..

قال: قمر، هل بالامكان ان ترْبُط بيننا صداقة؟ ليست بمعنى الصداقة لكون الاعجاب غَلَب على بداياتها، لنكون صادقين، نحن في الاصل اصدقاء، ولكنني قصدتُ لو ازدادت علاقتنا قوة وقُرب، هل تمانعين من ذلك؟ انا اود رؤيتك كل يوم، اود الحديث معك دائماً، (قمر) اريدك ان لا تكوني مثل القمر في بُعده، كوني اجمل منه فحسب.

اجبته: يُسعدني ذلك، سبق وان افصحت لك عن اعجابي بك، انت تحمل مميزات هي بعيني جميلة، تسعدني صداقتك.

قال: لم ارى امرأةً مثلكِ من قبل، يزداد اعجابي بكِ كلما يدور بيننا حديث.  
واصلنا السير بعد توقف بسيط ...

سألني: هل لك تجارب في الحب؟ اتمنى ان لا اكون مُتطفلاً بسؤالِ هذا؟  
قلت له: لا لم تُكن لي، تلقيت الكثير من الطلبات، قابلتها بالرفض، السبب كان ببساطة انه لم يعجبني رجُلٌ صادفته من قبل، هل السبب هو عدم النضوج واكتمال العقل، ام بسبب ضيق قناعتي، لا اعلم السبب، الاهم كنت واصبحتُ مثل ما اريد، لم ادخل في علاقة فاشلة، لي منظوري الخاص وقيمي الخاصة في هذا الموضوع، الايام القادمة ستفهمك وجهة نظري وصحتها.

قال: ستتضح لي وجه نظرك، اما عن صحتها فأنا واثق بكل ما تقوله، كلانا الان واقف على مشارف علاقة تخلو من أي مصالح، كلانا ناضجين بالشكل



الذي يُؤهلنا للكلام بثقة، ليس هنالك ما يدعونا للكذب او المجاملة، امل ان لا يزعجك كلامي هذا، ولكنني لن افكر في التأكد من أي كلام اسمعه منك، أنت محل ثقة.

قلت: اشكرك على هذه الثقة، اتمنى ان يكون هذا عهد بيننا، نكون صادقين لأقصى درجة، اقصد ان نقول الصدق ولو كان يزعج احد منا.  
قال: لطالما سنكون صادقين، فلن يزعج احدٍ منا، هذا ما اظن.  
قلت: اتفق معك.

استمرينا بالسير، جلسنا على مقعد لشخصين على الطريق، يُطل على البحر وامواجه، ويعطي ظهره للمدينة بأكملها.

قال: مررت بتجربة حب واحدة، وفشلْتُ فيها، بادئ الامر كان اتفاق عائلي مع ابنة احد اقاربي، تولى ابي الامر بمفرده دون ان يسألني كما هو المعتاد في المجتمع الريفي، كُنت في عمر الصبا وقتها، بذلت جهد كبير للتخلص من هذا الموقف، كان رجائي الوحيد ان لا تبني هذه البنت احلاماً ثم يهدمها رفضي وتظن اني رفضتها هي ولم ارفض فكرة الزواج التقليدي من الاصل، بعد صعوبة كبيرة تخلصت من الامر، اما عن تجربتي السابقة في الحب فكانت ايام دراستي الجامعية، احببتُ زميلةً لي، دامت علاقتنا الى اخر يوم دراسي لنا، طلبت مني ان اتقدم لخطبتها، هي مُحقةٌ في ذلك إلا انها كانت غير مُحقةٌ بشأن ظروفي والصعاب التي سأواجهها بعد التخرج، لم تُقدر الظروف المحيطة بي، لم تمنحني الفرصة، خيرتني بين ان اثبت لها بأني احبها واتقدم لها وبين ان ارفض الزواج وبذلك اكون قد تسليت بعلاقتي بها كما أنهمتني، أثر

هذا الموضوع بداخلي كثيراً، كسرني كثيراً، بُتُّ اخاف من أي علاقة بعد الذي حدث.

قلت له: لما لم تحاول ان تحارب الظروف لأجلها؟ اقدر ظرفك وقتها، لكن لما لم تتحلوا بالصبر الى ان تصطلح الامور؟

قال: هل تعلمين كم كان يلزمني من الصبر وانا اعمل في معمل للنجارة بعد وقت الدوام في الجامعة حتى اوفر قوت يومي، كم يلزمني ودخلي يكفيني للطعام والعيش المشترك مع اصدقائي فقط، كيف سأوفر مصاريف الزواج، كيف سأستطيع ان اكون اسرة وان اتحمل شؤونها بالكامل، لم اكن اريد الجلوس ورأسي الى الاسفل امام ذويها لأنهم افضل مني، لو اعلم انها تقبل العيش في قريتنا لأختلف الامر حينها، نحن نملك منزلاً كبيراً هناك، كما ان العيش هناك ليس بالأمر الصعب في بادئ الامر، ولكن يا (قمر)، هنالك حقيقة لا يمكنني التغاضي عنها، انا كنت رافض هذا الخيار لأنني لا اريد العيش هناك، بعد كل هذا العناء في الدراسة الجامعية صباحاً والعمل ليلاً اعود الى هنالك لكي انام مبكراً!!

قلت له: معك حق، الامر ليس بالهين، اتمنى ان يكون في ما حصل خيراً لك، للرب مشيئة في كل الامور.

قال مبتسماً: كيف لا وانا اجلس مع القمر الان، لولا ما حصل لما جلست امام جمالك الان مغموراً بهذا الكم الهائل من السعادة.

قلت بخجل كل انثى: شكراً لك، هذا من لطفك.

نظرتُ الى ساعتي، وجدتها عند الواحدة بعد منتصف الليل، إلا يُمكن للزمن ان يتوقف لساعتين، لسنتين، لعقدين، تأخرت، لدي عمل يوم غد، لكنني لم اقول شيئاً، شَعَرَ (احمد) بذلك...

قال: تأخرتِ، اليس كذلك؟

قلت له: حديثك شيق، لم اشعر بالوقت اطلاقاً.

قال: تأخر الوقت، جعلتُكِ تسهرين اليوم، هل تُحبين السهر؟

قلت له: في اغلب الايام لا انام مبكراً.

عُدنا سوياً، عُدنا سيراً على الأحلام، كان لقاءهُ اجمل من كل الاحلام التي حلمتُ بها، من كل احلام اليقظة خاصتي، من كل الاحلام التي اجبرتها على الحلم.

عدتُ الى البيت وانا لا ينقصني سوى احتضان يده، افترقنا، صافح يدي ولم يتركها الى ان ...

قال: شُكراً على كل لحظة جميلة كانت بقربكِ، شكراً لتلبيئتي دعوتي، عاجزٌ عن وصف أعجابي بكِ، انا ممتن لكِ، اتمنى لكِ احلاماً جميلة كجمال عينيكِ، طابت ليلتكِ.

قلت له: شكراً لك على هذا اللقاء الجميل، شكراً على ترحيبك بي بالكلمات التي كتبتها لأجلي، اتمنى لك ليلة سعيدة.

كان الموعد جميلاً، اجمل ما في الامر ان كل شيء ظننتهُ كان في محله، وجدته ذو خُلق، محترم ومهذب الكلام، كان كذلك واكثر، لم اكن اتوقع انه قادر على مزج السحر بالكلمات ليكون عبارات لا اعرف ما اسميها، هي احلى من الشعر

واجمل من الغزل، ذوقه في اختيار الوقت والمكان لقول ما يريد ينم عن ذكاءه، كررتُ قولها، هو شديد الذكاء.

مضى الاسبوع مسرعاً، كنت اراه فيه صباحاً فقط، لم التقيه، انشغلتُ بعض الشيء بفترة الامتحانات لطلبتي في الجامعة، لكنني لم انشغل عنه، كنتُ افكر فيه في كل اوقاتي، كنتُ احبه كل يومٍ اكثر، شعرتُ ببعض التقصير لأنني لم اتصل به، لم يتصل هو ايضاً، اكتفينا باللقاء التحية صباحاً.

كدتُ اجزم بأنني اعاقب نفسي، او انني اكبتُ جماحها لأنني اعترفت له بالحب قبله، كان تأنيب الذات يمسك بيدي كُل ما حاولت الاتصال به ليلاً. في الليل كل المفاهيم تختلف، تفرز الاحلام قواها العقلية لتتحقق، لا شيء يحول بيني وبين تحقيق احلامي سوى عزة النفس، بدأت اشعر بأن ايامي تمضي مسرعة، كسير طفلٍ نحو دُميته الجديدة.

في الصباح كل يوم كنت اتمنى ان لا يزداد عمري اياماً، صار العمر برفقته اجمل، وكأنه غير يوم مولدي ومحى الماضي بنظرة من عينيه خلال لقائنا على البحر، بتُ اخاف على جمالي وعلى عُمر الشباب، اخاف على وجهي، اخاف على شكل عيوني، اخاف ان يمضي العمر مسرعاً من شدة الفرح الذي فيه.

لم يتخلل هذا الاسبوع سوى زيارة (يعقوب) ...

(يعقوب) احد ابناء عمومتِي، تربى وعاش في (لندن)، قضينا انا وهو سنوات طفولتنا سوياً لفترة ما بعد وفاة والدي، إلا انهم استغلوا فترةً ما تعرضت فيه طائفتنا المسيحية للتهجير انذاك من بعض المدن فتمكنوا من خلال هذه الاحداث استحصال الإقامة في (لندن) ومن ثم الحصول على الجنسية

البرطانية، كانت صدفة غريبة، صدفة غير سابقة الذكرى، نحن لا نرى اقربائنا إلا في قُداَس الكنيسة وفي بعض الاعياد الدينية، لم يزورنا احد منذ سنين.

طرق الباب، لم اعرفه، مضى دهرٌ على لهونا وطفولتنا، (يعقوب) كان بديناً بعض الشيء، متوسط الطول، لهُ شعر كثيف وصوتٍ خشن، فتحت له الباب...

قال لي: انتِ (قمر)، اليس كذلك؟

اجبته: نعم، من انت؟

قال: انا (يعقوب) ابن عمك، هل تذكريني؟

بعد دهشةٍ، قلت له: تذكرتك، تفضل.

رحبت به بحرارة، دعوتهُ الى الدخول الى المنزل، قبل ان يجلس تفحص البيت جيداً، نظر الى ارضية البيت وموجوداته و تتبع السقف وكل الاضاءة. جلس مع امي، استمروا بالحديث عن افراد عائلتنا، عن اقربائنا الذين هاجروا، من منهم على قيد الحياة ومن منهم عند الرب، استغرقتُ ذلك الوقت في اعداد القهوة.

قدمت لهم القهوة ..

سألني (يعقوب): ماذا تعملين الان؟ هل اكملتِ دراستك؟

قلت له: انا تدريسية في كلية العلوم السياسية، تخرجت من الاوائل فيها، ولدي عملٌ اضافي في تحرير الاخبار لصحيفة محلية.

قال: هذا جيد، اعلم حجم الظروف التي مررتم بها، كان الرب في عونكم، انجزتِ انجازاً عظيماً، هل تذكرين منزلكم القديم؟ هل تذكرين كيف كنا نلعب سوياً عندما كنا صغاراً؟

قلت: احتفظ ببعض الذكريات، مضى على ذلك زمن طويل، الايام التي عشناها بعد ذلك كانت كفيلة بأن تُنسينا كل شيء، كانت حياتنا مُتعبة من دون والدي، مشيئة الرب ارادت ذلك، ولكن اليس من الغريب ان تعود بعد هذه السنوات؟

قال: اكملت دراسة الهندسة المعمارية في (لندن)، قررت ان استقر هنا رغم فرق العيش بين البلدين، انوي تأسيس شركة انشاءات هُنا، فرص العمل هنا اكثر من هناك، والدي لم يكن راضياً بشأن عودتي بسبب الظروف السياسية، وافقتهُ امي الرأي خوفاً من هذا البلد الذي فارقناه لسنوات عديدة، قضينا سنوات ونحنُ لا نسمع عنهُ إلا ما يُعرض على شاشات التلفاز، لم نسمع عنهُ إلا الاخبار السيئة، رغم ذلك قررت العودة، رغم اني اعتدتُ على المجتمع الغربي، إلا اني لا ازال احب وطني، في حقيقة الامر، انا اريد العيش هنا فحسب.

قلت: حرّ انت في اختيارك، لا احد يعلم ماذا يدور في ذهنك واحساسك عن العيش هنا، بلدنا جميل لأننا تربينا على حبه، في الايام القادمة سترى الظلم وتعدد الطبقات في مجتمعه، سترى كيف ان الاحزاب المتنفذة ورجال الدين اصبحوا يملكون البلد مُلكاً صرفاً، اصبحنا نحن فيه (الطبقة الكادحة) فحسب، فنةُ تُفكر في جمع قوتها والبحث عن الامان والاطمئنان وسط

تصريحات السياسيين وحربهم المستمرة على اي الاديان و اي المذاهب التي  
ستدخل الجنة.

قالت امي: قمر، هدي من روعك، ليس الامر بغاية السوء هكذا، اعتقد ان  
تحرير الاخبار اليومية جعلتك تفكرين في الامور السيئة فقط، الصحف لم  
تنشر بشرى الى الناس ذات يوم، لولا رغبة والدك لما جعلتكِ تدخلين كلية  
العلوم السياسية.

ضحك (يعقوب)، قال: قبل قليل وددت ان اقول ان التخصص في السياسة  
لا يليق بالمرأة، خصوصاً لو كانت قمر مثلك.

اجبته ضاحكة: هل تقصد اسمي، ام تقصد القمر؟

ضحك بقوة ثم قال: كلاهما، في الحقيقة قصدت اسمك، أنت اسمك (قمر)  
والقمر لا تليق به السياسة، لم اتوقع ان يكون شكلك بهذا الجمال، انا  
اتذكرك عندما كنت صغيرة، كان شعرك قصيراً ومرحاً للغاية.

اجبته: لا اخفي عنك، دخلت مرغمة لكلية العلوم السياسية تلبية لرغبة ابي،  
لكنني الان احببته، هذا مهم للغاية في البلاد العربية، كي تقرأ الواقع المحيط  
بك وتفهم ما يدور حولك يجب ان تكون سياسياً او فناناً، هنا فقط يمكنك  
ان تتكلم وفق رؤى مجتمعك، وإلا ستعيش في عُزلة وحينها سيكون الامر  
اصعب.

قال: كلامك منطقي، وصلت الى هنا منذ عشرة ايام فقط، كانت في مخيلتي  
صورة غير الصورة التي رأيتها، الوطن تغير بالفعل، لم تتزوجي بعد، أليس  
كذلك؟

قلت له: كلا، وانت؟

قال: انا ايضاً لم اتزوج، العادات والتقاليد في (لندن) بعيدة كل البعد عن عاداتنا، لم اتقبل فكرة الحياة زوجية هناك، رغم اصرار ابي وامي علي رفضت الزواج من مجتمعمهم.

قالت امي: إلا ترى ذلك غريباً، انت سافرت مع عائلتك وانت صغير لم تبلغ الثامنة، نشأت هناك، اظن انك امتلكت من الوقت ما يجبرك على العادات والتقاليد الغربية، انت تربيت على العادات الغربية، لم تتربى على العادات العربية، كيف تشعر بهذا الفرق؟

قال (يعقوب): كبرتُ وانا اطلع على الادب العربي، لم يمض شهر إلا وانا اقرأ كُتب التاريخ العربي، في كل يوم اطلع على اخبار الوطن، لم تُفارقني فكرة العودة منذ الصغر، كان الحلم الاهم وها انا حققته.  
قُلْتُ: اتمنى لك التوفيق في حياتك القادمة.

قال: شكراً لك، في البدء انا احاول البحث عن منزلٍ صغير في حارتنا القديمة، احبها كثيراً، قضيت السنوات السبعة الاخيرة في جمع المال، الان لدي ما يكفيني من تأسيس مكتب او شركة للاستشارات الهندسية، او اني قد اشتري اسهماً في احدى فروع الشركة التي كنت اعمل فيها في (لندن) بحكم خبرتي السابقة.

شعرت من كلامه ان لديه رغبة حقيقية في الإقامة هنا، شعرتُ بأنه مُصر على ذلك ايضاً، ما الدافع؟ لم اعلم، لعل هنالك اسباب دعته من ذلك، (لندن) لا



شبيهه لها، ليس هنالك جمال يضاهاي جمالها عند شروق الشمس، اعتقد ان كل ما ادعى به كانت عوامل ثانوية وهنالك عامل مهم لم يسردهُ لنا. جاء (احمد) الى مقر الصحيفة والتقينا، تكلمنا قليلاً، سلمني مقال اعدّه للنشر، خرج مسرعاً، كان لديه موعداً، خرج ونسي عطره الجميل مُعلقاً في هواء غرفتي، تخيلت انفاسه وهي تُحلق حولي كالنوارس على الشاطئ، حين تُحلق قريباً من سطح البحر لتمتع الناظر دون مقابل.

قبل ان أسلمها الى قسم النشر، قرأتُ مقالته، قرأتُ روعة كتابته، كان له اسلوبٍ انيق في سرد الاحداث وتحليلها، كان يهدف الى وعي الجماهير، قرأتُها ثم شعرت بالخوف، كان يدعو مُتابعيه الى عدم الاكتفاء بالانتماء الى الحزب الليبرالي كونهُ حزبٌ بليد النشاطات ولا يملك الشجاعة للاعتراض على قرار حكومي بسيط، كيف يكتب بحقهم بهذه الجُرأة وهو احد اعضاءه، نادى بتأسيس جبهة من اجل ان يكون لهم صوت مسموع، كان يروم لتأسيس جبهة بتوجه علماني، سلمتها الى قسم النشر بعد ان قطعت وعداً في ان اناقشهُ حول ما جاء فيها حين نلتقي.

كان يوم مشمساً وجميلاً، كان احد ايام عطلة نهاية الاسبوع، التقيتُ (بسارة) وضاع اليوم بأكمله في التبضع، كنت في السابق اشترى كل شيء يُعجبني، اما الان لا ادري، وانا ارى أي شيء اود شراؤه افكر به، لا اعرف السبب، أسأل نفسي حول اي شيء واقول عنه، يا تُرى هل سيعجبه ام لا؟ اشتريت كل شيء يعجبه، اشتريت عطراً يشبه عطره، لم اقتنيه من قبل، رأيتُه صدفة فتذكرت عطره، اشتريته لعله يُقبلي.

كانت السعادة تغمر (سارة)، اكتشفت قبل ايام بأنها بانتظار مولودها الاول الذي طال انتظاره سنوات، لم تكف عن الكلام بخصوص الاطفال، لم تكف عن النظر لملابس الاطفال حديثي الولادة، فرحت لأجلها لأنها الان اصبحت بمأمن من التهم التي تتهم بها زوجها بأنه سيتركها او سيفكر في ان يتزوج غيرها، لم القي عليها أي لوم لأنها عربية الاصل، كانت تقول لي ذلك دائماً وانا احاول جاهدةً بأن امحي هذه الاوهام من تفكيرها، اعرف زوجها جيداً، انسان فاضل ويسعى دائماً للحفاظ على سعادة بيته واسرته، ولكنه وإن فكر في ذلك فلن يلقي اللوم عليه احد، ففي نهاية المطاف هو عربي الاصل ايضاً.

يؤمن كل العرب بأن مشيئة الرب هي الفيصل في منح الاطفال، ولكنهم امام حقيقة لا يمكنهم انكارها، تُفيد هذه الحقيقة بأن عادات المجتمع تتفوق على الايمان بمشيئة الرب، عادات المجتمع اقوى من أسس ووصايا الدين، وذلك لأن سخط المجتمع يأتي على الفور اما سخط الرب وغضبه فإنه مؤجل ليوم الحساب، وهنا يكمن الفارق.

الان، تغير كلامها جذرياً، قضت الوقت بأكملها تُحدثني عن زوجها، اشترت له البسةً جديدة، مضت فترة طويلة على اهتمامها هذا، لم تعد شكوكها تحوم حول زوجها وعودته متأخراً في الليل، لم تعد تتكلم حول مواعيد عمله ان كانت للعمل ام لخيانتها، لم تتكلم عن مراقبتها لسجل اتصالات هاتفه بعد ان ينام، قررت ان لا تُفتش ثيابه بعد عودته من العمل بحثاً عن عطر امرأة، ابدأت من الان بمدحه.

اخيراً اكتشفت بأن الأيام ثبتت لها انه لن يتركها، الايام ثبتت لها وليس  
(الحمل) على حد قولها!!!

لم ادع الاستغراب يهيمن على ملامح وجهي وهي تتكلم، لم اود ان اشعرها  
بأنها كانت مخطئة، فكرتُ في تأجيل ذلك حتى لا افسد عليها سعادتها.  
وكانه يعلم ما في داخلي، كنت أفكر به وانا اتجول في الاسواق، استمعُ (لسارة)  
وفي خاطري كلماتٌ جميلة قالها لي في اخر لقاء لنا، كُنّا صامتين وسط حديثٍ  
ما، التفتت ألي وقال ...

"وكانك لي ..

لأنك ألمتني حين رأيتك اول مرة

وكانك كسرتي ضلعٌ من اضلاعي لتُخلقي منه"

اتفقتُ مع رفيق الروح بأن نلتقي، وقت غروب الشمس على ذلك المقعد  
المُطل على الشاطئ، ذات المقعد الذي جمعنا بالصدفة في اخر مرة، حين  
سرنا بجانب البحر ثم جلسنا لنكمل الحديث.

وصلت الى الموعد ولم اجده، تفاجئتُ، التفتُ يميناً ويساراً ولم اجده،  
جلست انتظره، مرت دقائق تزامنت مع غروب الشمس، بدأ النسيم البحر  
يصبح أعذب، خفتُ من أن تغرب الشمس ولا يأتي، منظر الغروب كان  
جميلاً، كان اجمل لو انه جاء في وقته المُحدد.

شعرتُ بأن احدٍ ما قد أتكى على مسند المقعد الذي اجلس عليه، شعرتُ  
بأنفاسه وهو يتنفس بالقرب من شعري، اخافني الموقف لولا عطره الذي

فضح امر قدومه متخفياً من خلفي، استنشقتُ عطره، لم استدر، اغمضت عيني لأنصت لأنفاسه، بقينا لثواني دون كلامٍ او حركة، اقترب من اذني اليسرى وهمس قائلاً: "انا احبك"

هز كلامه اركان فؤادي، نبض القلبُ سريعاً، هممتُ في التفكير، هل اردُهُ بمثلها ام اترث؟ انا لست حائرة، انا لن اجامله، انا احبهُ بالفعل، بل انا اعشقه كثيراً، انا تجاوزت حدود حبه، انا اهيم به، انا مرتبكة جداً، انا لا اقوى على الحركة، انفاسه قرب رقبتني جعلتني اتجزأ لأجزاء صغيرة، تناثرتُ، اخذني نسيم البحر الى الهباء، ضعت بين انفاسه، رقبتني ترتجفُ من جمال شفاته، شفاته التي تثير العطش في اناء القبل.

فتحت عيني، التف من خلفي وجلس بقربي، نظر في عيني، لم املك وقتها غير الابتسامة، لم اقل شيئاً، نظرتُ في عينيه قليلاً ثم انحنت عيناى خجلاً بحكم الأنوثة، لم اقوى التمعن في عينيه طويلاً، انا منهمكة جداً.

قال: مساء الخير.

اجبتُهُ: مساء النور.

قال: لن اعترض على صمتك، صمتك الف كمنجا تعزف معاً، انا مستمع بالانصات لهذا العزف، انا صادق معك، انا احبك، احببتك لأن لا شببه لك ولا على الارض سواك، لا ابالغ في وصفك، صدقيني انتِ الحلم الذي اريد تحقيقه، انت اكثر مما كنت اتوقع، لا اريد ان نكون اصدقاء بعد الان، انا احبك، انا اريد امتلاكك.

قلت: انت انسان رائع، اصدق كل مشاعرك، عيناك تُعطي الادلة لكل ما تقول وانا لست بحاجة لأي دليل، شكراً لكلامك الجميل.

قال: احببتك وهذا الموضوع لا نقاش فيه، لكنني اود التكم في وجهة نظري عن الحب، كيف أفسر الحب، هناك مفاهيم لو اتفقنا بشأنها سنتفهم بعضنا دون ادنى شرح لأي موقف يصادفنا، انا ارى الحب هو ارتباط الروح بأخرى تُشأبها، لا يقبل الحب غير ذلك إطلاقاً، لا احب مُسميات الاشياء وتهاني الاعياد، احب نظرة العين مُتهالكة الشوق في كل يوم، ابغض كل شيء ينتابه الملل، احب شغف الكلمات حين نقولها، اود التوحد فيك والاستغناء عن اشعة الشمس، احب ان نكون بلا عقل باطن، بلا تفكير، بلا تحليل للكلمات، لا نكثر لما ينتج لقاؤنا من أثار، احب ان لا نندم على ما نفعله بحكم المشاعر، احب ان نصت للأحاسيس العفوية، احب ان يكون الاحترام اساس كل افعالنا، احب ان يكون التعبير عن ما في داخلنا كطائر حر ينتابه الفرح، اريد ان يكون حُبنا ابدياً وعشقنا لامتناهي، احب ان لا ننشغل بالتفكير بالغد، احب ان نسير بأخلاص بحسب ما توصي به الاحلام.

بعد الصمت لثوان، قلت: انا ارى الحب كما يراه (القباي) أو من بكل ملامح الحب التي يرسمها، أو من بوصاياهم للعاشقين الجدد، حين عَرَفَ الحب وقال:

الحُب ليس روايةً شرقيةً بِختامها يتزوج الأبطالُ

لكنه الإبحار دون سفينةً وشُعورنا ان الوصول محال

هو أن تظل على الأصابع رَعشةً وعلى الشِفاه المُطبقات سؤال

هو جدول الأحزان في أعماقنا تنمو كُروم حوله وغلغل

هو هذه الأزمان تَسْحَقْنَا مَعاً فَنَمُوتُ نَحْنُ وَتُزْهِرُ الْأَمَالُ  
هو أن نَثُورَ لِأَيِّ شَيْءٍ تَافَهُ هُوَ يَأْسُنَا هُوَ شَكَّنَا الْقِتَالَ  
هو هذه الكَفُّ الَّتِي تَغْتَالُنَا وَنُقَبِّلُ الكَفَّ الَّتِي تَغْتَالُ

ابتسم، حرك حاجبيه تعجباً، قال: نزاريةُ الهوى انتِ، اختصرتِ الكثير من الكلام، لو تحدثتِ أولاً لما قلتِ كل ما قلتُهُ، شعرتُ بأنكِ تختلفين عن عامة النساء، شعرتُ بذلك منذُ ان رأيتكِ اول مرة، انتِ خارج الاعراف التي اعتدن عليهن كُُل النساء، الان عرفتِ لم تملكين هذا الكم الهائل من الجمال. كانت حقيقتي اليدوية على قديمي، كنتُ قد اتكأتُ عليها وانا احادثه، اراد ان يقول شيئاً ولكنه استبق الامر، احتضن يدي اليمنى بكلتا يديه، وخلال أجزاءٍ من الثانية جَعَلَنِي اشعرُ بخمسين عاماً من العشق، لم اكن اعلم ان لمسة يده لها لُغَةٌ خاصة، لم اكن اعلم ان اصابع اليد تعرف الغزل، ينبض الان قلبي مسرعاً، بعد ان اغمره نوع جديد من الفرح، اغمضتُ عيني من شدة جمال هذه اللحظة، انا لي الف عذرٌ وعذرٌ لأغمض عيني، لم يحتضن يدي احداً من قبله، اشعرُ بأنها بين جنحي ملاك يمتاز بالعفة ..

قال: قمر، انا احُبكِ، أعدكِ بأن أكون مُخلصاً لكِ.

قلت: انتِ انسان نقي، انا متأكدة من ذلك.

سحب يده مني، أتكَأَ بظهوره على المسند، قال: اريد ان اخبركِ سرّاً.

قلت: ما هو هذا السر؟

قال: أتذكرين حين جئت الى مكتبك في الصحيفة في ثاني لقاء لنا لاسأل عن المدير، أتذكرين الحديث الذي دار بيننا بعد ان طلبت لنا القهوة؟  
تذكرتُ كل لحظات الارتباك وقتها فابتسمت، قلت: نعم، اتذكر ذلك اليوم.  
قال: كنتُ قد جئتُ لأجلك، كنت اعلم بأن المدير لن يأتي في ذلك اليوم، اتصلتُ به قبل ان ادخل الى بناية الصحيفة.

اسعدني اعترافه هذا، كأنه سَحَق كُل لحظة ندم ألمت وجداني، تلك اللحظات التي لقنتني درساً قاسياً لأنني سبقتُهُ في الاعتراف بالحب، محي كل ما انتابني من قلق، اخذ من كف يدي سوط التائب الذي انبثُ به ضميري منذُ اليوم التالي لحفل عيد ميلاده وكسره.

لم اجعل ملامحي تتأثر بما قال، اجررُها على الكتمان ..

قلت بهدوء: لماذا؟

قال: لأنك اعجبتي في اول مرة رأيته فيها، من حسن حظي اني تمكنتُ من فتح حوار معك لبعض الوقت، تعرفتُ عليكِ اكثر، زاد اعجابي بك، فرحت لعدم وجود خاتم زواج في يدك اليسرى.

لم اقوى على كتمان ابتسامتي اكثر، ابتسمتُ ..

قلت: حقاً، كان لقاء جميل للغاية، كنتُ مرتبكة بعض الشيء.

قال: صحيح، خصوصاً بعد ان طلبتي لنا القهوة ونسيت يدك على سماعه هاتف المكتب.

قلتُ ضاحكة: ذلك صحيح.

قال: حقاً، كيف عرفتي قهوتي انذاك؟

قلت: خَمنت ذلك فحسب.

تحركت شفاه إيماءً بعدم القناعة ..

قال: انتِ شديدةُ الذكاء، ذكائكُ اول شيء اثار انتباهي لكِ، جمالِكِ كان ثانياً،

وثالثاً اُسْمُكِ، تمتلكين اسماً جميلاً، من وهبكِ إياه؟

قلت: ابي، لكنه توفي منذ ان كنت صغيرة، اهتمت امي بي، تكفلت بتربيتي الى

ان كبرت، مررتُ بأيام صعبة ولكنني اشكرُ الرب على ما وصلتُ إليه، ورثتُ

من ابي الاصرار على المبدأ وعدم التلون، ورثتُ عنه الكتمان ايضاً.

قال: يرثُ الانسان اغلب أسس حياته من امه وابيه، يرثها مرغماً كما يرثُ

شكل وجهه منهما، نرثُ الدين والمذهب والاخلاق مع كُنيتنا واسماؤنا،

نعتنق الدين بالوراثة لا بالأيمان.

قلتُ: انا مسيحية، هل تعلم ذلك؟

قال: نعم.

قلت له: وكيف تَعلم؟

ضحك بصوت عالٍ، قال: خمنت ذلك فحسب.

ضحكنا سوياً، قلت له: قل لي الحقيقة، كيف عرفت ذلك، انا اسمي لا يدل

على شيء؟

استمر بالضحك، قال: لستِ وحدكِ قادرة على التخمين، انا املك هذه

الخاصية ايضاً.

غَمرنا الضحك، اخرج عُلبة سَجارته فأخرج منها سيجارة، وضعها بين

اصابعه، وقبل ان يُشعلها ..



سألني: هي يزعجك دُخان سجائري؟

اجبتُهُ: كلا.

قال: لأول مرة اسمع هذه الاجابة، في كل مرة اجلس في عملي او عند اقاربي وتكون في وسطنا امرأة واستأذن منهم لأدخن لا يسمحون لي، هل يروق لك

السيجار؟

قلت: كلا البتة.

قال: ما السبب اذاً؟

قلت: لأنني أُحبك.

وهو ينحني لأشعال سيجارتهُ غلبتهُ الدهشة، بقيت سيجارتهُ بيده غير مُشتعلة، اندهش كثيراً حتى ترك سيجارتهُ، التفت ألي، ظل يُنظر في عيني لعدة ثوان، لم تُرمش عيني ابدأً، بقيت نظراتي تردد ما قُلت دون ان ينتابني الخجل ...

قال مُبتسماً: انا سعيدٌ جداً، كيف لي ان اشكرك.

قلت له: اشكرني بقصيدة.

للمرة الثانية كان ينوي اشعال سيجارتهُ وتوقف، اعتلى صوت موج البحر

وانخفض ...

قال: كيف عرفتِ انني اكتب الشعر؟

ابعدتُ حُصلَةً من حُصلات شِعري الى الورا ..

قلت مُبتسمة: خمنتُ ذلك فحسب.

رعى سيجارتهُ على الارض، صبغ كلامهُ بالجدية ..

قال: اريد معرفة الحقيقة، لا تقولي لي خمنت ذلك، قولي لي الحقيقة، كيف عرفت ذلك؟

قُلت: من عينيك تارة، ومن مقالاتك تارة أخرى، تأكدت من ذلك من طريقة كتابتك، قرأت جميع مقالاتك، كانت طريقة سردك للكلام متناسقة وجميلة، عينك الجميلتين تشير بكل ايحاءاتها بأنك تكتب، تكتب ما تشعر.

قال: لا يعلم احداً بهذا الامر، لم اكتب إلا لشخص واحد فقط، كتبت له العديد من القصائد ولكنني مُحْتَفِظُ بها، لأول مرة كتبت لمن احببت قبلك، كانت البداية من هناك، استمر الامر جيداً حتى تركتني، طلبت منها وقتئذ ان تعيد لي كل قصائدي، هي لا تستحقها حتى ولو باتت متروكة، انا مُحْتَفِظُ بها في بيتي، لم يقرأها احد ابداً، لم اكتب بعدها، انشغلت بالشأن السياسي وكتابة المقالات السياسية والاقتصادية.

قُلت له: هل ستكتب لي شعراً؟ ألا تود تلبية طلبي؟

قال: ذكرتني بأشياءٍ دفنتها منذُ سنين، كنتُ اكتبُ لها كل يوم، يا ليئها كانت تستحق، ايقنتُ في نهاية الامر أنها كانت لا تستحق حتى حبر القلم الذي كنتُ اكتبُ به، (قمر)، انا اسف لأنني اتحدث بشأنها ولكنك اعدت لقلبي النبض، انا سعيد جداً لأنك من محبي الشعر، هل لديك موهبة الكتابة؟

قلت له: اكتب، لكنني لا احتفظ بما اكتب، اجمع ما اكتب اسبوعياً ثم ارميه في سلة المهملات، الكلمات الوحيدة التي نقشتها على جدار الكون وكتبُ لها بأن تبقى خالدة هي تلك التي بعثتها لك برفقة هدية عيد ميلادك الجميل، هي

الكلمات الوحيدة التي وُلدت بصحة جيدة وكتب لها ان تعيش، لم تُدفن تحت الاحباط.

غيرت شكل جلوسي، جلستُ مُتكاتفة الايدي ..

قُلت: للمرة الثالثة اكرر طلبي، هل ستكتب لي؟

بأبتسامة تفوق القمر الذي فوقنا جملاً قال: كُنْتُ اتهرب من طلبك، لا اجد ما اكتبه الان، ارهقتني انوثتك، انتِ جميلة للغاية، احتاج لعدة لغات للتغزل بك.

قلت: انا لم احدد الغزل، انا طلبتُ ان تكتب لي فحسب ..

قال: ما كتبتهُ من قبل لم يكن لأجلك، انت لا تستحقين شعراً لم يكتب لأجلك، انت تستحقين مشاعر مولودة للتو، قصائد ثملة للغاية من اثر عطرك، انت الان ضوء الشمع على طاولتي الصغيرة، تبعثين النور لأوراقك عندما اكُتب، سأكتب لك، سأحرق كل ما مضى لأبدأ من جديد، أعدك بأبياتٍ مجنونة بك، أعدك.

قلت: حسناً، سأنتظرك.

حدثتهُ عن مقاله الاخير، شرحتُ له خوفي عليه من الوضع الامني والاقصاء لكل الاقلام المعارضة للحزب الحاكم، جعلني انسى ما كنتُ اود قوله، كُنّا جالسين ننظر الى البحر، لم نكن نتكلم وجهاً لوجه، تقرب قليلاً مني، طلب ان يضع يده خلف ظهري، اصبحت نظرات اعيننا امتداداً لأمواج البحر، لم يعد ينظر الى عيني، استغليتُ الموقف لأغمض عيني كثيراً وافتحها قليلاً، لم انظر لوجهه كنت انصت لأصابع يده فقط، كانت اصابعه تلامس كتفي،

كانت تتحدث لي، كان لها صوت ولغة، كاد قلبي ان يتوقف من شدة النشوة، ووددت ان يأتي بيده الاخرى ايضاً، تمنيت لو تلتف كلتا يداه حولي، تمنيت لو يطبقها عليّ حتى تتهشم اضلعي.

حدثني عن مشاريعه المستقبلية، عن كل ما كان ينوي إليه، حدثني عن اتباعه الذين يراسلوه وهم مؤيدين لمبادئه وتطلعاته، شعرتُ هذه المرة بأنه يتكلم من مُنطلق قوة بعد ان صار له مؤيدين واتباع، استمرينا بالحديث، واستمرت يده بالعبث بمشاعري، استمر حتى نسيت لفترات طويلة بأن اتنفس.

حجم السعادة التي تغمرني الان تُمكنُ قلبي بأن يتوقف عن النبض، كنت انوي الاعتراض على الكثير من مبادئه وقيمه، كنت اريد ان احذره من تعابيره القاسية التي يستخدمها في مقالاته، لكنني نسيت كل شيء، اجلت ما اريد لأنني الان لا اقوى على الكلام.

فجأة حصل شيء لم اكن بالحسبان، توقفنا كلانا عن الكلام، اندهشنا كثيراً، لم نتحرك من قوة الدهشة، نظرتُ إليه ثم نظرتُ لي، ابتسمنا سوياً ...

بدأت الشمس بالشروق ونحن لا نزال جالسين، استمرينا بالجلوس منذ يوم أمس، بزغ ضوء الشمس، بدأ يتخلل السماء، استعدت الشمس للشروق وانا للتو كنت ارى القمر، لم يمضي من الليل إلا دقائق، أي قليل هذا وانا لم انظر لساعتي البتة، لم اشعر بالتعب، يا الهي كم انا مُغيبه عن الواقع، كم مضينا من الوقت؟ اين كنت؟ اين انا الان؟

بعد ثوان من الصمت، صَحِكنا ...

التفت ألي، عُدنا نجلُس وجهاً لوجه، وضع يده فوق يدي ..

قال: لم نشعر بالوقت، جعلتُكِ تسهرين، اسفٌ لأنني جعلتُكِ تتأخرين بهذا القدر.

اجبتِه: ظننتُ بأننا قضينا ساعتين او ثلاث، لا عليك اسعدني هذا اللقاء جداً، ولكن علينا الذهاب الان.

وضعت يدي الثانية فوق يده ..

قلت له: سألقاك دائماً.

أنتهى اللقاء الجميل، كنت في جنة لا تصفها كُتب الدين ، لقاؤنا كان في غاية الروعة، غِبتُ عن الوعي منذ ان همس بأذني، منذ ان كنتُ بانتظاره وحتى شروق الشمس .

انهينا حديثنا على امل اللقاء، رجعت الى البيت، دخلتُ ببطء كي لا احدثُ صوتاً وازعج امي، تفقدتها في غرفتها بهدوء، صعدتُ الى غرفتي، اردتُ خلع ملابسني ولكنني توقفت، عطره لا زال يغمرها، استلقيت على فراشي، اغمضتُ عيني، لا اريد ان ارى شيء غير وجهه، لا اريد ان اسمع صوتاً غير صوته، لا اتنفس غير عطره، لا اريد ان انسى كل كلمة قالها.

شرقت الشمس بأكملها وانا لا زلتُ اتأمل كل كلمة قالها، غيرت ملابسني، بقيتُ جالسة على طاولتي الصغيرة في غرفتي انتظر موعد استيقاظ امي لأتناول الافطار معها، كما اعتدتُ في ايام العطل على ذلك، لا اريد ان تشعر بأني اهملها.

قضيتُ النهار وانا انظر الى الشمس واعاتبها بسبب شروقها، لم شرقت وانهيت لقاؤنا؟ كنت اريد مزيداً من الوقت قربه.

رُغم الفرح الوفير، انتابني القلق، كنتُ اسأل نفسي، هل ما تبقى من عمري كافٍ لحبنا؟ كانت ليلة الامس بقربه سريعة الساعات، بثُ اخاف ان يمر الوقت القادم سريعاً، كما كنت بين يديه سريعة الذوبان، كان لقاءنا كنسيم البحر في شهر ايلول، عذبٌ للغاية، ما بال الليالي القادمة؟ ماذا بشأن ما تبقى من العمر؟

وانا اعشقهُ كل يومٍ اكثر، مرت الايام ...

ذات مساء اتصلتُ (بزياد) للاطمئنان عن صحته، اجابني بأنه بخير وان حالته قد تحسنت، كان صوته مهموماً، ترجيته كثيراً لأعلم ما به ولم يتكلم، ذهبت مسرعةً الى بيته، طرقتُ باب بيته، فتحت زوجته الباب، كنت خائفة من ملامحها، خائفة مما ستقوله، لم القي التحية عليها، سألتها على الفور "هل زياد بخير؟"

اجابتي بأنه بخير وان لا داعي للقلق، بعد ان رُحبت بي دخلت الى البيت، وجدتُ (زياد) جالساً لوحده، لاحظت امامه مجموعة من الاوراق، القيت التحية عليه، جلست امامه، لم يتكلم، جلبت زوجته فنجانين من القهوة، شربتُ قهوتي على عجل كي ابدأ اكلام معه ..

قلت له: ما بك؟

قال بوجه عبوس: لا شيء انا بخير، امرُ بظروفٍ عصبيةٍ بعض الشيء، استغربت من مجيئك، كنا نتكلم منذ قليل عبر الهاتف واخبرتك اني على ما يُرام؟

قلت مستغربة: لم تتحدثُ معي بهذه الطريقة؟ جئتُ بعد ان شعرتُ بأنك مُتعب، قلقت عليك لا اكثر، لما وجهك شاحب الى هذه الدرجة؟  
قال: في فترة مرضي الاخيرة تركت مهام العمل لشاب يعمل لدي، قضى معي اكثر من عام، كان مخلصاً جداً، لا اعلم لما فعل ذلك؟  
قلت والصبر ينفذ: ماذا فعل بك؟ ما الذي حصل؟  
قال: سرقني.

اندهشتُ كثيراً، قلت: سرق ايراداتك، أليس كذلك؟  
قال: الامر سهلاً لو انه سرق دَخَلَ المطعم فحسب، لي خزينة في المطعم وجدتها مسروقة هي ايضاً، بعد ان قضى معي فترة طويلة بالعمل ثبت جدارته، بدأتُ منذ وقت قصير بمنحه الثقة، أعتاد يراني وانا احفظ الاموال في الخزينة، لكنني لم اعطيه نسخة من مفاتيحها او رقمها السري، كيف تمكن من فتحها دون كسر او خدش!!

قلت: هل اخبرت الشرطة؟  
قال: ما النفع؟ جاءت الشرطة ولم تجد أي بصمات على الخزنة.  
قلت: لما لم تخبرهم عن محل سكنه واسمه او حتى صورته؟  
قال: لا اعلم عنوانه، اخبرني ذات مرة بأنه يسكن إحدى القرى خارج المدينة، لا اعرف اين هي تحديداً، كانت سِماته تمنعني من الشك، من الممكن ان يظهر يوم غد او يتصل بي، انا اتهمه فقط، لأنه لم يظهر بعد الحادث، وهو المسؤول والمؤتمن على المطعم في غيابي، كيف لي ان اتهم غيره، هو السارق، لا شك في ذلك.

قلت: هل المبلغ كبير؟

قال: يتطلب تسديد المبلغ دُخْلَ المطعم لشهرين او ثلاث، لا يمكنني سداد المبلغ، جميع اموالي في تجارة لا استطيع استرجاعها منها قبل ستة شهور قادمة، حين تعافيت ورجعت الى ادارة المطعم، سمعتُ من العاملين بأنه لن يأتي اليوم، حاولتُ الاتصال به، لم استطع.

انزعجت كثيراً لأجله، قلت: هون على نفسك سيكون كل شيء بخير، انت الان معافي، ستتمكن سداد الدين.

قال: قمر، الدين بحاجة الى ان يعمل المطعم بدون تكاليف لمدة شهرين او ثلاث على اقل، اليوم لم اطلب من العاملين ان يأتوا الى المطعم ، علقْتُ لوحة لأغلاقه، جلستُ منذُ الصباح كي اتفكر بالأمر، ليس هنالك خيار امامي سوى اني ابيع المطعم لسداد الديون.

قلت: كيف ذلك!! لديك منزل وثلاث بنات بحاجة الى مصاريف، علاوة على ذلك ستدخل (بيلسان) الجامعة هذا العام، لن تكون على ما يرام بقرارك هذا، حاول ان تجد قرار غيره، فكر في استئناف العمل وستتعدى هذه المحنة.

قال: كان الامر على ما يرام لو كان لي ابن، كنت سأكلفه بالعمل وقت غيابي، ما كنت لأمر بهذه الظروف.

قلت: دعك من هذا التفكير، انت رجلٌ مؤمن، تعرف الله حقاً، هذا قدرك وما رُزقت به نعمة غيرك لم ينالها، عليك بالصبر، ستجد حلاً، امنح قرارك بعض الوقت، لا تفكر به الان، استأنف العمل، وسنفكر في الامر ملياً خلال هذه الفترة.



تعكر وجهه، وقال: قمر، عودي انتِ الى المنزل، انا لا اريد ان اقحمك  
بمشاكلي، انتِ لكِ ما يشغلك، لديكِ التزاماتكِ، دعيني وشأني.  
قلت له: صديقي، لن اتركك، يهمني شأنك، ارجوك ان تفعل شيئاً واحداً  
فقط، اعط لنفسك بعض الوقت، استأنف العمل، وان لم نتوصل الى حل  
حينها نفذ قرارك.

قال: حسناً.

قلت له: سألتفيك يوم الغد او بعد غد لنتكلم بالأمر، سيكون كل شيء على ما  
يرام صديقي.

امتثل لما قلته له، عملت جاهدةً كي اقنعه بأن لا يترك عمله، سيتألم كثيراً لو  
حصل ذلك، يمتلك مطعماً يستقطبُ السياح طيلة اوقات السنة حتى اصبح  
احد معالم المدينة، اعلم جيداً عدد السنين التي قضاها لأجل ان يكون ما  
عليه الان.

بعد ظهيرة يومٍ ممطر، انهيت عملي في الصحيفة ثم خرجتُ مُسرعةً للعودة  
الى البيت، بعث لي (احمد) رسالة، كتب فيها كلمتين تشبه اعاصير شرق اسيا،  
آثرت بوجداني الكثير، كتب لي (اشتقت لك).

كنتُ قد اشتقت له بعدد ما على الارض من مطر، اتصلتُ به، وجدتهُ خارجاً  
للتو من عمله، اتفقنا ان نتناول الغداء سوياً، خلال حديثنا الشيق، سألتني: "ما  
بها عيناك؟ فيها بعض الحزن"

كم اشعر بالأمان حين يشعُر بي دون ان اتكلم، اشعر بأنني مهمة لديه، انه  
يتمعنُّني، هو لا يراني فحسب.

حدثته عن (زياد) وعن مكانته في حياتي، خلال الحديث اجبته عن انزعاجي بسبب موضوعه، وكيف تمت سرقة خزينته، وقبل ان أنهي حديثي وجد (احمد) للموضوع حلاً، كان المصرف الذي يعمل فيه يتعامل بالقروض الاستثمارية، افهمني حول طريقة تعاملهم، اوصاني بأن أفهم (زياد) بالشروط والضمانات المطلوبة ولا سيما وان له مشروعاً استثمارياً ليس بالصغير.

تمكنتُ بمساعدة رفيق روجي بأن اخرج (زياد) من ازمته، بعد عدة ايام اتصل بي وهو سعيد للغاية، قال لي بأنه تجاوز محنته وان هنالك سبب اهم لسعادته وهو نجاح ابنته (بيلسان) بعلاماتٍ عالية في الدراسة الثانوية وانها قد قررت ان تختار كلية العلوم السياسية لأكون استاذتها.

فِرِحْتُ لفرحه فهو صديقي المُقرب، شعرتُ بأنني قدمتُ له شيئاً بسيطاً مقابل ما قدمه لي من السعادة مُسبقاً، لازلْتُ اذكر تلك اللحظة التي فتحتُ فيها هديتهُ والسعادةُ تغمرني لأنّهاي الدراسة الثانوية، لا زلتُ اذكر اول هاتفٍ محمول اهداهُ لي، كنتُ في ذات الموقف الذي يراهُ بأبنته (بيلسان) الان، كنت كما هي الان، امسكُ شهادتي بفخر شديد لأنني سأدخُل الى الجامعة، تلك اللحظةُ المُهمّة عند كل بنت في هذا العمر.

شابهتُ ابنتهُ بفرح النّجاح فقط، كانت هنالك ثمة فُروقات بيني وبينها تتمثل بنعومة اليد وشكل الابتسامة والاشترك في حوارات التفاخُر والغرور بين اصدقاء الدراسة او التهرب منها، لم تكن مثلي، لم تُكُن تعمل من اجل العيش، لم تكن تتوسد الالم، لم تكن تعرف الحرمان، لم تكن مثلي، لم تُكُن تمتلكُ حذاءً واحدة طيلة العام الدراسي.



لم أقع في الحُب  
لقد مشيت إليه بخطى ثابتة  
مفتوحة العينين حتى أقصى مداهما  
اني ( واقفة ) في الحب  
لا ( واقعة ) في الحب  
أريدك بكامل وعيي

"أعلنت عليك الحُب"

غادة السمان

## الفصل الثالث

في المقهى، كان الشعب يتحدث مع نفسه، يتساءل الجميع عمّا سيجري في الفترة القادمة، ستجري الانتخابات والحزب الحاكم يتسع نفوذاً بسبب سداجة الاغلبية واستغلاله لرجال الدين واستغلال رجال الدين له أيضاً، كانت العلاقة بين المناصب الدينية والدنيوية علاقة تبادل المنفعة. قال احدهم في المقهى نقلاً عن رجل دين مهم بأن "عدم انتخاب الحزب الحاكم سيُلحق الضرر بهذا البلد، و إن لُجِقَ الضرر بالبلد فأَن كل من لم ينتخبه آثم."

كان الشعب حائراً بين الخوف من التغيير والخنوع من اجل البقاء، كان الحزب الحاكم ذكياً، فقد تعاقد مع رجال الدين كافة من خلال أخذ كبارهم ومنحهم ترف الحياة، وضع الحواجز العالية بينهم وبين مُعانة الشعب، هذا الشعب الذي بدوره انقسم لنصفين، الاول رضي بالأمر لعدم امكانية الاعتراض على ما يوافق عليه زعيمهم الديني، ففي ذلك مُخالفة لأحكام

الاديان في المساجد والكنائس وهم اعلم بما يفعلون ولا يجوز الخروج عن طاعتهم.

اما النصف الاخر فكان بشقين، منهم من تفهم الامر فالتزم الصمت، ومنهم من لم يلتزم فتم اتهامه بأعظم التهم وبأبسط الطرق، سجون القمع امتلأت بالكتب والمثقفين والادباء، كان الحال صعباً بين الرضوخ والسلامة، وما بين الكرامة والمنفى.

حزبنا الحاكم استمر لأكثر من عقدين من الزمن، كان مجيئهم بفضل قوة فرقة الاغتيالات التي يمتلكونها ابان وقت تأسيسهم، قتلوا كل من فضح حقائقهم الزائفة ومبادئهم الكاذبة واهدافهم التي لا تعرف طريقاً الى من خلال فوهات البنادق، خلال فترة قليلة تمكنوا من اصابة الذعر في ذلك الوقت، وصلوا الى الحكم بعد ان قتلوا الزعيم الذي سبقهم لقتل الشعب، بدأوا بقتل كل من خالفهم الرأي ولم ينتهوا الى يومنا هذا.

في بلادنا هناك عشرات الاحزاب والجهات والتجمعات تحت مسميات مختلفة ولكن الحاكم كان حزباً واحداً، كان يسمح للجميع بحرية الرأي والتعبير في الوقت الذي كانت جميع الاغتيالات تُقيد في اوراق التحقيقات ضد (مجهول)، كانت مصير كل من يحاول ان يؤجج الشعب او ان يُذكره بأبسط حقوقه، هذا (المجهول) معروف لدى الجميع ولكن لا يتجرأ احداً توجيه اصابع الاتهام له، ومن وجهها مُسبقاً رجعت إليه يده من دون اصابع.

اما عن الانتقادات للوزراء والمسؤولين المرموقين في اجهزة الدولة فكان مسموحاً بها في وسائل الاعلام وخصوصاً الجرائد، كان الحاكم يعرف كيف

يجعل من هذا النقد (اشاعات من قبل اعداء النجاح) بواسطة اتباعه من رجال الدين لأيام الاحد في الكنائس ولأيام الجمعة في المساجد، اما عن بقية الاديان فانهم اعتادوا على الصمت فهم غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم، لو تم اتهامهم بتهمة تمس الحاق الضرر بأمن الدولة، كان عددهم قليل جداً، لا بل انهم لا يمتلكون اتعاب أي محامٍ بسيط الشهرة ليتوكل بالدفاع عنهم، تم اقصاؤهم من كل المناصب المهمة في الدولة لأنهم اقلية ومن فضائل الحزب الحاكم انه جعلهم يعيشون على ارض هذه البلاد.

كان المقهى يتداول اخبار الشهور المنصرمة، كانت هذه الشهور مليئة بالاتفاقات والائتلافات سياسية بين الاحزاب الصغيرة، عدا الحزب الحاكم، جاءت هذه الاتفاقات تحضيراً للانتخابات القادمة والتي ستكون نسبتها ساحقة للحزب الحاكم بالتزوير كالعادة، حزب يمتلك زمام مفاصل الدولة كافة وله حق القتل بكاتم الصوت دون محاكمة، حزبٌ لا يصعب عليه ان تكون نسبته في الاصوات المنتخبة ساحقة، تضاف إليهم اصوات المستفيدين من خزينة هذه الدولة والسذج الذين لا يعرفون كم تمتلك خزينتهم.

كان المقهى يراعي كثيراً مشاعر الحزب الحاكم، كانت صيغة الأخبار المتداولة بالصيغة التي تنشرها نشرة الاخبار في المذياع الموجود في احد اركان المقهى، وان اراد احداً ان يخرج عن النص فيتوجب عليه هنا ان يخرج خارج المقهى قبل خروجه عن النص، وإلا سيخلو المقهى والشارع من المارة بعد ان يقول رأيه النقدي.

هذا المقهى كان يشابه الكثير من المقاهي التي يرتادها الادباء والمفكرين والناشطين الصُّم، في بلادنا الناشطين صم، منشوراتهم صماء، لأن الحزب الحاكم خيرهم بين الصمت والسجن، اختاروا ان يكتبوا في الجرائد والكتب فقط، دون ان نسمع لهم صوتاً او هتافاً في هذه المقاهي.

كان (سعيد وهشام) قد بدأوا حملة توعية لعامة الناس منطلقين من هذه المقاهي تحديداً، بعد ان بدأ (احمد) زعامة هذه الحملة في بقية المحافظات خارج العاصمة.

امتازت هذه الفترة بالمرونة نوعاً ما بسبب الترشيح للانتخابات، يستغلها الكثير من الناشطون للكلام والهتاف بما يرضي الحزب الحاكم، كانت الفترة الوحيدة التي لا نسميهم فيها (الصُّم)، كما لا تعتبر منشوراتهم فيها (صماء)، كانت كل الشعارات والهتافات وتجارة المبادئ ومزايدات القيم مسموح بها شريطة ان تُعبر عن نفسك وعن حزبك، المهم ان لا يتناول كلامك الحزب الحاكم وافراده في المناصب السيادية او ان تنوي انتقادهم او توعية الناس من غفوتهم، لا يُسمح لأحدٍ بأيقاظ الشعب، لا يسمح لأحدٍ بتعكير صفو احلامهم بالحياة الهائنة، ذلك ممنوع لأن الحزب ينتهز نومهم ليسرق قوتهم.

لم اكن اعلم بأن (احمد) قد استغل هذه الفترة للاعلان عن مخططاته، تزامنت هذه الفرصة مع مقالته الاخيرة والتي دعت الناس للتظاهر والاعتصام في الساحات العامة ضد قرار الحكومة بعدم السماح لمنظمة اللامم المتحدة بالأشراف على الانتخابات القادمة، كان هذا هو الدليل والسند الذي يقدمه (احمد) للناس، ادعى في مقالته الاخيرة ان عدم قبول الحكومة للأشراف



الدولي على الانتخابات يكشف مساعيها للتزوير، وبالتالي ستكون النتيجة معروفة كالمعتاد، سيبقى الحزب جاثماً على صدورنا.

خلال هذه الفترة استغل الحزب الحاكم اتباعه من رجال الدين لأصدار التعليمات والوصايا الدينية لانتخاب الحزب الحاكم، فضلاً عن انه جعل رجال الدين من مرشحيه المهمين وعلى العبيد انتخابهم، وبذلك ضمن الحاكم ان رئاسة الدولة ستبقى بيده، وضمن رجال الدين قصورهم وعجلاتهم الفخمة المصنوعة من عظام الشهداء الذين استشهدوا بسلاحٍ كاتمٍ للصوت، ضمنوا ايضاً حساباتهم المصرفية المتخمة بألاف الجياح.

قضى (احمد) ما يقارب السنتين بكتابة المقالات لتوعية عامة الشعب ولم يكتسب الشهرة، اخذ (ألياس) الشهرة منه، الاسم الوهمي الذي كان يكتب من وراء ستائره، كان من الصعب عليه ان يعترف بذلك لمؤيديه ومناصريه، كان يخجل أن يقول لهم انه يخاف من فوهة بنادق الاغتيال، كانت حقيقة الامر حرصه على حزن ابيه، هذا كان شرط ابيه ليوافق بأن يكتب في الصحف، ولكن لن يستوعبه احداً بحسب ماهيته، ستكون النتيجة عكسية.

كان دواي غير منتظم في الجامعة، كنا على ابواب عامٍ دراسيٍ جديد، تناولت الفطور مع (احمد) ذات صباح، كان قد قضى عدة ايام يتنقل بين مدينة واخرى فلم اراه، كنت اطمئن عليه خلال الهاتف كل صباح، وهو يطمئن على مشاعري اتجاهه كل مساء، كنا نسهر سوياً، كنا نوقد النجوم الساطعات ونطفئها متى نشاء، كنا نتنفس سوياً، نحلم سوياً، كنا سوياً في جسد واحد، على سرير واحد، بثيابٍ واحدة تمتاز باللون قوس قزح.

في صباحٍ باكرٍ وبالقرب من مكان عمله تناولنا الفطور، جلسنا وتكلمنا عن ما جرى خلال هذه الايام.

حدثني حول مشاريعه، كان ينوي أن يُقدم استقالته من الحزب الليبرالي وان يؤسس حزباً جديداً مستنداً الى كثرة انصاره ومؤيديه خلال هذه الفترة، بالإضافة الى جميع من كانوا على تواصل معه هاتفياً لتحديد موعداً للتظاهر، او للاعتصام إن تطلب الامر، كي يجبروا الحكومة على قبول اشراف الامم المتحدة على الانتخابات المزمع اقامتها، كان له عدة اراء، كانت له عدة خلافات مع الحزب الليبرالي لكونه كان غير مُقتنعاً بما يَكُون من كراهية وبغضاء للمتدينين وطقوسهم، هم ليسوا حياديين، كان في رأيهم عدم اتباع أي دين يعني انك مثقف، وعدم الاعتراف بوجود الرب يجعلك ثورياً، كان خائفاً على انصاره، كان حائراً بين ضم انصاره الى الحزب الليبرالي وبين تشكيل حزبٍ خاص وتحمل تبعاته مهما كانت، كان قُرب الانتخابات يمنعه من العُزلة.

رأيت فيه الرُهد وحُسن الخلق، رأيت فيه ايضاً الفكر الواعي ومبادئ الكُتب السماوية، كان لا ينوي الحصول على المكاسب المادية او ترأس الصفقات على حساب قوت البُسطاء، لمست ذلك حين حدثني عن عمله.  
يرأس (احمد) قسماً صغيراً في المصرف الذي يعمل به، كانت كفاءته وخبرته تؤهله لمنصب اكبر، ولكنه رفض، عرض عليه الكثير وترقى لأكثر من مرة إلا انه رفض.

رفض بسبب مرض الوساطة المتفشي في بلادنا وهو لا يخضع لها، ونحن نتحدث بصدد (زياد) والقروض الاستثمارية، اخبرني بأنه لم يستلم مهام أي منصب يُوكَلُ إليه اعلى من منصبه حتى لا يخسر وظيفته، حين يرفض وساطة أي شخص مهم في أي حزب سيتعرض للأذى، كانت الضوابط والقوانين تحكم حياته كالكتاب المقدس، من حُسن حظه، كان مديره رجل له نفوذه الكبير في الحزب الحاكم بسبب صلة قرابتهُ بعائلة الرئيس، كان يحبُ (احمد) كثيراً ويشجعه على نشاطاته الفكرية، كان امره غريب، كان لا يؤيد الحزب الحاكم ولكن قرابتهُ من السلطة الحاكمة كانت وسيلتهُ في ادارة المصرف الذي يُعتبر اكبر المصارف في بلادنا.

في نهاية حديثنا قرر (احمد) ان يُحدد يوماً للتظاهر في مركز المدينة، كما قرر بأن يترك فكرة تأسيس الحزب الى ان تظهر نتائج المظاهرة وما ستثمر. جاء النادل مصطحباً الطعام فأنهاى حديثنا الذي كان قد اوشك على الانتهاء، وضع الطعام على الطاولة، أطربنا صوت السيدة (فيروز)، انبثق صوتها في ارجاء المكان قبل ان نبدأ بتناول طعامنا، انصتُ لها مبتسمة، كنتُ قد حدثتهُ كثيراً عن عشقي لأغانيها وشدة ادماي لسماعها كل صباح.

لم يتناول (احمد) طعامه، اقتطع لقمة ووضعتها في شوكته، مد يده نحوي، اطعمني اياها.

وانا اتناولها اغمضتُ عيني، اغمضتُها لأنصتُ لِمَا تحملهُ هذه اللحظة من جمال، اغمضتُها لأنصتُ لفيروز وهي تقول في ذات اللحظة..

"نظرتك انا

ندهتك انا

رسمتك على المشاوير

يا هم العُمر

يا دمع الزهر

يا مواسم العصافير"

كانت لحظة تساوي مائة عام من الحضارة البابلية، لحظة تتزك اثاراً في الروح  
تفوق عظمة اثار البابليين وزقوراتهم.

اقتطع بعدها لُقمةً صغيرةً له وتناولها ببطء ...

قال: كانت على شفاهك اغنية حَمراء، كنتُ اتوق لسماعها.

خجلتُ بأحمرار الوجه...

قلت له: وما طعمها؟

قال: كطعم الثلج.

ارتجفتُ من نعومة الزد، تعثرت عيناى وسقط قلبي مني، لم اعد اقوى على  
كبت مشاعري، انا اجلس امامه وقلبي يركض نحوه تاركاً قيود العادات  
والقيم، اردتُه ان يواصل الغزل...

سألته بسداجة: كيف يكون للثلج طعم، هو من الماء، والماء لا طعم له؟

قال: للثلج نشوة، والنشوة يمكننا ان نشعر بها بحواسنا الخمس، اخترتُ منها  
حاسة الذوق للشعور بها، أنا اروم لألتهاملك.

لأول مرة نتبادل النظرات بهذا القدر، ظل ينظر في عيني وانظر في عينيه لعدة دقائق، استمرينا لنقول كل كلمة منعنا الخجل من النطق بها، في هذه الدقائق شعرتُ بأنه عانقني مئة مرة او أكثر.

قطع حوارنا الصامت شخصين جلسوا بالقرب من طاولتنا، احداثا ضجَّةً عند جلوسهما فتوقفنا عن الغرق.

واصلنا تناول الطعام المغمور بعطره الجميل، ذلك الصباح كان عطره يفوح كشلالات (نياجرا)، لم يتوقف ابداً، هل شعرتُ بذلك لأنني اعشقه؟ ام لأنني اشتقتُ إليه؟ لم اكن اعلم.

تناولنا القهوة ومع اول رشفة ...

قال: حبيبي انتِ.

ماذا عليّ ان اجيب؟ كان موقفاً عصيباً، انا لم اسمع هذه الكلمة من قبل، تجاوزتُ الثلاثين من العمر دون ان اكون حبيبةً لرجل، لم اعشق قبله.

هل اقول له اني تجاوزت عِشقهُ وبدأت بالهيام؟

هل اخبره عما يحدث لي حين اغفو على صوته عند الليل؟

هل اخبره بأنه حبيبي؟

ابتسمتُ، لم قل شيئاً، ابتسمتُ فحسب.

قال: طلبتُ مني ان اشكركِ بقصيدة، في الليالي القليلة الماضية كتبتُ لكِ

عدة ابيات، أتسمحين لي بأن اخبركُ بما اشعر به اتجاهكِ؟

قلت: اتمنى ذلك.

انهى فنجان قهوته، شفتاه وانا اتمعنُها، تحركت ..

قال:

كم انت تُعجبني.. تقولها العين بملء  
نظرها و تُكررها .. كم انت تُعجبني  
كم انت تمتلكني.. احيا بابتسامتك  
واقْتل بخوفك فلماذا بخوفك تقتلني؟  
خوفك يجرح كلماتي وهي في  
نعيم عذابك كلما كتبتُها تُدخلني  
تقرع اجراس الفرح في قلبي كلما  
بعذب كلامك ورقة صوتك تغمرني  
اعشق عينيك بنظرتها الشاردة  
حين عن وصف حبك اتحدثُ تتركني  
كلامك الصامت وصمت كلامك  
والشوق في سجن عينيك يأسرني  
يأسرني مع تنهيد قلبي لتذوق شفقتك  
في خيال واقعي تذوقتها .. أ تصدقني؟  
حبيبتني .. رحيقُ عطرك يشطرني لنصفين  
ثم يجمعني ثم يبعثني فيلملمني  
إن اشتقت .. وددتُ ان اتكى على كتفك  
فكل قُرْبٍ من جسدي يسعدني  
لا تتردد في القُرْب من قلباً ينبضُ حبه

مطراً لأجل شفاه ان إبتسمت تُرعدني  
يا بستان أمالي متى سأقطف ثمارك  
يا ليل عشقك كفاك .. كفاك تسُهدني

زرعَ الف زهرة اوركيد ثم قطفها لأجلي، جمع كل الحزن الذي عرفته من قبل  
ثم حطمه كجرة ماء صغيرة، امانتي واحيايني.  
القاؤه للشعر كان كقطعم الدفء في الليلة الاخيرة من يناير، حركات يده، تعابير  
وجهه، كانت جميعها متناغمة كحفيف اوراق الشجر.  
جعلني ارى الشمس وقت الكسوف، رأيتُ شيئاً لم يحدث في حياتي من قبل،  
كان الكلام نابعاً من قلبه، كان يشكو من كل كلمة قالها، رأيتُ السهر بين  
القوافي، رأيتُ عدد فناجين القهوة التي تناولها اثناء الكتابة، اخبرتني المعاني  
بذلك.

قلت له: شكراً لأنك كتبت لأجلي، قصيدتك جميلة جداً، انت مُتمكن في  
انتقاء الكلمات، تكتب بأناقة، كما اخبرتُك مسبقاً، انت لا تكتب إلا ما تشعر  
به، ولكن لما بهذا الصورة صورتني؟ انا لست خائفة؟ كما اني لست مُترددة؟  
قال: انا اشعر ذلك، لعلي اكون مخطئاً.

قلت: انا احبُك، لن اقتلك، حتى اني اخاف على عينيك الجميلتين من الحسد.  
ابتسم، قال: أتريدين الحقيقة؟

قلت: بكل تأكيد.

قال: السبب فيما كتبت هو ردة فعلك حين وضعت يدي على كتفك، في ذلك اللقاء الذي لم نتمكن من انهاؤه حتى شروق الشمس.

قلت: لم تكن لي ردة فعل سيئة، دع المشاعر هي التي تجمعننا، لا تفكر في تصرفاتنا، احبك، لم احب بشراً من قبلك، انا لم اجلس بالقرب من رجل حتى، تصور الامر جيداً، انا لستُ ككل النساء، انا اختلف عن من يستمد قوته من تجاربه، انا اكون لمرّة واحدة فقط، قلبي لم ينبض لغيرك من قبل، رفضتُ الكثير حتى اتهمت بالغرور، القناعة اساس كل تصرفاتي.

طلب (احمد) القهوة مجدداً، قال: انا اعرفك جيداً، اعتذر، سألقن مشاعري درساً عمّا قالتة.

نظر الى ساعته، ثم اعاد يده كما كانت، ارتبك قليلاً ثم طلب من النادل ان يسرع بجلب القهوة لأنه تأخر.

قلت له: تأخرت عن موعد عملي اليس كذلك؟

قال: قليلاً، احياناً اصل متأخراً، ولكن المدير لا ينبهني لشيء.

قلت: احسدك عليه، قلت لي انه يحبك كثيراً ولا يرفض لك طلب.

قال: ليس ذلك فحسب، انا حين اتأخر ابقى لما بعد انتهاء الدوام لساعة او اكثر لأنجز المهام المناطة بي، لا اخرج وعلى عاتق يوم غد اي عمل، فأنا اقبض ثمناً في نهاية الشهر عن وقت عمل كامل، كثيراً ما يراني المدير بعد ان ينتهي الدوام وانا مستمر بالعمل، لولا مقالاتي السياسية ورسائلي الاسبوعية بين اصدقائي والتحضير للندوات الشعرية والثقافية كافة لما اعتدتُ على السهر والتأخير صباحاً.



شربنا قهوتنا ثم ذهب (احمد) الى عمله، ذهبتُ انا الى عملي في الصحيفة مبكراً عند الظهيرة لسد اوقات الفراغ، لا احب اليوم الذي يكون بلا عمل، لا أحب عطلة نهاية الاسبوع، عدا تلك التي اكون فيها برفقة (رفيق الروح).

رفيق الروح عظيمٌ في نظري، كنت اشعر بأنه مختلف، احسستُ بأنه عظيم القيم، محترمٌ و ذو مبدأ، ذكيٌ للغاية، اكتشفُ ذكاءه من قصائده، اراد ان يُنبهني لبرود مشاعري التي اصطنعْتُها حين وضع يدهُ على كتفي، نعم اصطنعتُ ذلك، كانت مشاعري هائجة كموج البحر الذي التقينا عنده، ولكن ماذا عساي ان افعل؟

من المبادئ التي اؤمن بها (ان الرجل لا يعرف قيمة المرأة، ولكنها هي التي تُحدد قيمتها لديه)، انا على يقين بأنه يعرف قيمتي، لن يراني قليلة الكبرياء لو بادلتُهُ تلك المشاعر التي اراد ايضاها حين لمسني، متأكدةٌ بأنني لن اراه مُتمادياً في تصرفاته، نحن لا زلنا على ضفاف علاقتنا، كِلانا لسنا كذلك، ولكن الزمان والمكان الذي نشأنا والتقينا فيه لا يكثرث لما نقول ونفكر.

لكل عاشق طريقتهُ في التعبير عن الحب، مِننا من يظنُ بأن عيناه ستقول كل ما يريد قوله، لأنه اعتاد على الصمت خجلاً.

مِننا من لا يقوى على التعبير فيتحدث حينما يتوجب الامر فقط.

مِننا من يمتلك قلماً قادراً على تحويل الانفاس الى قصائد، وجدائل الشعر الى غزل بالطرق الجاهلية.

مِننا من يجعل مقاصد كلامه يرتدين فساتين سهرة ليقفن بأناقة على اذهان ومسامع الحبيب.

اكثر علاقات الحب تشكو من طريقة التعبير، وتتسبب بدورها لأن تُرجم الى سوء تعامل، في علاقات الحب يجب ان يكون معيار تقييم الحبيب بعد تفهم طريقة تعبيره، تعبيره في كل المواقف، في الغضب والفرح والحزن والغزل والضجر، يجب علينا ان نحكم وفق طريقة تعبير الشريك تجنباً لظلمه عند الحكم عليه.

ينتاب الخجل اغلب النساء عند الغزل، فهل يُعتَبَر سكوتهما في تلك اللحظات تجاهل؟ كان قد اُعتبر ذلك لولا وجود الابتسام، وكذلك تبادل المشاعر وتوافقها، والاهم كيف تكون متوازنة، لا ان يكون التعبير من طرف واحد فقط فيشعر بالملل او الاهمال.

الرجال في الحُب مختلفين كأنواع اللهجات في اللغة العربية، يمكن ذكر اهمهم بأسس تفهمهم للحب، ولكن لا يمكن حصر عددهم.

من المُسلمات ان اول حب للرجل لا يتعدى حدود فترة المراهقة، المرأة ايضاً (باستثناء جميلات العقل فقط)، هنا لا بد ان يُرغم في صباه على التطفل والشعور الحب، الحب وقتئذٍ يكون اعجاباً، ومن النادر جداً ان يكون حباً ولكن عُمر عقله لا يقبل استيعاب ذلك حينها.

في هذا العمر يأسره جمال الوجه فقط، سيكون هنا الحُب الاول في حياته وحين يعرف حقيقة الحُب سيجد ان ما تبقى منه ذكرى لا اكثر، سيعرف انه كان عاشقاً لتجربةٍ ليس الا، حينها سيعرف الحقيقة، سيعرف ماهية العشق، سيعرف ان عطر جسد المرأة اثناء الليل اشهى من جسدها احياناً.

الرجلُ الاجمل في الحب هو الذكي، والقبيح في الحب هو الذي ظن بأن الانانية والغيرة العمياء هي من سمات الرجولة، ذلك الذي يريد الامتلاك فحسب وهو لا يتقن غزل الصباح.

اما الرجل الذكي فهو الذي يعرف كيف يكون عندما يجب ان يكون، هو الذي يضع حبيبته في سجنه، يضعها في حبسٍ انفرادي وهي تراه جنة، يجعلها قبل لقائه تتهجأ احرف اسمه، تنطق بها وهي تضع احمر الشفاه، هو الذي يدع الكلام لعينيه حين تقف ابجدية اللغة عند لقاؤهما مكتوفة الاحرف.

ما بين قُبجهم وجمالهم، يوجد العديد من الرجال كانوا صنيعة طبيعة العلاقة التي كانوا يرونها بين ابويهم، او صنيعة المرأة التي تزوجها من اختيار امه، بعد ان استعد فرحاً لأن تملي عليه شخصيته، اعطاها لوحة حياته البيضاء لتلونها بالالوان التي تُناسبها هي، هؤلاء لن تجدهم في كتاب الحب، هؤلاء فرحين لأنهم ذكور فقط.

كنت اوجه نصائحي الى طلبتي في الجامعة، ولا سيما حين القي المحاضرات للطلبة الجدد في المرحلة الاولى، كنتُ احاول جاهدة ان اشرح لهم ان مجرد دخولهم الى الجامعة يعتبر كسراً لمعظم القيود التي كانت تمسك بأيديهم وعقولهم ونواياهم، واحذرهم لكون هذه المرحلة خطيرة جداً، ولا سيما لمن كبتته قيود سخط المجتمع العربي وحرّمات الاديان، عليهم ان يعرفوا ان شريك الحياة ليس من يَكُن الاول، بل من يَكُن الافضل.

رغم استغلالي للمواضيع الواجب طرحها في المحاضرات في علم السياسة وطرحي من خلالها الافكار التي اتبناها لتوعية المجتمع والتي منعتني امي من

قولها لعدم قناعتها بها من جهة ولخوفها عليّ من جهة اخرى، فنحن امرأتان وحيدتان نقطن مُجتمع عربي يحكّمه الدين.

هذه الافكار الاجتماعية استنتجتها من قراءتي للواقع المحيط بي، بالاضافة الى وليي بكتب علم النفس والاجتماع التي لم تفارق غرفتي منذ عشرة سنين او اكثر.

كنت اطمح لتوعية الطلبة لأنهم سيقودون مصيرنا في المستقبل، لأن كل واحد منهم سيشغل مرفقاً من مرافق الحياة مختلفاً عن الاخر ومن الممكن حينها ان يكون واعياً ليفيد من حوله، او على الاقل انه سيُفيد عائلته التي سكونها واطفاله الذين سيتربون على شاكلته.

كنت استغل اوقاتي الشاغرة بالجلوس في نادي الجامعة او في حدائقها، كنت قريبة من الطلبة كثيراً، كنت ارى كل ذلك بوضوح واحاول ان انصحهم، كانت هذه النصائح تجد ترحيباً وتكون ذا نفع عند الكثير منهم، كنت ارى حبههم لي وتواصلهم معي حتى بعد تخرجهم لما تركته من تغيير لمفاهيم حياتهم ليكونوا بنضجٍ اكثر، اما من كانت نصائحي له لا تتماشى مع نزواته وتراكم روااسب المراهقة في عقله بعد ان دخل الجامعة وانصياعه لرغباته، فإنه

كان يقول عني بأنني لست على حق، وانني اتفوه بذلك لأنني (عانس) مع بدء العام الدراسي الجديد، اعددتُ الكثير من الافكار لألقيها على الطلبة الجدد، اعتدتُ ان اكون سعيدةً مع بدء كل عامٍ جديد، اشعر بأن على عاتقي الكثير لأقدمه.

وانت تتكلم امام وافر من الطلبة تشعر بالسعادة لما تقدمه من عطاء يصبُ في مصلحة المجتمع بعد عدة سنين من وقفتك هذه، من المؤكد ان تدريس الطلبة الجدد على الحياة الجامعية شاق بعض الشيء لأنهم لم يعتادوا على حُرية الرأي والتفكير، هم لا زالوا يخافوا النقاش او الاعتراض على رأي الاستاذ فهو غير لائق بحسب رأيه المدرسي، كنت اعلمهم كيف يبداوا اراءهم دون تجريح، وان لا يتقبل فكرة لا يفتنع بها إلا احتراماً للمحاضر الذي امامه، هذا في حال ان منعه من النقاش.

رأيتُ (بيلسان) في الحرم الجامعي، تبادلنا التحية، حدثتُها عن سعادتي لرؤيتها في الجامعة مع بدء العام الدراسي الجديد، كانت تكن لي الحب كثيراً، لطالما كانت تقول لي بأنني قدوتها في الحياة.

وانا أحادثُها رأيتُ خلفها شاباً، كان يبعد عنها بضع امتار، كان يُحرك قدميه بسبب ملل الانتظار، شعرتُ بأنه ينتظر (بيلسان)، سألتُها عنه وقالت لي انها لا تعرفه، بعد ان اوصيتها بأن تكون مُجتهدة من أجل ابها الذي يعينني امره جداً، انهيتُ حوارني معها على عجل.

اتصل بي (يعقوب)، قال لي بأنه تمكن ان يشتري اسهماً في فرع الشركة التي كان يعمل بها في (لندن)، كانت ذا شهرة لكثرة المستثمرين المساهمين فيها، اخبرني ايضاً بأنه اشترى منزلاً في حيينا القديم، شعرتُ بأن هذا الامر اسعده أكثر من عمله الجديد، ما السر الذي كان يحتفظ فيه عن حيينا القديم؟ لم اكن اعلم.

انهيْتُ اتصالي والتفت فجأة، رأيتُ (بيلسان) تتجه نحو ذلك الشاب، ثم غيرت رأيها فاتجهت باتجاه مُعاكس، اتجه هو خلفها، لم اعطِ له اهتماماً، مظهره اقلقني جداً رغم انه كان حَسَنَ المظهر.

خلال هذه الايام استطاع (احمد) ان يخطي خطوة مُميزة، كانت له لقاءاتٌ مع اناس لهم شأنهم في البلد، مستقلين حزبياً، يرومون لأُنشاء دولة علمانية تُخلصُ البلاد من ايدي تجار الاديان.

كان اكثرهم سياسيين مُحنكين و ذوو شهادات عليا، إلا ان حزبنا الحاكم واسلحته الكاتمة للصوت جعلتهم صامتين، اتفق معهم على تأسيس الحزب بعد ان يستقيل من الحزب الليبرالي.

كان دوره بأن يجعلهم من وجهاء الحزب ولا سيما وان لهم السُمة الثورية منذ عشرات السنين والاثر الطيب وبين الناس البسطاء المؤيدين له ولمقالاته وندواته والوطنية.

بعد ان تملك هؤلاء السياسيين الجُراً لأن يهتفون بأصواتهم، قرروا ان ينضموا لمشروعهُ في الحزب المزمع تأسيسه، كان القانون يشترط لتأسيس الحزب بأن تكون فيه عضوية ما لا يقل عن ثلاثة الاف عضو وان يكون عدد مؤسسيه لا يقل عن خمسون شخص.

تَوَفَّقَ ورفاقهُ في ان يستوفوا كل الشروط، لا سيما في اعداد برنامج سياسي الذي تم تقديمه، انتهزوا ايضاً فرصة المظاهرة المُزمع القيام بها من اجل ارغام الحكومة بأن تسمح للفرق الدولية بمراقبة الانتخابات القادمة، كان العدد وفير جداً، استطاعوا ان يكسبوا اكثر من سبعة الاف عضو لحزبه

الجديد، كما استطاعوا اجبار الحكومة بأن تصدر قراراً يسمح للمراقبين الدوليين بمراقبة الانتخابات القادمة ولن توجد اي لجان حكومية في مراكز الاقتراع.

انشغل عني في هذه الاسبوع، لم التقيه، كنت اتصل به يومياً، والقاءه عند الصباح لبعض الايام، لم اقل له الى الان بأنني اخرج قبل ساعة او اقل عن موعد عملي من أجل ان اراه.

ذات صباح لم اراه، مشيت في طريقنا لوحدي، كنت اشعر به بقربي، ولكن عطرة لم يكن حولي، اشتقت له، اتصلت به ولم يرد على اتصالي، قلقت بشأنه.

مر يوم اخر ولم اراه، لم ارى اي ضوء ينبعث من منزله لأطمئن على وجوده، راقبتُ منزله طول الوقت، لم اراه، لم يرد على جميع اتصالاتي.

التقيت (بسارة) في المقهى عند المساء، طلبت انا لقاؤها، كنت قلقة جداً ولم استطع البقاء في البيت اكثر، كانت صحتها ليست بالجيده، كانت قد مُنعت من الخروج ولكنها خرجت لأجلي.

التقينا، وما ان بدأتُ (سارة) بالحديث شعرتُ بقلقي، سألتني عن السبب، اخبرتها عن غياب (احمد) منذ يوم امس، اخبرتها عن مخاوفي بشأن نشاطاته الاخيرة، هل اعتقل؟ هل حدث له شيئاً؟ انا على وشك الانهيار.

تبادلنا الحلول عديمة الجدوى، وانا افكر في احدي هذه الحلول لعله ينقذني من الانهيار انهمرت من عيني دمعة، اخفيتها، ولكنني لم اتمكن من اخفاء الدموع التي انهالت بعدها.

مُتعبة انا، بقيت (سارة) تحاول ايجاد حل يأخذ بأيدينا، وانا مُستمرةً بالبكاء اخزجت (سارة) من حقيبتها علبة مناديل صغيرة، اعطتني واحدة منها، بقيت صامتة، مسحُ الدمع من وجنتي ولاحظتُ (سارة) تُحدق في اسم علبة، بقيت تُقلبها بيدها وتقرأ اسم الشركة المُصنعة.

قلت: ما بك؟

قالت: انتظري للحظة، هل تذكرين عيد ميلاد (احمد)؟

قلت: نعم، وما علاقته بالأمر؟

قالت: تذكرتُ احدى النساء اللواتي التقينا بهنُ وقتها، احداهنُ جلست بقربي على الطاولة، تحدثتُ معها فأعطتني رقم هاتفها، كانت زوجة احد اصدقاء

(احمد)، سأحاول الاتصال بها لعلها تعلمُ شيئاً عن (احمد)

كان الاسم المكتوب على علبة المناديل يشبه اسم هذه المرأة، اسعدني دهاء (سارة)، وهي تُحاول الاتصال تركتُ مكاني، جلستُ بجانبها بعدما كنتُ اجلس امامها.

علمنا بأن والدهُ قد توفي في ساعة مبكرة من فجر يوم امس.

حزنتُ جداً لأجله، كان يحبُ والده كثيراً، حدثني في اخر لقاء لنا بأنه يشاق له وانه لا يملك الوقت الكافي لرؤيته لانشغاله بنشاطه السياسي، حتى في ايام العطل كان منشغلاً في التجوال بين المُدن من اجل الاستعداد للتظاهر.

تمنيْتُ بأنه قد تمكن من رؤيته قبل ان يوافيه الاجل، اهم ما في الامر اني الان مطمئنة على سلامته، ولكنه ليس بخير.



مر اسبوع كئيب اللون، استطعت ان اكلمه عبر الهاتف مرتين، وجدته متعب، كنت انوي الذهاب إليه وحينما طلبت منه عنوان قريتهم منعني من المجيء، كان المطر قد استمر لثلاث ايام، كان السفر الى المدن البعيدة خطر بعض الشيء، لم يكن بحيلتي سوى مواساته، صليت للرب لأجل ان يجتاز هذه المحنة وان يمنحه الصبر.

صباح يوم السبت، تفرقت السُحب غامقة اللون وشرقت الشمس، غادرتنا السُحب بعد ان مكثت لأيام، اتصلتُ به فأخبرني بأنه عاد الى منزله. غروب الشمس اتعبني كما الانتظار والتفكير، ذهبت الى بيته، طرقتُ الباب لأراه حزيناً، انا على علمٍ بالحُزن الذي يمتلكه الان، جنُتُ لأقايضه الحزن بالغزل.

صافحتُ يده، طلبت من الرب بأن يمنح ابيه الجنة وان يكون من المغفور لهم، سمح لي بالدخول، دخلت الى بيته الصغير، كان بيتاً جميلاً، كل شيء فيه على ما يرام، كان كما ظننته، من نوع الرجال الذين يهتموا بأناقة مسكنهم، ايقنتُ ذلك بعد ان قتلت الشكوك التي ساورتني بأن هنالك امرأة تهتم بمسكنه، فكرتُ بذلك وان ادخلُ الى عُرفة الجلوس خاصته.

جلس (احمد)، وجلست امامه، حدثني عن ما حصل، اخبرني كيف حالت الطرق المُنزلة بينه وبين رؤيته لأبيه وهو يلتقط انفاسه الاخيرة، كان الجو مُمطراً ويصعبُ السفر بين المدن.

استغرق وصوله الى قريتهم ساعات طوال، وحين وصلَ وجد وجهه ابيه قد تغطي بالغطاء ابيض، جلس بالقرب منه، اعتذر له، كان مؤمناً بأن الموتى

يسمعون في الساعات الاولى لوفاتهم، قدم له من الاعذار اشدها، ومن الشكر والعرفان لما قدمه من اجله بأبهى الصور، بكى كثيراً الى ان اغمى عليه، كان يشعر بالتقصير اتجاهه، اخبروه بأنه اصر على رؤيته في اخر اسبوع له إلا انه امتنع عن طلب مجيئه حرصاً عليه، كان منشغلاً بمخططاته الاخيرة من اجل الحزب.

غيرت مكان جلوسي، جلست بقربه، رأيتُ دموعه كاللؤلئ، كان وسيماً حتى في حزنه، نظرتُ في عينيه، نظر في عيني نظرة خجل، خجل من دموعه امامي التي لم يستطع كبتها، مسحُ وجنتيه، كان شديد الحزن والتعب، تركته يتكلم ولم اقاطععه، كان محملاً بكمّ هائلاً من الكلام وكأنه كان ابكم لسنوات، كان نادماً وكل من حوله قد القى عليه اللوم.

تمكنتُ من ان اجعله يهدأ، سألت نفسي، كيف بوسعي ان ازيح كل هذا حزن، كنتُ حائرةً وحزنهُ شابة الاحتلال الفرنسي للجزائر، يحتاج الى مليون شهيدٍ وقُبلة.

اعددتُ وجبةً صغيرة، اجتمعنا متقابلين على طاولتهُ الصغيرة، تمنيت ان اسرق الحزن من وجهه، تناولنا الطعام سوياً، حاولت ان اكلمه في مواضيع لا تمت بصلة للحزن الذي يعبث بجماله، تحدثتُ معه عن مخططات الحزب للمرحلة القادمة، تكلم شيئاً فشيئاً، استطعت ان اهون عليه في نهاية المطاف.

انهينا طعامنا، استأذنت منه كي اعود ادراجي، وان امنحهُ وقت لينام وينال قسطاً من الراحة، ولكن رُعْم ارهاقهُ طلب مني ان امكث قليلاً ..

قلت له: منتصف الليل الان، الساعة ستقترب من الثانية عشر.

سألني: أهذا السبب فقط؟

اجبتُه: أتريد الحقيقة؟ انا وانت في بيتك لوحدنا، انا اخشى بأن يراني احد خارجة من منزلك في هذا الوقت المتأخر، انا امرأة لا استطيع ان اجعل ذقني طويلاً امام الناس كي امحي اخطائي.

قال: هل قُربك مني خطأ؟

قلت: بالطبع كلا، كلانا بالعمر الناضج، نعي افعالنا، ويمكننا تجنب الازخاء قبل وقوعها، نحن نمتلك العمر و العقل الذي تهابه المشاعر.

ابتسم، استغربتُ من ابتسامته في هذا التوقيت، لم يتكلم، ارتشف من كأسه وظل مبتسماً، فرحت لأبتسامته، ولكنني بحاجة الى ايضاح، لَمَا يبتسم!

قال: كلامك يُذكرني بمشهد من فيل (Cannibal Holocaust) الذي اخرجهُ الايطالي (Ruggero Deodato) عام ١٩٨٠.

عرفت قصده فضحكت، اجبرته على ان يترك ابتسامته ويضحك معي، كان يُلمح الى ما تحويه مشاهد هذا الفلم من احداث قتل واغتصاب.

توقفت عن الضحك حين تذكرت ان عليّ ان اخجل، الموقف مُخجل وللحياء احكام.

احضرتُ حقيبي ومعطفي وهممت بالخروج، كنت اسمع صوت المطر حينما كنا جالسين لتناول الطعام، ظننته توقف، القيت عليه التحية، تمنيت من الرب ان يمنحه الصبر ليتجاوز هذه المحنة، وقفنا على الباب كي اخرج، طلب

مني ان انتظر قليلاً لعل المطر يتوقف او تخف جِدة غزارته، لم يكن يملكُ مظلة ليمنحني اياها فقدھا حين ذهب الى قريتهم.

وقفتُ في باحة بيته ماسكة حقيبتي بكلتا يداي، انظرُ الى السماء، ظل واقفاً خلفي، كانت السماء مكتظةً بالغيوم، نظرت الى الطرقات فوجدتها صعبة السير، رغم ان منزلي لا يبتعد كثيراً، كنتُ بحاجة الى السير لثلاث او اربع دقائق.

التفتُ له لأطلب منه حلٍ، وجدتهُ ولأول مرة يتمعن جسدي، كان ينظر لي بأفواه عينيه، كانت عيناه تحوم حول خُصري، وانا التفت له ناديته بأسمه بصورة عفوية فأنقطعت سلسلة نظراته المسروقة، اراد تدارك الامر ولم يتمكن، كانت عيناه تشد الرحال الى ما يعلو خصري، رن هاتفه فاستطاع تداركُ الموقف، تركني مسرعاً ودخل ليحيب على الهاتف.

انتظرتُ لدقائق لينهي اتصاله، تأخر كثيراً، اشتد المطر اكثر، كنتُ اسمع صوته العال ونبرة غضبه من الداخل، عاودت الدخول فوجدته قد انهى اتصاله، اشعل سيجارة لتلافي الغضب ...

سألتهُ بهدوء: ما بك؟ من كان المتصل؟

قال: لا شيء مهم، لما لم تذهبي؟

غضبتُ من سؤاله، قُلْتُ له غاضبةً: سأذهب الان، تصبح على خير.

خرجتُ مُسرعةً، وصلت الى الباب فنادى عليّ بصوت عال ..

قال: قمر .. قمر .. انتظري قليلاً، انا اسف.

لم اعرهُ اهتمامي، مسك بمعصم يدي وانا افتح الباب...

قال: قمر، انا اسف، ازعجني الاتصال، طلبتُ منك ان تبقي معي اكثر، تعلمين كم انا بحاجة لك، هونت علي الكثير، ارجوك لا تذهبي.

نظرتُ له بجدة، قلت: انا اشعر بما تشعر به، انا نصفك الثاني.

رجعنا الى غرفة الجلوس، علمتُ ان المتصل كانت شقيقته، اتصلت به لتطلب منه ان يعود لبعض الاشهر في قريتهم، كان السبب هو حقول ابيه الزراعية وما تحتويه من الالتزامات يجب الوفاء بها.

تكلمنا بهذا الشأن، اقنعتهُ بأن يطلب اجازة من العمل وان يعود الى قريتهم ليهتم بمصالح اهله، كان ذلك صعباً للغاية ولكنه كان جالساً ينصت لي، لم يعترض على طلبي، كان مُطيعاً، حتى اتصل بشقيقته واعتذر لها.

انهينا حوارنا ونحن جالسين على مقعد واحد، تقرب مني دون سابق انذار، وضع رأسه على كتفي واغمض عينيه، لم يتكلم، توقفت عن التنفس كي لا ازعجه.

كان القرب منه مُثيراً، صار شعره على رقبتني، حرك رأسه قليلاً ثم نظر لي، كانت أنفاسه ووجهه قُرب وجهي، توقفت الارض عن الدوران.

ظل ينظر في عيني دون ان يتكلم، وحين تكلم قال لي كلمة واحدة، كلمة ترتجف حروفها من معناها، قال لي (انا اعشقتك).

كان رجائي الوحيد ان يبقى كما هو، لتبقى هذه اللحظة كمجيء الربيع، لحظة توحد الجمال والهدوء، يغفو على كتفي وانا انظرُ إليه، كنتُ انظرُ إليه بدهشة حُب، كما ينظرُ المريضُ النفسي للوحات (فان كوخ).

ظل مُستلقياً، يفترش روجي ويتوسد الحنايا ..

قال: افتقد ابي كثيراً، لطالما شعرتُ بالأمان بوجوده، رغم مشاكساتي في السياسة والصحافة كنتُ اشعر بأنه سيسندني لو واجهني امرأً صعب، فقدان الاب ليس بالشيء الغريب عنك يا قمر، أليس كذلك؟

قلت: فقدتُ ابي قبلك بكثير، ولكنني لسْتُ مثلك، انت لم تتذوق اليتم منذ الصغر، فقدتُ ابيك وانت لست صغير السن، ستتجاوز هذه المحنة وستمضي في حياتك، هذه هي الحياة، هذه هي ادوارنا، لكل منا رسالة يؤديها، منا من استطاع ومنا من مات وهو يُحاول، ومنا من مات قبل ان يعلم ماهية رسالته لأنه كان منشغل بطفولته.

حدثته لأول مرة عن الماضي، لم اخبره في السابق عن الكثير من تفاصيل حياتي، تفاجئ حين حدثته عن السنين متوعكة الطفولة، عن ايام صبا سقيمة الفرح.

لم يُقاطع حديثي، ظل ينصت الى ما اقول، بقي رأسه على كتفي، بقي صامتاً، حدثته عن (زياد)، عن امي واعمالها الشاقة، عن ألم الليل واغطية الحرمان، عن نظرة الغيرة لشابة في الدراسة الثانوية تنصت لحكايات زميلاتها المُترفة، عن خشونة يدي التي كنت اخجل منها بسبب غسل الصحون، عن شعري الذي قصصته بعد ان حصلت على الشهادة الجامعية، تكلمت وتكلمت، قربه اعطاني القوة على البوح، ثقتي به منحنتي الثقة كي اعرفه على نفسي، على نفسي التي تخجل من حرمانها.

دمعةٌ عصبيةٌ نزلت من عيني، لم اقوى على كتمانها، كان الكلام صعباً على ان يقال، كان ماضي لا اقوى التحدث به، كما كان من الاصعب كتمانها.

كان الوقتُ غير مناسب البتة للحديث بهذا الموضوع، طلب مني ان احديثه عن الماضي فحدثته، كنت اتمنى وقت اخر كي ارويهِ له، وقتٌ لم يكن فيه رأسهُ على كتفي، انا لا اقوى على الكلام، تمنيت وقتٌ اخر أشعر فيه بحواسي الخمس، وقتٌ اخر لا أكون فيه هزيلة من جراء شعره وهو يلامس رقبتي، وقتٌ يمكنني في الجراك.

رفع رأسه، رأى الدمع على وجنتي، نهض ليحلب لي كأساً من الماء، عاد وجلس قربي بعد ان شرب الماء، وضع يده على شعري، عبث بخصلاته، كان جميل الاطوار وانا مجبرة على استغرابها، لأنني من بلاد العرب.

قال: اسفُ لأنني سألتك عن والدك، كنتُ في كل مرة اود سؤالك ولكن الفرصة لم تسمح، الان عرفت لم انت ناجحة في حياتك، لم ارى انساناً ذكياً وناجحاً في حياته وإلا وكانت نشأته صعبة، لم يكن كذلك إلا بعد ان كانت انجازاته مؤلمة المخاض، انا اشكرك يا (قمر)، لولاك لما كان الامر هين، انا الان بحالٍ أفضل، سأطلب الرحمة لأبي واقطعُ له وعداً بأنني لن انساه، علينا ان نُؤمن بالقدر.

كانت اذاني تنصت له، اما عن حواسي المتبقية فكانت تنصت الى يديه، كنت اخاف من ان يغمى عليّ.

طوال الفترة المنصرمة وانا افتقد لكلمة غزل منه، لم يُغازلني منذ ان دخلت والى الان، لم يغازلني منذ ان وضع رأسه على كتفي، لم يغازلني منذ ان عبث بخصلات شعري، لم يغازلني منذ سنوات من الدقائق، كم اعشقه.

بعد ان مضى من عمري اكثر من ثلاثين عام، شعرتُ برعشة الجسد عند اللمسة الاولى، ترك بصمته على روحي، بصمةً لن يمحيها تقادم السنين، تأكدتُ بأن لمسة يده وهي تُحرك خصلات شعري مع تَمَعُن عينيه، لمسةً لن انسائها حتى لو باتت عظامي رماداً، ايقنتُ بأنني سأشعر بها حتى بعد ان يتفسخ جسدي في القبر.

شَتَّانُ ما بين روح المرأة وجسدها، الروح تلك التي تشطرها نظرة العين لنصفين لتعود اهداب ذات العين لتجمعها مجدداً.

اللمسة الاولى لا تخضع لضوابط النسيان ولا تقبل القسمة على الليل.

اللمسة الاولى كرائحة المطر حين يهطل على اشجار الزيتون، لن تجد لها اسماً ولا وصفاً ولا كلمة لتعبر بها عن من يسألك عنها.

اللمسة الاولى بلا ثمر، لن تجدي نفعاً بعد وقوعها، سيزداد العطش بها ومنها. ستتسع رُقعته رومانسياً وستتشعب شغفاً.

كُلُّ لمسة ستجيء بعدها لن تفوقها جمالاً، لا بل لن تكون مثلها اطلاقاً. اللمسة الاولى لها نشوة كأعطاء العقاقير المخدرة لسجينٍ سياسيٍ في اول يوم له في السجن.

اللمسة الاولى كشجرة الزيزفون .. تزهر ولا تثمر.

شعرتُ بأنه اراد ان يقترب اكثر ولكنه غير رأيه، سحب يده وابتسم، سألني ان كنت اريد تناول معه كأساً من الشراب فأجبتُه بأن الوقت حان لكي اذهب.

وقف امامي، وضع كلتا يديه على اكتافي، كانت عيناه بأبهى صورها ..



قال: لن اتمكن من ايجاد اي طريقة لأشكركِ بها على مجيئك اليوم، لولاكِ  
لما كنت بأفضل حال، احبك كثيراً يا اجمل ما على الارض.

قلت: لا شكر على واجب، تَوَجَّب عليَّ الحضور كما يتوجب على عِشقنا  
السهرة، هل تعلم ان الساعة الان الرابعة فجراً؟

ابتسم، التفت الى الساعة الجدارية التي كانت على الجدار الذي خلفه ليتأكد  
من الوقت، لاحظت وجود سلسلة فضية حول رقبته، لم استأذن منه،  
تقربتُ من جسده، رفعتُ نفسي على اطراف اقدامي لأراها، قامتُ كانت تفوق  
قامتي طولاً، ويا ليت عمره يكون كذلك.

سحبْتُها بأصبعي الخُنصر، التفتَ ببطء ضاحكاً، لم يمنع يدي، اخرجْتُها  
فوجدت في نهايتها قطعة صغيرة كُنْتُب عليها ...

(عينها الفُ قصيدة حُبٍ من دون أحرف)

اعدْتُها لتغفو على صدره كما كانت، وددتُ ان اكون بحجم هذه العبارة  
ليُلعقني حول رقبته، اخشى فُراقه، اهوى السكون على صدره بغض النظر عن  
السنين والساعات، اريد عناقه ايضاً، اعشقه، اعشق كل شيء فيه، اعشِقْ  
حتى اثار اقدامه على الارض.

قلت له: احُبكِ قدر انفاذك.

اخذت معطفي وحقيبتني الصغيرة لأخرج، وجدت المطر قد توقف، اردتُ ان  
ارتدي معطفي، وانا أعلقُ حقيبتني على يدي، أخذ مني المعطف، وقف خلفي،  
ساعدني على ارتدائه، ارتديته، كان قريب الالتصاق بجسدي، كُنَّا قاب شفتين  
او ادنى من العناق.

همس بأذني سائلاً: لمَ احببتني؟

التفتُ له وصار وجهه قريباً من وجهي، كُنّا مُتقابلين الشفاه ...

أجبتُه مُتسائلةً: لمَ علقْتُ تلك العبارة بقلادتك؟

قال بتأني: لأنك مُثيرة بضم الميم.

ابتسمتُ وظل يتمعن شفاهي تارة وعيني تارةً اخرى ..

سألني: هل ستجيبين؟ لمَ احببتني؟

قلت له: لأنك أسمر .. بِضَم الشفاه.

خرجتُ مُسرعة، لم التفتُ إليه، خجلتُ من المشاعر التي طغت على الكلام،

تفوهتُ بالاحساس بدل الاحرف، نطق القلب قبل اللسان، لم اعد اهتم لما

يجب ان يُقال وفي اي توقيت، بعد اللمسة الاولى لم اعد على ما يرام.

رافقتني كل شيء الى فراشي، اخبرتُ وسادتي بكل ما حصل، اعادت مُخيلتي كل

شيء بأدق التفاصيل والعطر، كررتُ استذكار هذا اللقاء بعدد الاجرام

السماوية، تمنيتُ ان اعود الى ذلك البيت بالفيستان الابيض.

سافر (احمد) الى قريتهم بعد بضع ايام، ودعني على عجل ذات مساء، عدتُ

بعدها الى البيت لأجد ما يُعكر صفو ايامي، وجدتُ ما يُعكر مزاجي، وجدت

(صالح) في بيتنا!!

دخلت الى البيت، واذا (بصالح) قد حل ضيفاً ثقيلاً الدم علينا، حل غير

مرحبٌ به اطلاقاً، بسبب فظاظته، كيف يمكنني ان الفنه درساً كما الدروس

التي الفُنها اياهُ في الجامعة، كانت امي جالسة معه وقد رحبت به قبل مجيئي.

لاحظتُ من طريقة جلوسه انه تكلم مع امي بشيء قبل مجيئي، وانه قد عرف نفسه لها، من المؤكد انه استهل كلامه بالطابع الديني كما اعتاد في العمل، استغله حتى يكسب ود من ينصتُ إليه.

القيت التحية وجلست امامه، قلت له بوجه عبوس: بما اُخدمك يا (صالح)؟ قال: تكلمتُ مع والدتكِ قبل حضورك، شرحت لها ظروفي.

قلت: وما شأننا وظروفك، انت زميلٌ لي في العمل فحسب. قال: جئتُ إليكم كي لا نبقي هكذا وحسب، اخبرتُ والدتكِ بأنني سبق وان تكلمتُ معكِ بشأن الزواج.

قلت: وهل اخبرتها بعدد المرات التي رفضتكَ فيها؟ انحنى رأسه خجلاً، نظرتُ الى امي لأتلقى منها نظرات استهجان تُذكرني بأداب الحديث التي علمتني إياها منذ الصغر.

قال (صالح): قمر، جئتُ لأطلب يدك امام والدتكِ لعلكِ تكوني على يقينٍ بأنني جادٌ وصادق، اتمنى ان تُفكري في طلبي جيداً، حدثتُ والدتكِ عن تجربتي السابقة في الزواج واعتقد ان هذا ليس عيباً يجعلكِ ترفضيني.

قلت: بكل تأكيد، كل ارتباط وله حيثياته، لا يمكن لأي شخص ان يحكم على زوجين انفصلا بعد سماع أحدهما فقط، نحن لا نعلم ظروفك كيف كانت، الاله من كُل شيء، انا لم ارفضك بسبب ذلك البتة.

قال: وما السبب إذأ؟

قلت: ألم تُفكر في اختلاف الاديان بيننا؟ هل فكرت من منا سيقبل تبديل دينه؟

قال: ولم نلتجأ الى هذا الامر، ديني يسمح لي بأن اتزوج من غير المسلمة، من اركان ديانتنا ان نؤمن بكل الكتب والرسل المرسلين من عند الرب، انا لست من الذين يكفرون من يخالفهم الرأي؟

استغربت من اجابته، قلت: ديني لا يسمح لي بالزواج من غير المسيحي.

قال: انا اعرفك، انت لست متشدة لديانتك، كما انك لست متعصبة لآراء طائفة منها، هذا التحريم الذي تتكلمين عنه لا يتكلم به سوى المتشدين من ديانتكم، انت لست منهم، لنكون منطقيين اكثر، امنحيني سبباً لرفضك قادراً على ان يُجيب على كل تساؤلاتي.

قلت: لنفرض اني فكرت بالأمر، كيف تقبلني دون حجاب، دون ثيابٍ مُحْتشمة وفق ضوابط ثيابكم؟

قال: لو انني ابحت عن ثيابٍ مُحْتشمة لما جئت الى هنا، انا ابحت عن عقل ناضج وكيان امرأة مُكتملة، صدقيني، لن اجبرك على شيء، لك حرية المُعتقد والدين والملبس، سأرغبك بالدين الاسلامي بُغية اعتناقه لا اكثر، لكنني لن اجبرك على شيء، لك ان تمارسي كل طقوس ديانتك والذهاب الى الكنيسة، لو قبلت الزواج بي اوعدك بأنني سأذهب معك الى قُداس يوم الاحد واجلس في اخر الصف مُستمعاً.

فكرتُ سريعاً، لما انا ظلمتُه بهذا القدر؟ لما كنت اقول عنه انه مُتدينٌ زائف يهوى الرياء؟ لما لم احاول التفاوض معه ولو لمرة واحدة قبل ان احكم عليه؟ لم اكن اتوقع انه مثقف وحيادي بهذا الشكل، كيف اتوقع وانا لم امنحه حق القاء التحية؟

ظلمته، وسأظلمه الان اكثر بقولي الحقيقة، انا لا اصلح للزواج لأنني لي نصف روح، نصف روحي الاخر لدى (رفيق الروح) لم يعُد الامر بيدي.  
قلت: شكراً لزيارتك، اعدك بأنني سأفكر في الامر وسأبلغك قراري في اقرب وقت، أتود شرب القهوة مجدداً؟

علم (صالح) القصد من سؤالني، فهم قصدي الذي يُخبره بأنتهاء مدة الزيارة وعليه ان يخرج، نظر الى امي نظرة عتب، لم يقوى على فعل غير ذلك.

قال بأبتسامة مُصطنعة: سيدتي الفاضلة، شكراً لحسن الضيافة.  
خرج ولم يلتفت لي، لم يكلمني، شعرتُ بنديم شديد اتجاهه، لم اتوقع بأنه جاء ليُقدم تنازلاتٍ بهذا القدر وانا لم اكلمهُ بأسلوبٍ لائق ولو لمرة واحدة، حتى انني كنت اجلس بطريقة تسخر منه، انا لم انتبه لذلك إلا حين خرج.

تلقيتُ توبيخاً شديداً بعد الذي حصل، منذُ سنوات ولم توبخني امي بهذا الشكل، كان استغرابي من تدخلها في قراراتي، لم تتدخل مُسبقاً في اي شخص تقدم لي، عندما سألتها عن السبب اجابتي اجابة مؤلمة، طلبت مني ان انظر إليها كيف تمشي بصورة منحنية، ان انظر إليها وهي باتت لا تقوى على الحركة دون اتكاء، ان انظر إليها وأن أُعدكم تبقى لها من سنين في هذا الحياة، كانت تريد ان تطمئن عليّ قبل ان تفارق الحياة كما كل الامهات، كانت لا تعلم من احتل عقلي وسلبني ارادتي.

لم ار امي بهذا الانفعال مُنذُ سنوات، كُبرت وبنات عليها طعنات الشيخوخة، يزداد خوفها على مستقبلي كل يوم وانا لا ابالي، كانت تُحدثني وكأنها حملت

عتابها لفترة ليست بالقليلة، اخر ما قالتها لي: متى سأغفو دون ان اعد عمرك كم سيصبح لليوم التالي وانت بلا زواج.

هوت امي على الارض بعد ساعتين من شجارها معي، كنت احاول تهدئتها قدر الامكان حتى انني لم اجادلها بشيء، اغمي عليها، نقلتها الى المشفى فأخبروني بأنها بحالة سيئة.

اصيبت امي بتخثر في الاوعية الدموية في الدماغ نتيجة ارتفاع حاد في ضغط الدم، انا السبب بلا شك، هل انا السبب؟ ام عمرها الذي تجاوز الاربع والستين عام؟

تطلب تعافيتها عدة ليالي من السهر في المشفى، كان تلقيها للعلاج صعب بسبب كثر امراض الشيخوخة التي تشتكي منها، استطاعت بعدها من ان تتعافى، ولكنها لم تعود كما كانت.

بعد بضع ايام استطعت ان اتحاور معها وان انال بعض رضاهها، كانت غاضبة مني كثيراً، استغرقت ساعات في ان اوضح لها ماهية تفكيري وماذا اريد، نسيت ان اقول لها انني لست املك ما اريد، انا معلقة على شرط.

تكلمت معي كلاماً جعلني اعيد التفكير في كل شيء، كشفت امي لي كم كنت مُخطئة، المشكلة الاعظم اننا حين نخطأ في قراراتنا وطريقة تفكيرنا في اتخاذها لا نعلم وقتها اننا على خطأ، في نهاية الامر نعلم ذلك، حينها قد يُبقي لنا القدر بعض الوقت لأصلاح ما افسدته الظنون واحياناً لا يُبقي لنا شيئاً.

كان قلبي الباطن لا يرى غيره، منذ ان كنت اراقبه خفية من على نافذة غرفتي، كان قلبي الظاهر يعامل الناس بالممكن، ولهذا السبب ومن حيث لا ادري كرهتُ (صالح) وبغضتُ تقربهُ مني، كان حبي له يحتل القلب والعقل. لو افترضت ان (صالح) كان يراني مجرد زميلة عمل او حتى صديقة كالاصدقاء الذي امتلكهم في الصحيفة او في الجامعة ما كنت لأكرهه، كنت سأعامله بالود كأبي صديق او زميل، ولكن مجرد تقربهُ مني ومحاولته للتقرب مني بالكلام الجميل كل صباح جعل عقلي يبغضه ولا يتقبله، لا بل بدأت بالتهيوُ بأشياءٍ سيئة وافتعال امور لم يفعلها هو، فضلاً على افترائي عليه بأنه يدعي التدين الزائف لأصلاح الآخرين وتقديم المواعظ لطلبته وهو كاذب، وهو لم يكن كذلك.

لاحظتُ الان ان حبي (الأحمد) كان السبب في كل هذا الظن، وان عقلي رافضاً لأي فكرة تحاول ولو وهماً ان تمس بحبي له، ها انا احتكرُ نفسي له دون ادنى ارادة.

كنت احاول، احاول فحسب، كيف يمكن لي ان اعرف مصيري مع (احمد)، حاولت ان استحضر مع نفسي بعض الاسئلة التي يمكن لي من خلالها استدراج اجابته، اود ان اعرف كيف يُفكر بمصيرنا، هل يود الزواج بي ام لا؟ اتعبتني تلك الظنون، حرمتني من النوم لأيام، كُنْتُ في صراعٍ بين العقل والقلب، لم اقف بصف احدهما، لأن للقلب لسان لا يمكن للعقل اسكاته. في احدى الليالي سهرت مع هذا الصراع، كان يخيفني تساؤل مهم، انا رفضت (صالح) لاختلاف الاديان بيني وبينه، كيف لي ان اقدم (احمد) لأمي وديانتي؟

هل يمكن للحب ان يكون ذريعةً لقبولي الزواج؟ ماذا سأقول لأمي لو خيرني  
(احمد) بين ديني والزواج به؟

في نهاية المطاف، قطعْتُ وعداً على نفسي، لن اتردد في ترك ديني لأجله، لن  
اتردد عن الالحاد لو تطلب الامر.

وانا اشد العزم حول هذه القرارات التي تجول في مخيلتي لأنتصر في الحرب  
التي نشبت بين نصائح أمي وحيي به ..

بعث لي (احمد) رسالة الكترونية ، كتبَ فيها:

"اتوق لتأمل عينيكَ .. كي تشفى كدمات الشوق من جسد الحنين"

اتصلت به على الفور، اجابني، واول كلمة قالها كانت: "اشتقتُ لك"

لم اتكلم في اول عشر ثواني من اتصالي، حالت انفاسه بيني وبين حنجرتي، لم  
اقوى على الكلام وانا لا زلت اشعر بأصابع يده وهي تتخلل خصلات شعري،  
وانا اسمع صوت انفاسهُ عبر الهاتف تنطبق اضلاعي على بعضها لأثارتني به.

تكلمتُ معه، سألتُهُ عن احواله، كرر كلمة "اشتقتُ لك" عشرات المرات.

تساءلتُ كيف لي ان أقبل كلماته الجميلة، انهيت اتصالي وانا على امل ان  
القاءه، لن المس كل شيء لمسهُ في جسدي في اخر لقاء لنا.

ذات صباح لفت انتباهي جلوس (بيلسان) في احد مقاعد الحرم الجامعي  
برفقة ذات الشخص الذي رأيتُهُ ينتظرها في اخر مرة، كانت طريقة جلوسها  
ونظراتها له تعطي طابع الاعجاب، كان هيئتها لا تعجبني، لم تكن مُجتهدة  
كما ظننت، ليس كما اعتدت عليها، ليس كما ظن ابوها بها، كنت عندما اتصل  
(بزياد) ويتطرق لسؤالي عن مستواها الدراسي، كُنت امتدحها، كنت ابالغ في



نشاطها، في حين انه في الآونة الاخيرة بات ضعيفاً، كانت جيدة السلوك، تبادل الاحترام لكل زميلاتها واساتذتها، فقط لقاتها مع هذا الشخص كان ينتابني الكثير من الشكوك حوله، انا لا اعرفه من قبل، لم اراه ولكنه لا يليق بها البتة، كيف تعرفت عليه ولماذا؟ ولما هذا التعلق به وهي لم تمضي إلا بعض الاسابيع في العام الدراسي، منذ متى وهي تعرفه؟

كان (زياد) رقيباً على (بيلسان) بشكلٍ اكثر من المعتاد، حتى انني نصحته ذات مرة بأن يمنحها الثقة كي تكون جديرة بها وإلا ستكون النتيجة عكسية، كان دائماً يقول لي بأن الثقة لا تُمنح الى البنت إلا بعد ان تجتاز عمر المراهقة، لأن في هذه مرحلة يكون عقلها مُلك مشاعرها ولا تجيد التفكير، فكيف سأمنحها الثقة، ولهذا كان فرحاً حين دخلت (بيلسان) الحياة الجامعية لكونها قد نضجت واجتازت مرحلة الخطر بحسب وجهة نظره، كنت اخالفه الرأي جداً، ولكنه اولاً واخيراً صاحب القرار في حياتها.

اخبرت (صالح) بأن طلبه تلقى الرفض، كما كان متوقع، لم يلقي أي تحية صباحية عليّ بعد ان اخبرته، شعرت بأنني ظلّمتة، انبني ضميري، إلا انني في نهاية المطاف قد وجدتُ العلاج النهائي لفظاظته، ووجدتُ الخلاص من الكم الهائل من الضجر الذي كان ينتابني كلما اراه، استطعتُ نسيانهُ في ايام قليلة، ولا سيما وانني لم اعد اراه في غرفتي.

ترقي (صالح) عن طريق الجذب فأصبح مساعداً لعميد الجامعة، لم اذهب لتهنئته بمنصبه الجديد، خِفت من أي ردة فعل منه ينتقم بها مني، او انه يستذكر ترحيبي غير اللائق به حين زارنا، فكرتُ في انه حتماً كان ممتناً لي

لكوني لم اخبر احداً من الكادر التدريسي بأنه تقدم لي ورفضته، كنت اعلم بأن هذا الموضوع مهماً بالنسبة إليه، لطالما كان خائفاً من ان يراه احداً وهو يتلقى اهاناته مني، كان يراقبني حين أكون لوحدي ليتكلم معي، كان يهاب حوارات الوظيفة، وهو مُحق في ذلك، لأن ما يحدث في اماكن العمل لا ينسى مع تقادم الزمن.

شهد الوضع السياسي الكثير من التطورات مع بدأ الحملات الانتخابية، مع بدء موسم الوعود الكاذبة والمزايدات بالقيم الوهمية من اجل الضحك على اكبر عدد من الناخبين.

بات الحزب الحاكم خائفاً من مصيره المجهول مع انتصار ارادة الشعب في ان تكون عملية الاقتراع تحت انظار دولية، و بأثر هذا التخوف بات يعتقل اكبر عدد من الناشطين من بقية الاحزاب بُغية اسكات اصواتهم و الحد من كمية العقول التي جعلوها تفكر بمن ستنتخب، بعد ان تم توعيتها بأن لا تنتخب بحسب العرق والطائفة والحزب.

سمعتُ خبر اعتقال (هشام)، تم اعتقاله من بيته دون ادنى تهمة، اخبرني (احمد) بذلك، كان من حسن حظ (احمد) انه لم يكم في العاصمة وقتها، ترجيته ان لا يعود وان ينتظر لحين ان تُهدئ الحكومة من روعة اعتقالاتها التعسفية.

سادت الفوضى في عقول كل فئات الشعب، الكل كان يشكو من حالة الخوف والضرر من هذه الفترة التي اصبحت فرصة لتصفية الحسابات بين كل شخصين جمعت البغضاء بينهم حتى صار من السهل ان تخبر مقر الحزب

بأن شخصاً ما ينتمي الى حزبٍ من احزاب المعارضة، او ان تذهب الى الناس وتبث اشاعة تُفيد بأن شخصاً ما هو المسؤول عن اخبار السلطات عن اسماء المعارضة.

تعرضت الكثير من المقرات الحزبية الى عمليات قتل وتصفية وأعمال تخريب، استمر الحال وامتألت السجون، لم ينجو من هذه التهم إلا من كان لديه اقارب ووساطات في الجهاز الامني الحكومي، ومن لم يملك فإنه سيظل مُنتظراً يوم احالة اوراقه التحقيقية الى المحكمة، ومن الطبيعي ان يمكث طويلاً دون مُحكمة، لأن اوراقه بيضاء وتبحث عن تهمة ما.

اثبت الحزب الليبرالي مواقفه الحيادية والعقلانية وسط هذه الفوضى، هذا الحزب الذي كان نُقطة انطلاق (احمد)، والذي كان يروم لدعوة انصاره للانضمام إليه، ولكنه فكر ملياً واجل قراره لوجود العديد من التحفظات على بعض قياداته وسياساتهم.

كنتُ انقل الاخبار يومياً الى (احمد) على امل ان يبقى خارج العاصمة وان لا يعود في القريب العاجل، لم يجدي كلامي معه نفعاً، لم يمكث طويلاً، كان شديد الوفاء لصديقه (هشام)، عاد من اجله، لم يهدأ له بال الى ان تمكن من اخراجه من السجن، استطاع ان يخلصه قبل ان يختار له الحزب الحاكم احدى التهم المعتادة له كالتجارة بالسلاح او المواد الممنوعة بعد ان يضع نموذجاً منها في بيته لغرض ضبطها اثناء تفتيشه.

كان الفضل في نجاة (هشام) هي العلاقة الوثيقة التي تربط (احمد) بمديره بعد ان استطاع ومن خلال اتصال هاتفي واحد ان يبرئ (هشام) من التهم قبل ان تُنسب إليه.

كان شعار (العدالة) يتوسط شعارات الحزب الحاكم، وقياداته لا تعرف العدالة إلا عند تقاسم المناصب الوزارية فيما بينهم. اتعب هذا الوضع اعصاب الجميع، كنا نرتقب موعد اجراء الانتخابات، او حتى تأجيلها او الغاؤها، كان الوضع يدعو الى الهذيان بأي شيء، ويبقى الشيء الالهم هو ان تحافظ على حياتك وسط هذه الفوضى.

آثرت هذه الاحداث على تصرفاتنا، اثرت عليّ تحديداً، كان خوفي على (احمد) يدفعني الى القلق والاتصال به بسبب او من دون سبب، كنت اسال عن تحركاته حتى ضجر مني، لم يمتنع من اعطائي كل التفاصيل عن تحركاته، حتى شعرتُ بأنني اعامله كالصبي، لم يكن في يدي حيلة، كُنت اخاف عليه كما تخاف الام على صغيرها.

كان صباح مُلبد بالكأبة، كادت السماء ان تمطر حزناً، ولكنها في النهاية امطرت ذكريات جميلة، ذكريات بدايات حبي له، نظراتي التي كنت اسرقها لأحتفظ بها بحرص الى الليل، كنت بحاجة لها قبل النوم.

احلام اليقظة التي وضعت حجر الاساس لعلاقتي به، جُرعات القوة التي منحتني اياها لأكتب له ما اشاء على تهنئة عيد ميلاده، ذكرياتي في كل ما كنت ارددهُ همساً عندما اراه، نور شمس صباحي الذي يشرق كل يوم عند خروجه،

عندما كان يعلن بدأ صباحي، وفي اليوم الذي لا اراه، يبقى فيه الظلام يحوم حول اجفاني.

قرر (احمد) تغيير منزله، ووقفْتُ كما كنت اقف لأراقبه، اقف للمرة الاخيرة، انا حزينةٌ جداً.

يا ليتني لم ازوره حين توفي اباه، يا ليتني لم أُعلق ذكرياتي على جدران هذا البيت وباحته، كانت هناك لي اول ذكرى بالقرب منه، اول لمسة كانت هناك، اول نبضة قلب تختلف عن النبضات المُعتادة كانت هناك، اول لحظة اشعر بأن أنوثتي تهْمُ رجل وتشغل نظراته كانت هناك، هناك رقصت خصلات شعري بين اصابعه، عطره عبث بتركيزي هناك، هناك حين ساعدني على ارتداء معطفي فأقرب من جسدي، اقترب مني حتى انساني كيف لي ان اقف على قدمي، هناك حين بعثرتني، هناك في تلك اللحظة لم افرق فيها بين الشهيق والزفير.

انتقل الى مسكنه الجديد الذي لم يبتعد عن حيننا كثيراً، اشترى (احمد) منزلاً بعد ان حصل ارثُهُ من والده، ابقى بيت ابيه مغلقاً في قريتهم، لم يشئ ان يبيعه لما يحمله من ذكريات، باع حقل ابيه الذي كان يعمل به فقط، لم يكن هنالك من يقدر على ان يلتزمه او يستثمره.

كان يوماً حزيناً، خرجت بمفردي دون ان القاه، اضحى طريقي طويلاً من دونه، تنافرت الخطوات من اقدامي، التزم الصمت وافتقدت العطر.

كانت هذه الايام الصعبة كفيلة في ان تجعلني سيئة المزاج، حتى في القائي لمحاضراتي، دخلت في نقاش على غير المُعتاد مع احد الطلبة في القاعات

الدراسية، كان قد اعترض حين قلت ان الحاكم لا يجب ان يُتمدح، علينا شكره في بعض المواقف ولكنه في شتى الاوقات مُجبر على القيام بالأعمال المكلف بها بحكم الدستور، فأن فعل شيئاً لصالحنا فهذا واجبه وليس مُتفضل، وان قصر بواجباته فإنه قد خل بالتزاماته المنصوص عليها في الدستور.

على الرغم من ان دستورنا لا يخلو من الاخطاء والهفوات التي يجب اعادة النظر بها ولكن وجودها جلب النفع للكثير من السياسيين، ادعى هذا الطالب وجوب اطاعة ولي الامر، كان يجري في حديثه الى انتقاد الحكومة وانا احاول تلافي ذلك في هذا التوقيت، كنت اناقشه في وجوب نقد القرارات الصادرة من الحكومة أياً كانت نواياها حتى وان كان هذا النقد نقداً هداماً من قبل اطراف المعارضة التي قد لا تنوي احياناً إلا لتشويه سمعة الغير بالاتهامات الباطلة كي يعلو شأنها، انا أو من بأن وجود المعارضة لأي حكومة شيئاً ايجابياً حتى وان كان سلوك المعارضة سلبياً.

قدم لي العديد من الحجج في وجوب اتباع الحاكم او ولي الامر على حد تعبيره، كان ينظر الى رئيس الدولة بأنه ولي الامر المنصوص عليه في الكتب الدين، كان يعتقد كما الكثيرين بصحة نظرية التفويض الالهي، هذه النظرية التي يُطبّقها المسيحيين بالعلن والمسلمين بالخفاء.

كنت اقدم له حجج اقوى منها او توازيها رصانة من احكام الاسلام، حتى اني سردت له آيات من القران الكريم والانجيل المُقدس ولم يجد الامر نفعاً، وما ان استسلم للأمر وانتهت حججه التي حفظها تلقيناً ليجادل بها فقط، قال لي

"لا نسمح لكِ النقاش بالأحكام الاسلامية انتِ لا تعلمين منها إلا ما تنتقدنا به الكنيسة، لا يمكنكِ قول شيء من القران او حفظ اية من سوره لأُنكِ مسيحية"

دفعني كلامه الى توبيخه بما لم يتوقعه، طردته خارج القاعة الدراسية، كان متهكماً ولا يعلم اني اعلم عن دينه ما لا يعلمه ذلك الذي ينصت له في دار العبادة، قضيت اكثر من عشر سنوات ادرس فيها الاديان الابراهيمية، لي عشرتُ النقاشات الدينية مع اناس لهم ثقلهم في الدين وبعد كل ذلك يأتي طفلاً مثل هذا يمنعني من قراءة القرآن وحفظه.

بعد محاورتي معه وطرده من القاعة الدراسية، اثني على تصرفي كل الطلبة الحاضرين بكل اطيافهم، كانوا طلبة حقيقيين للعلم وما ان خرج هذا الطفل لم يبق منهم طالب للجهل والعبودية.

في صباح اليوم التالي كنت اتوقع ان توجه لي عقوبة ادارية من ادارة الكلية، او ان تفاقم الامر فقد اجد مذكرة استدعاء من الرئاسة ليتم توبيخي وجهاً لوجه من المرؤوسين الذين لا نتجرأ مناقشتهم كما الطلبة خوفاً على لقمة العيش.

ما لم اكن اتوقعه، هو وجود امرأ بأنهاء خدماتي من الجامعة وعزلي عن الوظيفة، صدمني الامر، لم اكن اعرف ان الامر سيؤدي الى ذلك، خسرتُ وظيفتي التي كنتُ احبها جداً، وظيفتي التي كنت احلم بها منذ ان كنت طالبة في الجامعة، خسرتها بسبب عدم التزامي بضوابط التدريس وخروجي عن السلوك الواجب اتباعه مع الطلبة في اعتماد الحيادية في نقل المعلومة والابتعاد عن التطرف، هكذا كان نص القرار.

ضجرتُ كثيراً، ذهبتُ الى من وقعَ هذا القرار والى من يعلوه منصباً والى من يدنوه، لم يقبل احداً مقابلتي، تم طردي بصورة لائقة وبقرار غير لائق. انكسرت، لم يخطر ببالي شخصاً غير (احمد) اتصلت به ولكنه لم يرد على اتصالي، كان مشغولاً كعادته، لم اجد له عُذراً غير هذا.

اتصلتُ (بسارة) ذهبتُ الى بيتها، استطعت ان ابكي الدمع الكافي للندم عن ما حصل، ارادت لومي ولكن دمعي وصادقتنا حالت دون ذلك.

هل كُنت مُخطئة لأنني اردت الاصلاح؟ ام انني اخطأت في حفطي لآيات واحكام الدين الاسلامي كما احفظ للمسيحية واليهودية؟ هل العلم اصبح جريمة؟ ام اننا اقلية لا يجب ان نتكلم؟ عرفت من خلال ما حصل بأننا اقلية ومن حسن حظنا انهم سمحوا لنا بالعيش معهم في هذا البلد، ليس بإمكاننا ان نتكلم، نحن غير مُرحب بنا.

تمكنت (سارة) من تهدئي، جعلتني اتقبل الامر وانفهمه، كانت صدمة مروعة، كان خوفي الاكبر ان يتم اتهامي او اعتقالي، اتذكره جيداً وهو يحاول جاهداً ان يضرب الامثال في الحزب الحاكم وفي العديد من شخصيات الحكومة، وانا احاول ان اكون متزنة وان لا ابي رغباته يجعلني اقصد بكلامي شخصية سياسية مُحددة.

عجيبُ امرهم، يبجلوا العبودية حتى ولو كانوا اسياذ انفسهم، لا يستطيعوا العيش بحرية، لا يتذوقوا طعم الراحة الى ان يُتخذ القرار من قبل غيرهم، الى ان يأمرهم رجل الدين على فعل ابسط الاشياء، عجيب امرهم بالفعل، دينهم يأمرهم بالشورى بينهم وهم يقفون على ابواب زعيمهم الديني ليتأملوا رضاه،



وكان في رضاه الجنة وليست بأفعالهم، يريدون اطاعة ولي الامر لأنه ولي امر بالوراثة فحسب، يمنعون انتقاد رأيه او محاسبته لو اخطأ، يقولون لا يجوز ذلك لأنه ولي امر، لا يفقه انه ولي امر لأننا خضعنا له، لم يكن ولي امر منذ ولادته، عجيب امرهم بالفعل، هم يحرمون تجارة الرق والعبيد، ولا يحرمون تجارة عقولهم واستعبادها.

بدأت افكر في مساوئ المرحلة القادمة، لم اجد شيء اهم من الخروج يوم غد كالمعتاد حتى لا تشعر امي بشيء، ان علمت بأنني خسرت وظيفتي فسيكلفني الامر كثيراً، عليّ ان اتحمل الكثير لأن ما تقاضاه من الجريدة لا يكفيننا العيش لأكثر من عشرة ايام.

اتصل بي (احمد)، اعتذر لكونه كان منشغلاً بأجتماع عمل قضى فيه وقت الصباح بأكمله، تذكرت انشغاله بمنزله الجديد بالاضافة الى مهام عمله فقررت ان لا اخبره بما حصل، تمكنت من كتم الامر وان اتكلم معه بصورة طبيعية، كان من المفروض ان لا اُخبر عنه، ولكنني فعلت ذلك، حتى انتهى الاسبوع، كُنت اذهب الى الجريدة لأعمل يوماً تاماً قتلاً للوقت.

اتصلتُ (بأحمد)، حدثته عن ما جرى لي، تأثر كثيراً لأجلي، وعدني بألف وظيفة كي لا احزن، طلبت منه ان يجلب لي معلومات عما اذا كان الامر سيتطور ويصل الى جهات الامن، أم انهم اكتفوا بعزلي من الوظيفة، كنتُ خائفة جداً من ان يتم اعتقالي.

استطاع (احمد) ان يحصل على معلومات من الجامعة تُطمئنني بأن الامر انتهى بقرار عزلي وليس له اي تبعات قضائية او اعتقالات حزبية، علم ايضاً

بأن الطالب الذي طردته من قاعة الدراسة كان يحمل جهاز لتسجيل الصوت، قام بتسجيل صوتي خلال حوارنا وقدمه الى رئاسة الجامعة، لم يعد الامر مُقلقاً، يلزمني وقت كي انسى صدمة خسارتي لوظيفتي فحسب. في عطلة نهاية الاسبوع، دعانا (يعقوب) الى تناول العشاء في بيته بعد ان اجرى خطوبته وباركها في الكنيسة، جَمَعْنَا عشاء عائلي اسعد امي كثيراً، كانت خطيبته على قرابة منه، كانت هذه القرابة هي السبب في رفض والدته لزواجه منها، افصح لنا (يعقوب) اخيراً عن السر الذي كُنَّا نتساءل عنه منذ اول يوم زارنا فيه، اخبرنا سر تركه للحياة في (لندن) من اجل ان يعيش ما تبقى من حياته هنا.

لم اكن مقتنعة بالأسباب التي سردها لنا في زيارته الاولى، كانت هي السبب، خطيبته التي عاشت معه في لندن اول سنين الصبا ثم سبقته بالعودة الى الوطن ببعض السنين، بقيت علاقتهما الى ان طلب الزواج منها، حينها والدته لم توافق، اضطر الى العودة الى الوطن كي يكون حُر القرار. كانت تكبره عُمرًا، كان هذا سبب رفض والدته، اعتقد انها لم تُجرب الحب من قبل، وإلا لكانت عُذرتَه، كما عُذرتُه عندما رأيتها سويًا، كان يحبها كثيراً، نظراته لها ونحن على طاولة العشاء كانت كالذي يرى جبال الالب للمرة الاولى، كان كلما ينظر لها كأنه يراها من بعد اشتياق، كانت عيناه تبتسم لها قبل ان تنظر لها.

انشغلت امي بالأسئلة عن الاقارب مع خطيبته، جلستُ على انفراد معه، حدثته عن ما جرى لي، قرر ان يساعدني، اخبرته بأنني ابحت عن وظيفة،

كانت صدفة جميلة، كانت في شركته وظيفة ادارية شاغرة، كانوا بحاجة الى فتاة حاصلة على شهادة جامعية من اجل اعمال ادارية، اتصل بشركائه في الشركة و وعدني بأني سأحصل على الوظيفة خلال ايام فقط.

فرحتُ وانا على أمل بأن تكون الوظيفة الجديدة قادرةً على ان تُخلصني من الندم، كان (يعقوب) جديراً بالاحترام، كان موقفه بحقي جميلاً ومشرفاً، استطاع خلال دقائق ان يعيد لي بسمتي، مرت ايام صعبة وانا بلا كيان، كنت اشعر بأني في خطر، دواء امي شهرياً يكلفني الكثير، كيف يمكن لي ان اقوى على العيش في مدينة غالية التكاليف كمدينتنا، كيف لي ان اتكلم مع اصدقائي وانا لست استاذة جامعية، كيف اراهم وانا لا شيء، وضع (يعقوب) اجابة على كل استفساراتي انا بانتظار وظيفتي الجديدة.

الانكسار يمنح اللون الاسود لأيامك، عند الانكسار تتوقف لديك كل الحواس، الانكسار بعد الظلم يجعلك تندم على ما كُنت عليه، خصوصاً حين تكون مُدافعاً عن فكرة تود فيها الفائدة لمن حولك، وانت تسع لذلك ستجد من حولك قد اخبر الشرطة بأنك سرقت عقولهم لتجعلها تفكر، يخبرون الرئيس بأنك خارج اوامر الراعي، تسير بعيداً عن سير القطيع، ذلك القطيع الذي لا يستحق ان تضحى من أجله، هو سعيد لوجوده ضمن القطيع، وحين توضح له ان سيره هذا لن ينفعه يمنعك من مواصلة كلامك، يخبرك انك من ميسوري الحظ لأنك ضمن القطيع، وإلا كيف ستدخل الجنة؟ إلا ترى حال من لا يملك قطيع ينتمي إليه، كيف ستعيش بحرية في هذا الكون الواسع!!!

هنالك العديد من الاشياء يصعب تفسيرها، يصعب فهم تكوينها وماهيتها، أفهامها للسُدج يحتاج الى دين.

منذ ذلك الصباح المشؤوم وانا بتُ اشبه الحكومة، لا اهتم لشيء، كرهتُ ذاتي كثيراً، بغضتُ كل مبادئ، اعترفتُ بالغباء حين كنت اريد اصلاح ما افسده الدهر، انا لا املك العمر الكافي لذلك، الدهر برمته لم يستطع ان يضعهم في طريق واحد، كان من اللازم ان افهم بأن كفة واحدة لا تسع للجميع، يجب ان تكون هنالك كفتين او اكثر.

ندمت، راجعتُ نفسي، ظلمتُ من اشخاص قلة، من يؤيدني ويتبع نصائحي كانوا اكثر، شيءٌ عظيم ان تلقى طالباً كان ينصت يوماً لما تقول، تلقاه بعد سنوات ليشكرك ويقول لك "لولاك لما تغيرت، بسببك اصبحت افضل" كانت هذه الكلمات تسعدني كثيراً وتزيدني اصراراً على ما ادعي، تدفعني للتضحية اكثر، لولا ان يأتي ذلك اللئيم ليجعلني اندم على كل هذه التضحية. التزمتُ الفراش لعدة ايام، كانت صدمة غير متوقعة، في الايام الاولى كُنت قوية واستطعت تجاوزها، ولكن سرعان ما ان اعود الى نفسي و اجد بأننتظاري كل ليلة وافر من الندم، كلما جلست مع نفسي يدفعني تأنيب الضمير للنوم مبكراً، لا املك سلاحاً اخر اتجاوز به هذه المرحلة.

لم التقى (بأحمد) منذ ايام عديدة، كان منشغلاً في توظيف بيته الجديد وانا كنتُ منشغلة بمأساتي، لم اجد أي تقصير منه، كان يتصل بي كل يوم، ليمنحني القوة لتجاوز هذه المحنة، طلب ان يلقاني كثيراً ولكنني كنت مُتعبة،

متعبَةٌ لدرجة احتجت إليه فيها كثيراً، ولكنني لم اود لقاءه الى ان اخرجُ من هذه الازمة.

منذ ان بدأت علاقتي به وانا اضع طقوساً خاصةً للقائنا، لم القاه يوماً وهنالك شيئاً ما يُعكر صفو غزلنا، كنت اتجنب لقاءه والتعب معاً، اريده ان لا يضجر مني ولو للحظة، اريد كل شيء جميل في البداية، البداية في الحب تعني كل شيء، البداية في الحب كبداية تكوين الجنين في رحم امه، كل ما يُطراً عليه لا يمكن تعديله في المستقبل ابداً.

اتمنى ان يُحبنى أكثر، اتمنى ان يزداد حبه لي كل يوم اكثر من اليوم الذي سبقه، انا كنت كذلك، احلم بتقبيل شفاهه كل ليلة، كنت اتخيل العالم الذي سأدخله لو التفت يداهُ حولي، لو عانقتي كم سيصبح عمري في تلك اللحظة ؟ كنت اسعى لكل شيء يجعل عيناه تتوق لرؤيتي، كنت اريد وضع أسس قوية للحب لا لعلاقة تريد ان تنتهي بحياة زوجية، سأصبر حتى أحقق ما اروم إليه، لو انني اردت حياة زوجية لكنت الان متزوجة كبقية اقارني، لكنت الان استغرب من كل مشاهد الحب التي تذيعها الافلام السينمائية، لَكُنْتُ الان اسأل نفسي عن طعم القبلات المسروقة، ولما سُميت بهذا الاسم.

حصلتُ على وظيفتي الجديدة، كانت شركة كبيرة متخصصة بأنشاء المباني والمقاولات، كان (ليعقوب) اسهماً مهمة فيها ليست كما كنت اتوقع.

خلال فترة قصيرة اصبح (يعقوب) فيها مديراً تنفيذياً، كانت له مكانة مهمة، من الواضح ان ذكاؤه اختصر له الكثير من الوقت الذي كان يلزمه لأثبات

جدارته، يضاف الى ذلك الى شهادته وخبرته، الاله من كل ذلك انه كان شريكاً فيها وليس موظفاً.

اضفت مكانته المهمة لي الكثير، لا سيما وان كل كادر الشركة عرفَ بأني من اقاربه، كانت السبب لأن اكسب ود الجميع واحترامهم، كان الجميع يهابه ويحترمه، كان ذلك سبباً مهمة لأكون امام الجميع بلا مقدمات، كسبْتُ صديقه جميلة، كانت موظفة في المكتب المجاور لي، احببتها من دون سبب، وهي كذلك، في البدء كانت حواراتنا رسمية، شيئاً فشيئاً اصبحت تربطنا علاقة صداقة بالاضافة الى علاقة الزمالة في العمل، كان هذا شيئاً ايجابية، بالاضافة الى كل ما حصل جعلني اعتاد على مكان العمل بأقل وقت وأقل جهد، كان ذلك عوضاً هيأة الرب ليهون عليّ الاحباط الذي تلقينته اثر طردي من وظيفتي الجامعية بسبب سوء السلوك.

اجبرتنى وظيفتي الجديدة على تقديم استقالتي من العمل في الجريدة، لم يكن بالوسع ان اعمل فيها مجدداً، يتطلب العمل في هذه الوظيفة كل ساعات النهار، كانت وظيفة هادئة، كم كنت اكره الوظائف الهادئة، كان العمل روتيني جداً، يُكرر اليوم نفسه، ولكنه كان جميلاً لأنه يخلو من (صالح).

حصلت على اول تكريم في حياتي، تحدثتُ الى رئيس تحرير عن الظروف التي مررت بها مع طلبي للاستقالة وعن متطلبات وظيفتي الجديدة، حَزَنُ جداً، كان يَكُن لي كل الاحترام، كان انسان قديراً ومُحترماً وذو مبادئ وقيم النادرة في وقتنا الحاضر.

وانا جالسة في مكتبه، اخبرتهُ عن ما جرى لي، اخبرتهُ كيف تم عزلي من الوظيفة، ظل مندهشاً لم يقل لي شيئاً، ضرب بكفه الاوراق التي على مكتبه ثم قال "اقربنا من النهاية، نحنُ نترنح على الهاوية واقزام السياسة يدفعوننا بتحزبهم وتطرفهم الى السقوط"

منحتني الجريدة درعاً بسيطاً لكفاءتي وجدارتي التي اثبتتها خلال فترة عملي، كان هذا التكريم مهماً جداً بالنسبة لي، لأنه قضى على كل الندم الذي ترسب في قاع افكاري بعد الحادثة الاخيرة، شعرتُ حينها بقيمة العمل الذي قدمته لسنوات، على الرغم من كونه بسيطاً إلا انني انتهيت منه وانا لست مُخالفة للضوابط الواجب اتباعها.

بعد ان تمكنت من تجاوز كل هذه المحن، كنت بأمس الحاجة لأن القي (رفيق الروح) على ذلك المقعد المُطل على الشاطئ، في ذلك المكان الذي زرنا فيه الغزل وسط الموج وأسقينا من ضياء القمر، حالت ليالي الشتاء وبردُها القارص بيني وبين امنياتي، غطى الثلج مكاننا الساحر.

دعاني (احمد) لأرى بيتهُ الجديد، كان بيتاً جميلاً، شربنا فنجانين من القهوة على عجل ثمُ ذهبنا بعدها لزيارة صديقه (هشام)، كان (احمد) على موعد مع اصدقائه (سعيد وهشام) طلبت منه ان يصطحبني معه، التقينا وتكلمنا عن ما يدور في بالهم من افكار، وددتُ ان اشارك بأفكاري حتى العن الانكسار الذي جعلني اعزم على عدم التفكير في الشأن السياسي.

كانوا حائرين في كيفية دخولهم للانتخابات، حائرون بين الابقاء على انتمائهم للحزب الليبرالي وبين تشكيل جبهة او حزب جديد وضم أنصارهم فيه،

تشابك الامر عليهم، استمر نقاشهم حتى اقترحت عليهم ان يؤجلوا فكرة تأسيس الحزب الجديد، فقد يخسرهم ذلك اصواتاً عديدة في الانتخابات، لأنهم ومهما كانوا فلن يكونوا بحجم الحزب الليبرالي وتأريخه العريق.

جاءت غايي تلبيةً لرؤية (احمد) المستقبلية، كانت رؤيته تتمركز في التخوف من الانشقاقات التي ستحصل بعد الانتخابات، بعد ان يكسب الحزب الجديد اصواتاً، لا سيما انه حديثُ التأسيس، لن يضمن احداً بأن جميع انصاره سيبقوا مُتحدّين تحت لواء قيادة واحدة، ستتغلب مطامع المناصب الوزارية او عدد المقاعد المُكتسبة في المجلس التشريعي على مصلحة حزبهم الجديد ومبادئه في خدمة الوطن، سيخسروا حينها قاعدتهم الجماهيرية بالاضافة الى قوتهم امام حزينين كبيرين كالحزب الحاكم والحزب الليبرالي.

اقتنعوا بمقترحي، بعد ان اثبتُ لهم من خلال الكثير من الامثلة في الزمن الماضي بأن حُب امتيازات السُلطة لا يأتي خلال فترة الترشيح للانتخابات، بل يأتي بعدها، بعد ان يرى رفاهية العيش سينسى كل من انتخبه، حُب السُلطة مرض، هو كمرض (البلهارسيا) يلتصق بك وينمو دون ان تشعر ولا يتم اكتشافه إلا بعد فوات الاوان.

في نهاية المطاف وافق الجميع على ابقاء انتمائهم للحزب الليبرالي واعتماد اصوات انصارهم، وبعد معرفة حجم انتصارهم في الانتخابات ومعرفة قوتهم حينها يتم تشكيل الحزب الجديد والانفصال عن الحزب الليبرالي.

اثار استغرابي امتناع (احمد) عن الترشيح، لست انا لوحدي من تفاجئ بالأمر، تفاجئ (سعيد) و(هشام) ايضاً، قال انه يريد الاستمرار بوظيفته التي يحبها،



لأنها تمكنه من تقديم الخدمات المباشرة للناس ومساعدتهم، لا يطمح للفوز بأسمه في الانتخابات و سيوصي كل اتباعه بأنتخاب (هشام) و (سعيد). بعد ان اعتاد لقاؤنا على ضوء الشمس، او بالكاد وقت غروبها، التقينا في ليلة دافئة على شاطئنا، لم يتعب (احمد) من النظر الى ملامح وجهي وانا انكلم معه، اسمعني غزلاً تُطرب له أمواج البحر، لم اقاطعه، بقيت صامتة انصتُ له، نظرتُ له حتى خفت ضوء القمر.

كان لقاؤنا مختلف، جلسنا بالقرب من بعضنا اكثر، تحدثت مشاعرنا بطلاقة، قَصَمَ من انوثتي وهو يشرب سيجارته، اخذني عطره برحلة بحرية في ساعات متأخرة من الليل، لم ارى على الارض سواه، كان جميلاً كعادته، كنت في حيرة من امري بسببه، كيف انظر له دون ان اترنم بأيماءاتٍ تحلم بعناقه، كنت انتظر ان يكرر ما فعله في اخر لقاء لنا، كنت اتوق لأن يلمس شعري، او وجنتي او ان يمتلكني كلياً لو شاء.

قضيتُ اغلب الوقت بقربه اتصنع الغباء، كان يطلب من جسدي الكثير، لم يتكلم قط، يده التفت من خلفي واتكأت عليّ، كنا جالسين امام البحر، نتكلم ووجوهنا ترتقب الموج، نتقاطع بعض الشيء لأنظر له ثم اعود لأتحدث وانا انظر الى البحر، عبثت يده بنصائح امي لي وهي تتجول حول خصري.

ابعد يده عني، ظننته يريد ان يدخل السيجار، ترك مقعده ثم وقف، وضع كتلا يديه في جيبه ثم سار بخطوات قليلة امامي باتجاهين متعاكسين ذهاباً واياباً.

لما اخذ يده مني؟ كنت للتو اود ان اغفو، اريد ان اغفو الى نهاية الزمان  
فالعمر الذي قد اعيشه معه لن يكفييني منه، اريد ان اغفو الى ما لانهاية، اريد  
ان اغفو على كتفه الى ان تعود (القُدس) لأهلها.

وقف امامي وجهاً لوجه، تكلم ويداه تتحرك وفق التعابير التي يرمي إليها،  
حدثني عن جمالي، تغزل بي حتى امتلك تفكيري، جعلني افكر كما يشاء هو،  
مَلَكِي حتى بُتْ أُويد كل ما يقوله حرفياً، تكلم عن عشقنا، كانت كُنيتي لديه  
(نزارية الحُب) لأنني أوْمَن بكل ما يقوله (نزار) عن الحُب، ولأنني اهِيم لو  
سمعت صوته وهو يلقي اشعاره، واتنفس ببطء لو قرأتها، تحدى (نزار  
القباني) امامي وهو اوهن منه بكثير.

كتب من اجلي عدة ابيات، طلب مني ان انصت لما سيقول، ظل واقفاً، اراد  
ان يلقي قصيدته امامي حتى يُجسد ما سيقول، وعدني بأنه سيصطحبني معه  
للتجوال وسط ابياته، كما يصطحبني (نزار) وانا انصتُ له، لا يعلم ان هنالك  
ثمة (خشوع) بين الانصات (لنزار) والانصات له.

توقف الزمن لبرهة، كنتُ فرجة لما انا عليه، بين ايام كنت اسرقُ النظر فيها  
واشاهدهُ حلم بعيد لا تطوله احلامي، الى حلم تحقق وهو الان يَحْبُنِي، لا بل  
يَعشُقُنِي، انه يهواني، وإلا، لما وقف امامي متمنياً ان انصت له.

بدء حبيب الروح والجسد بالكلام، القى لي شعراً، انصتنا جميعاً له، انا وموج  
البحر والقمر ...

قال:

تَقَرَّبِي مني..

ودعيني المس يديك واحتضنها وأقبلها بحنان  
فقد تَنَهَّدت للقائك اناملٌ وحنين قلب و احضان  
تقربي ولا تترددى .. وتجراي على فعل شيئان:  
اولهما: حطمي سفينة اوهامك وجُبْنك واقتلي الرُبان  
ثانيهما: تخلي عن اعرافك وتقاليدك وكل خرافات الرّمان  
تقربي فالذودَ عنك يا حبيبتي لا قد يكون ولا كان  
تقربي لدنيا لم تريها .. لعالم من الاغاني بلا الحان  
تقربي لعشقي يُمزق جسدك شغفاً ويُلممه باتقان  
لشجرة من المشاعر تظلل جسدك بلا اوراقٍ واغصان  
خصرِك اشهى ام ما يعلوه؟ أم رقبتك يا عُصن البان  
اكبح جوامح شفتاي لو انبعث عطرك فقد يشقيان  
حينها لا اتردد في تذوق رحيق شفتاك العذبتان  
دعيني اتنفس انفاسك واشدُ حُصرِك إلي بعنفوان  
لا تجعليني استجديك واطلب من كبريائي الغفران  
اتركيني اشتهيك كما اشتهيك .. كما يُشْتهى الرُمان

انهى كلماته .. فبلغتُ من الحُب عتيا.

انتهت ابياته فعاد السمع لأذنيّ، عدتُ اسمع صوت الموج، بدأتُ اشعر  
بنسمات البحر الباردة، حين القى كلماته كان كلُّ شيء ينصت لروعة القاءه،  
اقتبس لي لمحة من جنة، كتلك الجنان التي تتحاكى عنها وتصفها كُتب الدين.

وقفْتُ وصفقت له، ابتسمُ فأنحنى ليشكرني ...  
قلتُ له: تستحق بأن اصفق لك بأيادي تحمل الورد، رائع انت.  
اقترب مني خطوتين..

قال: هل اعجبتيك القصيدة؟

قلت له: وكأنك حجبت الشمس وبعثرت كواكب عن مساراها، انت اجمل بما  
في المجرة الكونية، احبُّك، لأنك انت، احبُّك، لأنك تكتب من اجلي، احبُّك  
اكثر، لأنك تشعر بي حين تكتب، اعشقتك، لأنك صغت ما تريد قوله شعراً،  
اهواك.

تقرب مني خطوة اخرى، صار يبعد عني بضع السنتمترات بعد ان كان يبعد  
عني اعواماً من التمني، تقرب حتى شعرتُ بأنفاسه، استنشقتُ عطره وأنفاسه  
حتى احترت بينهما، أيهما عطره وأيهما انفاسه، وانا اتمعن عينيه، لم يتكلم  
شيء، عيناها طلبت مني ان يُقبلني، قرأتُ ذلك.

بقينا صامتين وانا ملنا متشابكة، لم اتقرب منه، تقرب مني اكثر، لم تكن لي أي  
ردة فعل حتى لَوَحَتْ شفثاهُ بالقُبل، ارتعدت شفاهي عطشاً، حالت ببني  
وبينه الاعراف والقيم، دفعتها بيدي بعيداً كي يقترب مني اكثر، لم افكر بشيء  
سوى النظر الى شفثيه، كانتا كفاكهة الكرز، لا بل اشد اثاراً.

هل اسمح له ام لا؟

هل حان وقتها الان أم لم يحن؟

كيف سأكون لو قبلني؟

ماذا سيحدث لي؟

بماذا سأشعر؟

القبلة الاولى تعني لي كل شيء؟

وضع كفه على القمر واطفاً نوره، وفي العتمة قَبَلَنِي .. قَبَلَنِي وجعل قلبي يتعرق.

قَبَل شفتاي وسافر بي عبر الزمن، اعادني الى القرن السادس عشر، رأيت (روميو) وهو يَقَبَل شفاه (جوليت)، رأيت (وليم شكسبير) وهو يكتب القُبلة على الورق، رأيتهُ يخلقهما من وحي ضوء شمعة اضاءت طاولته فقط، كان كل شيء وهماً حول اوراقه، ما كتبه فقط كان حقيقة، ايقنت ان الدنيا كلها وَهَمٌ، إلا من عشقوا واطلقوا العنان لكل المشاعر.

سحب شفتاه مني ببطء، كنت مُغَيبة عن الواقع واجفاني مغلقة، لم اشعر بشيء، شعرت بسكرات الموت فحسب، اماتني الف مرة واحياني، لما لم يستمر اكثر؟

فتحتُ عيني فوجدتهُ مُبتسماً، احترت بينهُ وبين القمر، أيهما اجمل، أيهما في السماء تتأمل الناس جماله، وأيهما على الارض تعشقه عيني.

قال لي: لا تسألني لما فعلت هذا، لا تسألني عن ما سيحدث غداً، اترك المشاعر تفعل ما تشاء، لم اقوى على كبتها، اقف امام عينيك متعبٌ من جمالك، ولولاه لما كنت لأميل نحو شفاهك.

ابتسمتُ لأوحي له انني تقبلتُ ذلك، كي لا يَشعُر بالندم، لن اضجر منه، كنت سعيدةً للغاية، الى هنا ويجب ان تنتهي سنين الحرمان، انا متأخرة عن هذا

الاحساس بسنوات عديدة، قُبِلتِي الاولى زارت شفاهي وانا لي من العُمر ما يكفيني لأقلق.

كان الحياء يغمري من حيث لا اريده، لا حياء لي مع نصفي الثاني، الموقف كان اقوى مني، لم اقوى على الوقوف حتى، سحر قُبِلته ادمى ملامحي. طلب مني أن ابقى لمزيد من الوقت، ولكنني اصرتُ على الذهاب، سألني ان كنت غاضبة مما حصل، اجبتُهُ بأنني على ما يرام، كل ما اريده هو الذهاب، سمح لي بالذهاب، ودعتُهُ، صافحت يده فأكتشف بعيني بعض السعادة، لولا حيايُ لأكتشف امر برمته.

ما كنتُ اعلم بأن القُبلة الاولى تجعل من المرأة طفلة.

ما كنتُ اعلم بأنها كفرحة طفل بخطوات اقدمه الاولى.

ما كنتُ اعلم بأن لها رقة كركقة المطر في ليالي تشرين.

ما كنتُ اعلم بأن القُبلة الاولى تجعلك مُعلقاً بين الموت والحياة، حين لا تجد وصفاً لما انت عليه.

ما كنتُ اعلم وقتها بأنني سأكون مسلوبة الارادة.

ما كنتُ اعلم بأن القُبلة الاولى ستجعل الارض من تحتي وهنأً، وكأن الارض قادرة على ان تبلعني وان تعيدني الى العصور القديمة، الى تلك العصور التي نُشأت قبل ان يكتشفوا الكلام، الى عصور ما قبل اكتشاف اللغات، الى حيث ما كانت ايماءاتهم تجيد كل شيء، حين كانوا يرسمون حديثهم الذي لا يقال، حتى اكتشفنا امرهم من اثار جدرانهم، لا اشك بأنهم في ذلك الزمان اخترعوا

القُبُل، لا شك بأنهم احتاروا في التعبير عن الحب فوجدوا القُبُل لأنهم عُدماء اللغة، ما كنت اعلم بأنها اصدق طريقة لقول كلمة (أحبك).

لن تتموج الارض تحت اقدامي مجدداً، لي الان على الارض حبيب يَغْنِينِي وجوده عن التنفس، لن تتموج الارض تحت اقدامي لأن على خصري اثار لأيدي رجل، يلقي الشَّعر من اجلي، لي الان حبيب اضع من أجله احمر الشفاه الداكن.

القبلة الاولى افقدت روجي عذريتها، لم اعد عذراء الروح.





لا ترحلي ..  
يا من لا ينقص حُسنها حزن  
ولا يزيد نداوتها بُكاء

## الفصل الرابع

ماتت امي .. حدث ما كنت اخشاه، رحلت امي عن الدنيا وصرت وحيدة، انطفاً ذلك السراج الذي كان ينير ايامي، غُلقت اليوم ابواب السماء، لن يسمعو بعد اليوم دعاء امي وصلاتها لأجلي، كانت تُصلي من اجل ان اكون كما انا الان، بفضلها انتصرت على ظُلم القدر، ولكم ظلمني منذ الصغر، ظُلمت امي مثلي، لا بل كان ظُلمها مني اقسى.

كان يجب ان تبقى اكثر، كنت اريد تعويضها، مهما فعلتُ بحقها فلن اتمكن من محو اي ليلة من تلك الليالي السوداء، لم استطع ان أنسيها ليالي العوز والفقر، لم استطع ان أنسيها تلك الليلة التي طُرق فيها بابنا ليلاً ولم نعلم من الطارق، كنا ننام خائفين.

كان يجب ان تبقى أكثر، كان يجب ان تبقى حتى أحقق لها ما تمنيت، رحلت وانا لم ارتد بعد فستاني الابيض، ظلت تتمنى هذه الامنية لسنوات إلا انني

أردت ان اكون استثنائية، جعلتها تدفع الثمن اكثر مني، جعلتها تنتظر كثيراً، ما كان الذنب ذنبي، جاء (احمد) متأخراً.

كان عليها ان تؤجل رحيلها، ما زلتُ بحاجتها، ما زلت احتاج لحضنها، لم انشغل عنها، ولو شغلتي الحياة في الفترة الاخيرة فأني لم انشغل عن حُبها ابداً، ما زلت عندما يطيل بي السهر ادخل غرفتها لأخلق الف عذر لأبقى قُربها، حين كنت اشعر بالخوف اذهب إليها، كانت صديقتي واختي وأمي، كنت اتحدث معها عن كل شيء، لم اخفي عنها سرّاً سوى علاقتي (بأحمد)، خفت من ان تمنعني منه لاستحالة الزواج به وهو على غير دين، كنت اخاف ان اخبرها عنه وترى كل مبادئى ثَملة وغير عقلانية من جراء قصائده.

يا تُرى هل ستسامحني على كتمانِي لهذا السر؟ هل ستسامحني لأنني اشتغلت في مطعم (زياد) حين كنت في الدراسة الثانوية خلافاً لأرادتها، لكن ظروفنا كانت قد رضت ذلك، كانت امي تتمنى سعادتي كبقية الامهات، كان من الصعب ان توافق على عملي، القدر اجبرها على الصمت.

هل ستسامحني لأنني لم اوفق على كل اقربائها الذين طلبوا مني الزواج؟ هل ستسامحني على الغُرباء الذين رفضتهم ايضاً؟ هل ستفهم ما في خاطري؟ هل ستسامحني لأنني لم اجيبها حين سألتني "لمَ لا توافقين على الزواج؟" كم تمنيت ان تراني يوم زفافي، لكانت سعيدة لأجلي، انا ثمرة تعبها، انا اتعبتها اكثر مما كان من المفترض ان تتعب.

رحلت امي، لم يتبقى لي من الدنيا شيء، اصبحتُ كمثّل المُنهمك الواقف وسط غرفة ولا يحق له ان يتكئ على احد جدرانها، لن اكون قوية كما كنت، بْتُ خائفةً من الغد، انا خائفةٌ جداً.

رحلت تلك التي لولاها لما كنتُ لأكون، تلك التي لم يعرف شبابها إلا الانحاء على ماكينة الخياطة، تلك التي لم تعرف جدائلها إلا التعب، تلك التي اتقنت البكاء بصمت، تلك التي كانت اغلب ثيابها سوداء، تلك التي سهرت من اجل ان لا يفوتها من التعب شيء، تلك التي كانت تستيقظ باكراً حتى لا يسبقها الى العذاب احد.

كان يوماً شبيهاً بأيامنا السابقة، لم يشير الى شيء، كنا نتناول العشاء، شعرت امي ببعض التعب، سألتها ان كانت تناولت دوائها ام لا، اجابتنى بصعوبة بكلمة (نعم)، كانت لا تستطيع اخذ انفاسها، نقلتها الى المشفى، وانا في الطريق عرفت ان وعكته هذه المرة لن تنتهي بسلام، كان جسدها بارداً جداً وعيناها تجمدت عن النظر، اتصلت (ببمعقوب) واتصلت (بأحمد) ايضاً.

بعد اجراء الفحوصات العاجلة اوعز الطبيب بأن تدخل الى العناية المركزة، كنتُ اسير خائفة وراء سريرها المتحرك، وهم يأخذونها مني مسرعين، اوشكت على الرحيل، صرت بالقرب منها قبل ان تدخل العناية المركزة فرأيتُ عيناها التفت لي، شاهدها تذرْفُ دمعاً واحدة، واحدة لا اكثر، كانت لا تستطيع ان تذرْف اكثر، احوال الموت كَبَلَّت ملامحها، تلك الاحوال التي لا يعلم بها سوى من يكن على قيد الموت، هم يعلموا بها حين يُمنَعوا من

الكلام، لا يحق لهم ان يخبرونا بما يروه او بما يشعرون به، وحين ينتهي الوقت الممنوح لهم يكون الاوان قد فات.

كنت انظر من زجاج الغرفة الى مجموعة من الاطباء وهو يحيطون بها، اهتموا بها، ولكن روحها ابت البقاء، تفرقوا عنها فجأة، بقي واحد بالقرب منها فقط، التفت ونظر لي من خلال الزجاج بحزن، من المؤكد انه كان حائراً بشأن ما سيقوله لي، كيف سيخبرني وانا على وشك الانهيار، نظر الى وجه امي، ثم رفع غطاء الابيض وغطى وجهها بالكامل.

تجمد الدم في اوردي، كنت لا اريد تصديق ما اراه، لا اقوى على ذلك، خرج الطبيب، تمنيت ان لا يقولها، لا اريد سماعه ..

وضع يده على كتفي وقال: الرب اعطى والرب اخذ وليكن اسم الرب مباركا، يقول الرب في كتابه المقدس "نِعْمًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالْأَمِينُ، كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأَقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ، أَدْخُلْ إِلَى فَرْحِ سَيِّدِكَ"، لا تحزني امك الان دخلت الى الملكوت، لروحها السلام والغفران.

كانت صدمة مُروعة، فقدت الوعي لعدة ساعات في المشفى، سقطت على الارض ولم اسمع سوى صوت (يعقوب)، شعرت به بالقرب مني، استطعت ان اسمع صوته فقط، لم ارى شيء بعد ذلك.

قضيت عدة ساعات في المشفى، بفضل المُهدئات استطعت ان اتقبل خبر وفاة من لا املك في الدنيا سواها.

وانا على سرير المشفى انظر الى سقفه شديد الضوء، تفهمت حجم الوحدة التي ستلحق بي، ايقنت بأن ليس هناك ثمة شخص بقي من عائلتي بعد هذه اللحظة، من الان اعلن وحدتي.

بعد برهة، استدرت الى يميني، وجدت (احمد) واقفاً على باب، كان يتكلم مع (يعقوب)، اسرع للدخول الى غرفتي حين شاهديني مستيقظة، فتح الباب مسرعاً، نظر بعيني ولم يتكلم، جثا على ركبتيه بالقرب من رأسي، وضع يده على وجنتي ومسح دموعي ..

قال لي: كوني قوية يا (قمر)، انتِ انسانة مؤمنة بالقدر، امك كانت صالحة، وهي الان عند الرب، التزمي الصبر فليس لنا حيلة غير الصبر، أنا قريبك، و(يعقوب) ايضاً، تكلمت معه للتو وتعرفت عليه، انه انسان جدير بالاحترام ومن حسن الحظ ان لكِ في اقاربك شخصاً مثله.

دخل (يعقوب) وقدم لي تعازيه، رفعتُ عيني ببطء فوجدت (سارة) ايضاً، ووجدت (زياد)، وجدت اغلب سكان حييونا الذين جاءوا الى المشفى بعد ان سمعوا الصوت سيارة (الاسعاف) وهي تنقلنا من البيت الى المشفى، ساعدني هذا المنظر على الوقوف مجدداً.

عند الفجر، وبعد ان اشرفت شمس يومٍ مظلم، تركت سرير المشفى وكل ما كان يحيطني من مهدئات، يجب ان اكون قوية، أنا الان هشة ومُعرضة للانكسار، يجب ان اكون قوية فأنا وحيدة.

اتكأتُ على (سارة) لأسير خلف جنازة امي، سرت بخطواتٍ متباطئة، لا اريد وداعها كما ودعت ابي، في تلك الايام استطعت توديعه لأنني طفلة، لم يخطر

ببالي هول ما سيحصل لي، استطعت ان اودعه لان امي كانت بقربي، كنت اعلم انني لن اعود بمفردي الى البيت، اليوم سيوارى التراب جسد امي الطاهر، سيتغير مسكنها، لن تعود معي الى البيت، سأعود لوحدي.

انتهت مراسيم صلاة الجنازة والتعزية، طلبتُ من (يعقوب) ان نقيمها في الكنيسة التي اعتادت امي على الصلاة فيها، كانت تحبها كثيراً، كان الجميع بالقرب مني، لم يتركني احداً منهم، تقبلوا التعازي وكأنهم من ذوي الجنازة، كان موقفهم مشرفاً جداً وساعدني على انهاء كل الطقوس المطلوبة للجنازة، انتهى اليوم ورجعت الى البيت، دخلت ولم اجد امي.

كانت رؤيتها عند الصباح تعني لي كل السعادة المتوافرة على هذه الارض، اعتدتُ البحث عنها بعد الاستيقاظ بعدة اجزاء من الثانية، كنتُ اتوق لرؤية وجهها قبل ان افعل أي شيء، كانت تقول لي "صباح الخير" لتمنحني الامان. استيقظتُ في صباح اليوم التالي ولم اجدها، كان البيت مُعتم رغم وجود اشعة الشمس، كانت الدنيا برمتها لا تعني لي شيئاً، بحثتُ عنها في اروقة البيت ولم اجدها، وقفْتُ على باحة الباب وبكيت، عسى الدمع يعيدها لي، انا خائفة.

قضت معي (سارة) الليلة الماضية، لم تتركني بمفردي رغم تعبها الشديد من الحمل، كانت غير قادرة على المشي بصورة طبيعية، لم اتذكر كيف مكثتُ معي، لم اتذكر كيف عدت الى البيت، كيف ذهب الناس من حولي، كيف عدتُ من الكنيسة، لم اتذكر شيء.

بعد عدة ايام، طلبتُ منها ان تعود الى بيتها، لها بيت و أسرة عليها الاهتمام بهم، كنتُ متعبة للغاية، لكنني تظاهرت بالقوة كي اجعلها تذهب، تظاهرتُ بالقوة حتى لا يراني احداً مُنكسرة، كانت هذه وصية امي دائماً، كثيراً ما علمتني ان اكون قوية عند المواقف الصعبة، عودتني ان اتعامل بعقلي، كانت تجعلني في كثير من المواقف التي يتطلب فيها قرارٌ مُحدد ان اتخذ القرار بنفسني حتى اتفكر بعواقبه واجيد التفكير به، كانت تُعلمني قراءة الموقف قبل حدوثه، كيف اتعامل مع اصناف البشر والبشر والوانهم، لكنها لم تعلمني كيف اتعامل مع رحيلها، كيف سأعامل مع وحدتي من بعد ان تتركني، لم تقل لي شيئاً بصدد ذلك، كانت تقول دائماً انه يتوجب علي ان اتزوج وان تكون لي أسرة، كانت تريد الاطمئنان علي لكنني لم احقق امنيتها، لم اكن تقليدية كما ارادتني ان اكون، يا ليتها ترجع لأتنازل عن كل ما امن به عقلي، يا ليتها تعود لأسعدها، يا ليتها تعود كي لا ارى اخر دمعة لها وهي تدخل العناية المركزة، كانت تعلم انها سترحل، ما عساها ان تقول.

لم يفارقني (يعقوب)، كان مهتماً بي جداً، التزم ترتيب كل الطقوس اللازمة للجنازة والدفن، التزم ايضاً بتزويدي بكل الادوية المهدئة التي تُمكنني من النوم، استمررت بتعاطي المهدئات لأغيب عن الواقع لعشرة ايام، منعي يعقوب منها تدريجياً حتى اصحو على الصباح المعتم واغفو عند ليالي المؤلم، كنت اريد المزيد منها، ولكنه استطاع ان يمنعي منها.

بعد هذه الايام تمكنت تجاوز هذه المحنة، عدتُ اتناول الطعام، رأيتهم مشغولين بي جداً حتى ارهقتهم معي، لم تفارقني (سارة) ابداً.



في صباح يومٍ بليد، جلستُ في باحة البيت، كانت ظلال الشمس على الارض من حولي، بدء الجو بالدفء، كانت (سارة) تضرب اغراضها لتعود الى منزلها، اصرت كثيراً لتبقى ولكنني لم اوافق، تظاهرتُ امامها بالقوة، وانا اوهن من اشعة قوس قزح.

سألته عن (احمد)، قالت لي بأنه كان يأت كل يوم لزيارتها، كان يسألها على انفراد بشأن صحي، قال لكل الاقارب الذي يجتمعون يومياً في منزلي بأنه زميلي الجريدة، ولكنه كان يضطر الى الذهاب مع ذهاب الجميع عند المساء، اتصل هاتفياً في وقت متأخر في بعض الليالي ولم تجيبه (سارة)، اخبرني بأني كنتُ لا اصحو في اليوم إلا لدقائق.

بقيت لساعات جالسة في باحة البيت لوحدي، كنت انظر الى مدخل البيت واتساءل كيف لي ان ادخل، هل سأرى امي؟ هل ستكون في غرفتها؟ هل تنتظرنى لتحضير العشاء ومشاهدة التلفاز في وقتنا المعتاد؟ كان يلزمني الكثير من القوة لأنهض من مكاني، يلزمني قرار بأن اتحمل هذا العذاب من اجل ان اقضي ايامي المتبقية، يلزمني كثير من الصبر.

جاء الليل وكل ما حولي يسكنه الهدوء، اتصل بي (يعقوب) ليطمئن عليّ، اخبرته بانني بخير، ولا يلتزم الامر زيارته، ابلغني انه منحني اجازة مفتوحة من الشركة الى ان اتجاوز هذه المحنة واعد متى اشاء، قدمت له وافر الشكر، ولكنني مهما اثنيت على مواقفه فأن كل انواع الثناء لن تكفي.

استعدتُ للنوم، بحثت عن الدواء المهدئ ولم اجد منه شيء، فتحتُ نافذة غرفتي لاستنشق بعض الهواء قبل ان استلقي على فراشي، شاهدتُ (احمد) واقفاً وحوله دُخان سيجارته اسفل عُرفتي.

تعجبت كثيراً، لما يقف هناك؟ هل هو بالفعل ام اني ارى سراباً له من شدة الاشتياق؟ اهملت اشتياقي له بسبب ما حدث، بحثتُ عن هاتفي لأتصل به، وانا انظر إليه من النافذة، اتصلت به، رمى سيجارته ورد على اتصالي ..

سألته: لما تقف على الباب؟

اجابني: قلقت عليك كثيراً، هل انت على ما يرام؟ كيف حالك الان؟ اجبته بأنني لست بخير، بكيت بصوت عال، انهيت اتصالي، انا بحاجة إليه، صوته لا يكفيني قدر عناقه.

فتحت له الباب ورحبت به، دخل ببطء، اخرج يده من معطفه واحتضني بقوة، بقيت لعدة دقائق على قيد احضانه، رفعت رأسي لأنظر له، وجدتُ الحزن في عينيه يشابه حزني.

قال: حبيبتي، كوني قوية، انتِ قادرة على تجاوز هذه المحنة، هذا قَدْر وعلينا ان نُؤمن به.

جلس معي في غرفة الجلوس، تركني اتكلم كثيراً، افرغت ما في جعبتي من ألم ثم هون عليّ، وانا اتكلم عانقته مجدداً، كان عناقه يشبه العقاقير المهدئة التي كُنْتُ اتعاطاها، كان عِقاراً مخلوطاً بالعطر، ذاك العطر الذي أتُنفسه بشهيق دون زفير، عطر جسده لا عطره الذي يقتنيه، غفوت ولم افكر في يوم غد.

حل الصباح، وجدت نفسي لازلتُ على قيد عناقه، قضيت ليلة بأكملها على كتفه، لم اتذكر شيئاً، وضعت رأسي على صدره، تجولت يدهُ بين خصلات شعري، وضبت جدائي، تكلمتُ معه، احتضنته، جمعتُ انفاسهُ وتغطيتُ بها، غفوت بهدوء كالموت حين يأتي لمُسْنٍ في ارذل العمر.

كان قد بقي جالساً بالوضع الذي غُفوت عليه، كان حذراً لئلا يوقظني، كان يفظاً طوال الليل، لم ينم، حين سألتُه "لم جعلتني اغفو هكذا؟" لم يجيبني، قال بأنه سعيد لأنني بقيت بقربه، قال ذلك وحسب.

ايقظنا الفرح، لم نستيقظ لوحدها، حين فتحت عيني رأيتُه، كان حلاماً تساورهُ الحقيقة، اغمضت عيني وفتحتها مجدداً لأصدق ذلك، رأيتُه فأبتسمت، كان واقعاً وليس حلاماً، كان واقعاً يسكب الماء على احلام اليقظة، كان هو، بأبتسامتهِ وعطره وشفثاه.

جمعتُ شعري على كتفي الايمن ونهضتُ، نهضت لأخرج من جنته، اعتذرت لهُ لأنني غفوتُ بجشع، قلتُ له بأنني لم اشعر بشيء، كنتُ متعبة، لكنني لم اعرف ان اشتياقي لهُ اتعبني بقدر فراق امي، ابتسم وقال لي "إلا تودين النوم أكثر؟ انا لم اکتفي منك"

وكأنني التقيتهُ كما التقيتهُ اول مرة، تعثرتُ به ولم انهض، غفوت على كتفه ولم اقوى على النهوض، كنتُ واعية في اغلب اوقات هذه الليلة ولكنني لم اخبره، كنت لا اريد الابتعاد عن جسدهُ، جسدهُ الشبيه بالأهرامات الفرعونية حيث يتطلب الدخول إليه طقوساً ثلاث، الرهبة والتَمَعْن والصمت.

تمكن من انتشار ألامالي من الغرق في بحور اليأس، تمكن من ان ينقذ ابسامتي من منصة الاعدام التي اعدّها حزني، اخذ بيدي وساعدني لأن اتجاوز هذه المحنة، اوقد الشمع في طُرقاتي العتمة، اخذ بيدي الى الامام بعد ان كبلي الخوف بقيود الوحدة، بعدما كنتُ اخاف النظر لأركان المنزل جعلني افكر بالغد، الغد الذي سألقاه فيه، انا مؤمنة به، لم اعد اعشقه فحسب، سيكون بقربي ليوم الغد، ولكل الايام التي لا تُعد.

تمكنتُ من الخروج من هذه الازمة لحظة انتهاؤنا من تناول الافطار، قبل ان يودعني بقُبَلتين على كلتا وجنيتي، ذهب الى عمله بعد ان نقلني من الانكسار الى استئناف الحُلم، ذلك الحلم الذي لم يفارق اجفاني، ذلك الحلم الذي ضجرتُ وسادتي من تكرار تمنيه، ذلك الحلم المملوء بالقُبَل.

ابتعدتُ عن الواقع لأيام، وجدت ان الانفصال عن الواقع وقت الالم جميلاً، كل العقاقير المخدرة والمُهدئة التي تناولتها كانت المُنقِذ الوحيد لي، لم اجد طريقاً غير ذلك، كانت فترة عصبية ولكنها كانت تخلو من الألم والندم، لم اتذكر شيئاً، لم اشعر بشيء، تجاوزت كل المحن بكل جُبن.

مع عقاقير الهروب نكون ضعفاء، لكننا لا ننكر روعة الهدوء وقتها، ينتابنا هدوءٍ يثلج اعصابنا الملتهبة الماءً، روعة الصمت وهو يكتم افواه خوفنا، روعة الخدر الذي يصيب اجسادنا ويمنحنا النوم دون ان نتملق للتعب كي يمنحنا غفوة.

يلتجأ نوعان من البشر الى الهرب من الواقع، والامر شتان بينهما، يلتجأ لهذا الهرب المُترب والمعدوم.

المعدوم سَحَقاً بعجلات الحرمان لهُ الف عذر وعذر لهروبهِ، المعدوم الذي سُمِّي معدوماً لأنه وقت وجود الجميع كان معدوماً، ذلك الذي اجبرهُ المجتمع على احتقار نفسه، وقتما اجبره على العمل بصفة ذليل في وضح النهار، ولطالما ان من اهم سِمات الليل هي استذكار احداث النهار فكيف له ان ينام على وسادة القهر دون ان يرتشف القليل من النسيان.

ولكننا ورغم كل ما ورد من الوجد، لن نغفر له استسلامه، لن نمنحه حق التبرير، لن نسميه مظلوماً إلا في تلك اللحظات التي نشعر بها بألمه، لنا عتبٌ ليس بالهين على ما فاتهُ من عمر، نعتب على الفرق الذي صار بينهُ وبين اقرانه، نعتب على حرمان نفسه لفرحة النجاح في الوقت الذي كان عليه ان ينجح، لا ان ينام اغلب اوقات يومه، لن نقبل منه الاعذار، فلكم من لا شيء اصبح شيئاً براقاً.

اما عن المُترف الذي اشترى من مُذهبات العقل اجود انواعها، فقد اتفق مع المعدوم بأن لا اهمية ليوم الغد، يوم الغد في مفرداتهما لا يستوجب القلق والتفكير، ليكون كيفما يكون، فالمعدوم لن يكثرث للغد لأنه لن يقل سوءً عن يومه، والمُترف لديه من المال ما يَحَجَبُ عن عيونه القلق ويصفع جبين الفقر، له من المال ما يُمكنهُ استئجار ما يود من نجاحات لتحمل اسمه، له من المال ما يُمكنهُ من شراء الاحلام المُحَقَّقة ذاتياً، كما يشتري السياسي العربي شرف تلك البنت الفقيرة التي احتاجت الى وظيفة ما لتعيل ما منحها القدر من ايتام.

دخلت الى هذا العالم لأيام وتفهمت الاسباب التي تدعو الى الهروب من الواقع، عرفت لَمَّا تُجار المخدرات لا يحتاجون الى الاعلان عن تجارتهم، لَمَّا هم ليسوا بحاجة الى الترغيب واطلاق تسمياتٍ مُثيرة لجلب الانتباه لما يستوردون من خدر، تلك النشوة كانت هي المسؤولة عن ارباحهم الطائلة.

كُنْتُ على يقين بأن (رفيق الروح) هو الدواء لكل داء، كان العِقار الذي عافى جسدي من خطر الادمان، جاء في الوقت المناسب، بعد ان اعتدت على المهدئات في وضح النهار، جاء بعناقه المثير للراحة، غفوت على جسده بكل قوايّ التي فقدتها حين استنشقت عطره، حين نظرت الى تصفيقة شعره، حين تأملت عينيه وسرقت النظر لشفاهه.

كانت هذه الليلة هي القوة التي دفعتني الى الامام، هونت عليّ رحيل امي، ليلةٌ همست بأذنيّ بأن القادم افضل، لن يخلوه شيء سوى دعاء امي ومكانها الذي لن يشغله احد على طاولة طعامنا.

لن تُملئ تلك الفجوة في قلبي التي صدحت بصوت امي وهي تنادينني باسمي، وهي تقول لي (صباح الخير) في كل يوم اشرفت به شمس التفاؤل والامل عنوة لدعائها، لا زال صدى صوتها وهي تُغازلني باسمي وتقول بأنني اسماً على مسمى.

ذهبتُ الى العمل، بعد ان لم اجد جدوى من الرقود في البيت غير الذكريات، وددتُ ان اسعده كما اسعدني ليلة امس، اخبرتهُ بأنني عُدتُ الى العمل، عُدتُ الحياة لأجل ان القاه.

سارت الايام بخفيّ حنين، اعتدت على الصبر لتجاوز الصعاب، كان الفضل الكبير له، لولاه لتطلب الامر كثيراً من الالم، ولأنتج المزيد من الشعر الابيض، لولا رؤيته لذبلت اجفاني، لولاه لرجعت لعصر الثورة الفرنسية ليقتلني اليأس بمقصلته لو تجرأت على المقاومة.

اقترح عليّ (احمد) ان أغير مسكني حتى لا تحوم الذكريات حولي، كي ابدأ من جديد، كان الامر صعباً للغاية، الذكريات التي تحوم حولي احبها واحاول الهروب منها في ذات الوقت، ماذا عساي ان افعل والحزن يغلب على الذكريات ويجعل اجملها تعساً، قررت بعد التفكير لعدة ايام بأن اوافق على طلبه وان لا اترجع عن قراري هذا.

ابتعتُ منزلاً صغيراً، كان منزلاً جميلاً وخالي من الذكريات، يلزمه الكثير لتكون فيه ذكريات، يلزمه العديد من السنوات والعناق، يلزمه ليل وقصائد شعر، كان يلزمه وجود (رفيق الروح) فحسب.

زرتُ مطعم (زياد) ذات مساء، كانت بيبي وبينه بعض الالتزامات توجب انجازها، بعد ان قدم لي المساعدة في بيع منزلي القديم، دخلت الى المطعم، لم ادخله منذ سنوات، تغير كثيراً، صار احد المعالم المهمة في مدينتنا ولا سيما للسياح، وجدتُ كادر العاملين قد تضاعف كثيراً، كما تضاعفت مساحته.

جلسنا في غرفة المكتب، بعد ان مشيتُ مبتسمة وانا ارى طيفي يغسل الصحون، كنتُ هنا قبل سنوات، شعرت بالانتصار لكوني اصبحتُ على ما انا عليه الان وانا انظر الى مكاني القديم، كنت سعيدة لأنني امتلك القوة لأجعل

من صديقي واخي الاكبر (زيد) ان يهتم بجلوسي على الطاولة اولاً قبل ان يجلس بعد ان كنت اتلقى اوامر العمل منه.

كان مُنشغلاً بأعداد اعلان لمطعمه الذي اصبح فخماً للغاية، ذكاءه كان سبب في نجاحه وتميزه بأعمال التجارة بالاضافة الى كونه طباًحاً ماهراً وحاصل على العديد من الشهادات التقديرية، كان قد انشغل في اعداد وتحضير تقريراً تعريفياً لتاريخ مطعمه وانجازاته ليقدمه الى احدى شركات الاعلان للحصول على شهرة أوسع.

طلب لنا القهوة، ثم بادر في جمع الاوراق المُبعثرة من على مكتبه، كانت هذه الاوراق عبارة عن مجموعة من شهادات تقديرية بالاضافة الى صور لمطعمه وللعاملين فيه، ساعدته في جمعها وهو يتفاخر بها امامي مازحاً، ويقول "هل تتمكنين من احصاء نجاحاتي؟"

وانا اجمع الاوراق شاهدت شيئاً لم اتوقع مشاهدته، رأيتُ صورة تجمع الكادر العامل في المطعم بأكمله، شاهدت شخصاً قد رأيتُه من قبل، وضعتُ اصبعي على وجهه، وسألته "من يكون هذا؟"

سألني متعجباً: هل تعرفينه؟

اجبته: كلا، ولكن وجهه مألوفاً لي.

قال: هذا الشخص الذي حدثتُك عنه مسبقاً، هو الذي سرقني، اعطيت صورته الى الجهات القضائية وتم نشرها برفقة امر المحكمة بالقبض عليه، سأجدهُ وسأجعله يدفع ثمن فعلته سنوات في السجن.



صدمني هذا الموقف، صدمة لم تكن في الحُسبان، كان ذات الشخص الذي يرافق ابنته (بيلسان) حين رأيته لأول مرة في الجامعة، تكرر الموقف مرة اخرى لأرهما جالسين سوياً بالشكل الذي يهمس في اذن من يراهما بأنهما على علاقة حميمة، لم يكن بالوسع ان افترض امرها في هذا الوقت، كان هذا الشيء مستحيلاً حتى في غير وقت، كيف لي ان اخبره بأن ابنته على علاقة بشخص سيء وسارق، كيف لي ان اضعه في هذا الموقف امامي، انا اخاف عليه واحبه كثيراً.

تجاوزت الامر، لم اجعله يشعر بشيء ولكن ذكاؤه اخرجني، سألني لأكثر من مرة لم سألتُ عنه، اقنعتُه بأن وجهه مألوفاً لي ليس الا، لم يقتنع، قلت له "العلي رأيت صورته في احدى الشوارع بعد ان صدر قراراً بالقبض عليه"، اجابني بأنه لا يمتلك أي اقارب في الحزب الحاكم كي يهتم احداً من السلطات الامنية بشأن سرقته، او يلاحق السارق بالضمير المهني الذي نراه في الافلام السينمائية، يتطلب الامر الكثير من الرشى، وهو يمتنع عن تقديم أي رشوة كي يهتم مركز الامن في العاصمة بشأن سرقته، كان يتمتع بأخلاق الدين القيم وليس بتفرعاته المهتمة بالتحريم والتجريم.

انهى اسئلته عن سبب سؤالي عن السارق، تعبتُ قبل الخلاص منه، انهى كلامه بأن هنالك سراً وراء هذا الموضوع، وان عيناى فضحت الامر، اعتدتُ عليها وهي لا تكتتم سراً.

كانت لهُ فِراسةٌ غربيةٌ كان يعرف قصد الكلام من العين لا من اللسان، منذ ان كنت اعمل في المطعم وانا اراقبه خفية حين يتكلم، كان يعطي قراراته بحسب ما يُخمنه من كلام الاخرين، لا يكثر لما يقولون.

اذكر ذات مرة بأنه قال على احد العاملين بشأن موضوع ما بأنه كاذب، اضطر العامل الى ان يقسم يميناً على صدق كلامه، ولكن (زياد) وقتها لم يصدقه، بعد ايام كُشِفَ كذب هذا العامل، اتضح ان (زياد) كان على حق رُغم ان العامل وقتها اقسام يميناً، حين تكلم بشأن الامر قال انه كُشِفَ كذبتِه في وقتها لأنه قرأ في احدى كتب علم النفس ان الكاذب حين يدلي بكذبتِه تتحرك كلتا عينيه او احداها الى احدى زوايا المكان الذي يجلس فيه وانه لا يمكن لأحداق العين ان يستقر باتجاه واحد وقت التفوه بالكذبة، ولكن هنالك بعض المتمرسين بالكذب لا يمكن كشفهم بسهولة، او انهم اعتادوا على الكذب على شخص معين فتجاوزوا حاجز الخوف فلم تعد أحداق اعينهم تتحرك وقت الكذب إلا عند تخويفهم بكثرة الاسئلة والشك، حينها سيضطرون الى تكرار الكذب مع بعض الخوف فيمكن كشفهم بالتركيز على احداق اعينهم.

مرّ على هذا الموقف سنين طوال، لكنني استذكرتهُ وانا اكدب عليه، خفت من ان يفتضح امر ابنته، كيف سيتعامل مع هذا الموقف؟ مهما سيكون تصرفه متسرعاً فان له عشرات الاعذار.

ونحن نشرب القهوة كُنّا نشاهد التلفاز، تكلمنا حول الامور التي جئت من اجلها، سألني عن منزلي الجديد، انا مُعتادةٌ على اهتمامه، يهتم بي كاهتمام

الاب بأبنته، لطالما يقول لي بأني ان احتجتُ لشيء والتجأتُ لغيره فإنه سيخاضمني طوال حياته، ولهذا السبب التجأتُ له في بيع المنزل.

اذاعت القنوات التلفزيونية اخباراً عاجلة، كانت مفادها أن الحكومة وبعد الاستعانة بالمجلس التشريعي الذي يمثل اخيها التوأم قررت طرد اللجان المبعوثة من منظمة الامم المتحدة من اجل الاشراف على الانتخابات المزمع اجراؤها في الاسابيع القادمة، عَزت هذه القنوات السبب الى عدم التوصل الى اتفاق حول جنسية اعضاء هذه اللجان، والذين تم اختيارهم بحسب البُغض السياسي الذي يربطنا بالدول المجاورة على حد ما جاء بتصريحات وزير الخارجية.

كانت لبلادنا عدة خلافات السياسية والاقتصادية مع كل دول المجاورة، والدول المجاورة للدول المجاورة بقدر تعلق الامر بهمجية وزير خارجيتنا الذي تم تعيينه بحسب طول ذقنه وخبرته الكبيرة باقامة الاذان والصلاة، فالمناصب في دولتنا يعتليها من كان تقياً وليس من كان خبيراً بشؤون منصبه، والتقوى هنا تقوى الملابس والشكل وليس هنالك ثمة وجه للشبه بين تقواهم والتقوى المنصوص عليها في الاديان.

حين سمع (زياد) الخبر ضرب بيده على الطاولة فأسقط فنجان قهوته التي لم يشربها لانشغاله بالبحث عن الاخبار العاجلة، نادى لأحد النادلين في المطعم ليجلب له قهوة جديدة.

من خلف طاولته المكتبية، تقدم (زياد) بكرسيه المتحرك الى الامام حتى صار بالقرب من التلفاز بشكل مائل، ظل مندهشاً من الخبر ويُراقب ما سيتلوه

التلفاز، لم يتكلم شيئاً، لم اتكلم انا أيضاً، ضجرتُ من فوضى عارمة التي ستحدثُ، تذكرتُ حجم التظاهرات التي ملأت مركز العاصمة من اجل اجبار الحكومة او بالأحرى ارضاخ الحزب الحاكم للعمل وفق ارادة الشعب، تذكرت نضال (احمد) ورفقائه من اجل انجاح تلك المظاهرات التي ذهبت هُتافاتها سُدى، كانت فريدة من نوعها، لم تخرج بحجمها تظاهرة من أي فئة من فئات الشعب منذ سنوات بسبب الصراخ الذي نسمعه من سجون التعذيب العائدة للحزب الحاكم ليلاً والى الحكومة والاتهامات الباطلة بحق كل من يعارض افكارها الجوفاء.

قلتُ لزياد: لولا خروج التظاهرات العارمة لما صدقنا بأن الحزب الحاكم سيرضخ لأرادة الشعب يوماً ما وان يوافق على دخول المراقبين الدوليين، الامر كان واضح منذ البداية، ولكن كل ما في الامر انه كان يوجد هنالك بصيصاً لأمل التغيير والان اطفأته الحكومة بتعسفها.

قال: لن ينتهي الامر بهذه السهولة، انا متابع للتطورات السياسية للأشهر الاخيرة عن كثب، الامر ليس هكذا، الحقيقية ستقولها صُحف المعارضة يوم غد، ستقول ان وزير خارجيتنا افتعل الموضوع بعد توصية من الحزب الحاكم بكل اطرافه التي استشرت في الجهات التشريعية والتنفيذية والقضائية، الامر لا يتعلق بجنسية المراقبين، لأنهم لو راقبوا العملية الانتخابية فأنها ستكون الانتخابات الاخيرة التي يتمكن فيها الحزب الحكم من ترشيح نفسه، لن يطول الامر، الشعب لن يذهب للاقتراع، هذه بداية النهاية.

قلت: وجهة نظر سليمة، من المؤكد ان الامر مثلما تقول او شبيهاً له، الحكومة خائفة من المراقبة الدولية، لولا تزويرها لما سبق من اقتراح لما دامت سنين حكمها بهذا القدر.

قال بوجهٍ غاضب: لولا سجونها المُظلمة وكثرة الابرياء الذين يقبعون فيها بالثهم الباطلة لما سكت صوت الشعب، كان في بادئ الامر تخوفاً يدمى له القلب، ولكنه بعد سنوات اصبح عُرف واجب الاتباع، لطالما سمعنا اللوم على كل من اعترض على ظلمهم بصوت عال، نعتوه بأنه من اتباع المعارضة، بعدها لم يشاهدهُ احد، لم يعرف احداً عن جثتهِ شيء، كانوا يلقون باللوم عليه لأنه لم يصمت ليعيش ما تبقى له من عمر.

كان (زياد) على مبدأ الاعتدال في الالتزام الديني، مُعارضٌ لأجراءات الحكومة رغم التزامه بذات الدين الذي تروج له الحكومة، افكاره لا تمت لدينهم الزائف بشيء، كان ذا منهج صحيح متبع لكل اصول دين بما ينص على الرحمة والعدل والمساواة، كان يُعارض كل منهج تكفيري او أي فكرة تحاول ان تسلب حقاً ولو بسيطاً من أي ضعيف على هذه الارض، كان كالكثيرين على ارض هذا الوطن، حبهم للوطن والألفة بين اطراف شعبه المختلفة يعلو أي انتماءٍ لهم، ديني او مذهبي او حزبي، لكن السُدج والمنتعمين بخيرات الاموال المسروقة من قوت الشعب كان صوتهم يفوق كل صوت، كان صوتهم يثير الذعر لأننا نسمعهُ عبر مكبرات الصوت لمقرات الحزب الحاكم ولدور العبادة. انتهى لقاؤنا، القيت عليه تحيةً ممزوجةً بالشكر لمساعدته لي، تركتهُ بعد نقاشاً سياسياً اثار غضبه، لكنني تركتهُ مبتسماً لعبارة قلتها له قبل ان اخرج،

حتى استمر ضاحكاً وهو يسير معي كي يودعني، قلت له "الطالما اقتنعت بفكرة فصل الدين عن الدولة وهي احدى اسس ومبادئ المنهج العلماني، ولكنني كلما رأيت فتاوى رجال الدين في كنائسهم ومساجدهم اكون على يقين بأنني على خطأ، نحن الان لسنا بحاجة لفصل الدين عن الدولة، نحن الان بحاجة لفصل الدين عن المجتمع"

احدثت التصريحات الحكومية الاخيرة ضجة كبيرة بين الناس، وانا عائدة الى المنزل سمعتُ العديد من الاشاعات تفيد بموعدٍ للاعتصام وسط العاصمة في يوم غد، لم اهتم، لن يحدث هذا، الامر يتطلب معجزة كبيرة لتغير الافكار السائدة منذ عقود، ليس بالأمكان تغيير الواقع ما لم يُغير الناس اعتقاداتهم، كيف لهم تغيير ذلك وهم يرتادون دور العبادة .

اتصلت (بسارة) لأطمئن عن احوالها، قلت لها قبل التحية بأنني اشتقت لها كثيراً، لم اراها منذ وفاة امي، اسعدني اتصالي بها كثيراً، بعد ان اخبرتني بأن زوجها اتفق معها بأنهما سيمنحان اسم (قمر) لأبنتهما المنتظرة تيمناً بأسمي، اسعدني ان يكون لي قرين، حتى لو كان فرق العمر والقهر بيننا كبير.

وانا اسير عائدةً الى المنزل اتصلت (بأحمد) لأستفسر عن موقفهم من القرار الاخير، كنتُ خائفةً عليه، كيف بوسعي ان امنعه من الخروج او من قيادة التظاهرات كما حصل في التظاهرات الاخيرة، كيف بوسعي ان احتجزه بين اضلبي كي لا يصيبه مكروه، انا خائفةً بالقدر الذي يتوجب عليّ احترام مبادئه وافكاره التي يتبناها، واحترام مكانته السياسية التي بدأت تكبر بين الوسط الشعبي، كان يجب عليّ ان اکتّم كل هذا الخوف كي لا يظن بأنني أستصغره.

اخبرني بأنه مُنشغلُ باجتماع في مكانٍ سري مع افراد الحزب الليبرالي، كما اخبرني بأنه لن تكون لهم أية مظاهرٍ في الشارع ليوم غدٍ، لأن الحزب الحاكم افتعل هذا لضمان تزوير الانتخابات القادمة من جهة، ولنصب فخٍ لقيادات التظاهر الاخير واعتقالهم في حال خروجهم من جهة اخرى.

بعد ان انهيت عملي في اليوم التالي، لم اعد الى البيت، ذهبت لزيارة امي، اشتقت لها كثيراً، ذهبتُ ولم اتمكن من عناقها، لم يتبقى منها إلا قبراً يحمل لوحة كتب فيها يوم ولادتها ووفاتها، كنتُ لا ازال شديدة الفخر بها وبأسمها، شديدة الفخر بتلك الماكنة التي انحنت عليها طوال شبابها لتؤمن لنا العيش، نقلتها معي لمنزلي الجديد كي أراها كل يوم، كي لا انسى تضحيتها، كي لا انسى شبابها مُحذب الظهر.

لم اقوى على الكلام امام قبرها كثيراً، اخبرتها بأنني انتقلتُ الى منزل جديد وبصحتي ثيابها ومقتنياتهما، حدثتها عن أمالي وعن (أحمد)، اعتذرتُ لأنني لم احدها عنه، احتفظت به سرّاً، صليت الى الرب لأن يجمعني به، كي احقق امنيتها واسعدها وهي في العالم الاخر، كي اكون سعيدة انا ايضاً لما تبقى من العمر، لم اعد اقوى على العيش بمفردي، رغم كل شيء سأبقى بانتظاره، سأبقى بانتظار تلك اللحظة التي سأرتدي بها فستاني الابيض الذي صنعه لي امي منذ سنوات وبقيت محتفظة به الى الان، سأبقى بانتظار تلك الليلة التي سأرتديه بها، كل النساء تعلم ان ثوب الزفاف لن تكتمل اناقته إلا بعد ان تلمسه الام.

الثاني من نيسان..

ذكرى ميلادنا، ذكرى ولادة حُبنا من رحم الاعجاب، ذلك اليوم الذي افصحَتْ له عن حبي، اليوم الذي كتبتُ له بأذني افرح حين القاه، ذلك التاريخ الوهمي الذي اخترعهُ ليخبرني عن اعجابه، قال انهُ يوم ميلاده، لكنه تبين انهُ ليس كذلك، كان ميلادنا نحْنُ الاثنان، تأريخنا الجديد بحسب تقويم العشق.

كانت صدفة جميلة، كُنَّا على موعد مع القدر، لأول مرة ينصفني فيها القدر، لأول مرة اكسب شيء دون الدفع بالمقابل، تمنيتهُ فأهداني اياه القدر، كنت اخشى تأنيب الكبرياء لأنني امرأة عربية لا يحق لها ان تفصح عن حبها، قال لنا المجتمع العربي بأن علينا ان ننتظر النصيب فحسب، ان ننتظرهُ لمُقايسهُ اجسادُنَا بالثياب والحُلِي، اوصانا بأن لا تبدر منّا كلمات صريحة بالحب، وان تطلب الامر، قد يسمح لأعيُننا ببيان بعض مظاهر الاعجاب، مقابل ذلك

علينا ان لا نعترض لو نعتنا ذات يوم وقال "عديمات الادب والحياء"

هذا اليوم يعني لي الكثير، تغير فيه طعم الليل في افواه الغزل، تغير شروق الشمس، تغير ضيائها، تغيرت ملامح وجهي، تغيرت الوان ثيابي، تغيرت فيه خصلات شعري، اصبحت تنساب بين اصابعهُ ثملة.

هذا اليوم هو يوم ولادتي، فلا عمر يُحتسب قبل رؤيته ولا ايام تمضي من دون لُقياه، هذا اليوم يعني تحقيق الحلم الذي شغل ليلي، شغل اول لحظات استيقاظي، شغل كل نظرةً من على نافذة غرفتي، في مثل هذا اليوم تالأأت عيناه في عتمة احلام اليقظة خاصتي، حتى استدللت ببريقها خطواتي نحوه،



ركضتُ شغفاً الى الحب، التقيتهُ فنطقتُ شفاته بكلمات كان صداها مدويّاً في كهف انوثتي المهجورة، انوثتي التي تجاهلت كل رغباتها الى ان القاه، لم يعجبني بشر سواه، لم يلمسني بشر قبله، في مثل هذا اليوم تعلمت شفاتي التفكير، اتقنت تلك الرعشة التي تسبُق القُبلة، في مثل هذا اليوم ابتلت عروق جسدي بعد ظمأً بأستنشاق عطره وانا قريبة من كتفه، ولكم في اللاوعي اقتربت من جسده وانا احادثه، في مثل هذا اليوم اعتزمتُ في اناء الليل واقسمتُ بكل عضةٍ لشفتي وقت ذكراه، بأنني لن امنعه عن جسدي لو شاء الغزل، لن ابقيه مُتحرراً كقارورة عطر اغريقية في متحفٍ اثري، لن اتمكن من الصبر اكثر وانا واقفة امام صدره، فللأثرة احكام.

اعددتُ له الف عذر لو لم يتذكر هذا اليوم، كثرة انشغالاته ومواعيده كانت قبل كُل عذر، تمنيت ان يتذكره، تمنيت ان نلتقي، تمنيت ان يُقبلني على غفلة حتى لا امتلك الوقت الكافي لرفضها، تمنيت ان لا ينسى كل شيء كان في بداياتنا، لا شيء في الحب اجمل من البداية.

تحققت امييتي، اتصل بي وطلب ان نلتقي على العشاء ليلاً، طلب ايضاً ان ارتدي الثوب الذي ذهبت به الى عيد ميلاده قبل عامٍ من اليوم، كان ذا لون احمر يتخلله السواد، من حسن الحظ اني لا زلت احتفظ به، طلب مني ان اترك شعري مفتوحاً دون ان يقيده شيء، حتى لا يتلأأ بالكلام بحسب قوله، ابتسمتُ حين سمعت ذلك، لأن من المستحيل ان يتلأأ لسان يفصح الشعر،

هل يجبُ شعري الى هذا الحد؟

جعلني الفرح ان اعدّ ملابسي منذ الصباح، بقيت انظر الى عقارب ساعتي الجدارية، كم هي بطيئة، ظننت في بعض الاوقات بأنها توقفت عن الدوران لقرب الفترات التي انظرُ فيها إليها، تعبت من الانتظار.

كم جميلٌ انه تذكر هذا اليوم الذي يعني لحياتي معنى الحياة، كم تمنيت ان يكون (رفيق الروح) مثلي يُقدس الذكريات ولا ينسى البدايات، كان كذلك، يوماً بعد يوم وانا ارى القدر ينصت لأمنياتي، بدأت اخاف على نفسي من هذا النعيم، اخاف ان لا يدوم، لم ارى سعادةً مُطلقةً ذا يوم، لم ارى القدر من قبل يهديني شيء دون مقابل، اعتاد على فرض الضرائب، طاوعته مُرغمةً فهو لا يتعامل معنا إلا بعقود الاذعان.

بوافٍ من الفرح، التقيته، التقينا في ذلك المطعم المُطل على البحر، كان موعدنا عند الساعة التاسعة مساءً، دخلت الى المطعم في الوقت المحدد لأنه طلب مني ان لا اتأخر عن الموعد، لم اعرف السبب.

كانت طاولتنا تتوسط المكان، لم يكن (احمد) موجوداً، جلست لأنتظره، مرت عدة دقائق ولم يأتي، اخرجت هاتفي لأتصل به فأنطفأ النور من حولي، اصبح المطعم مظلماً للغاية، ومع الظلام صمت كل من حولي، اصبح المكان ساكناً، اين ذهب الجميع؟

بقيتُ جالسة التفت لما حولي، انتظر رؤية بصيص نور كي أستدل به الطريق للخروج، خفتُ كثيراً.

سمعتُ صوت اقداماً اتت من خلفي، صارت بالقرب مني، لم ارى شيئاً، كان صوت حذاء رجل، وقف بالقرب من الطاولة واخرج قداحة من جيبه، اشعل شمعتين كانتا على الطاولة، رأيت كف يده فقط.

جلس امامي فأنارت الشموع وجهه، رأيت (احمد) ....

ابتسم، ابتسمتُ انا ايضاً، نسيْتُ الخوف، شعرتُ بالأمان لوجوده، من شدة جماله نسيت ان اسأله عن سبب الظلام الدامس من حولنا، اكتفيت بوجوده الذي يغنيني عن اسمي وكُنيتي.

انتظرتُه ليتكلم، لم يتكلم، بقي صامتاً بعد جلوسه، اخرج علبة صغيرة من جيبه، ووضعها امامي، فتحتها، كان بداخلها خاتم زواج مرصع بالماس. اندهشتُ كثيراً، كنتُ بحاجة لتفسير هذا الموقف، نظرتُ إليه لأسأله، سبقني بالكلام ....

سألني: هل تقبلين الزواج بي؟

لم اتمكن من الرد لهول الموقف، امنياتي تتحقق واحدةً تلو الاخرى، الان سأهملهن لأن اهمها بين يدي، حلم الارتباط به، هل انا احلم ام ما اراه حقيقة!!

نعم، تمنيت الزواج به، جُل ما اتمنى ان يكون لي، ان يمتلكني كُلياً، ما انا عليه الان لم يبق لي حتى الحلم به، لم ارى في حياتي موقفاً بهذه الروعة. اغلقتُ عيني وفتحتها لأكثر من مرة، ظننتُ أنني غفوت على الطاولة وانا انتظره وحلمت بما اراه، ولكن المشهد كان حقيقياً.

غمرني الفرح بأموج شبيهةً بأموج المحيط الاطلسي، شعرتُ بالغرق...

ماذا عليّ ان اجيب؟

هل كلمة (نعم) تكفي للاجابة؟

ام عليّ قول اكثر؟

هل اقول له كم تمنيت هذا اليوم؟

هل يعلم كم اعشقه؟

هل يعلم كم انتظرتة؟

هل يعلم بأنه الحب الاول؟

هل يعلم بأنه الاخير بكل تأكيد؟

هل يعلم انني حاربتُ كل ما حولي من أجل ان القاه؟

يطلب مني الان ان القاه كل يوم، في كل وقت وفي كل الفصول، يطلب مني ان اغفو على صدره حتى شروق الشمس، يطلب ان تتوحد انفاسنا على سرير لشخصين مُبعثر الاغطية.

شَتَانُ بين الامرين .. يطلب ان يُقَبِّلني بلا استئذان وانا على استعداد بأن اقدم له جمالي بأكمله ليدخُنهُ كالسيجار، انا على استعداد بأن انثر جسدي بالكامل على شفاهه، ابعثرهُ حتى ننتشي السَّعْف بكل ما اوتينا من قُبَل.  
تركتهُ ينتظر، كنت انصت لأفكار عقلي الباطن، ابتسمت ...  
قلت له: انا احبك.

اشتعلت الاضواء من حولنا، رأيتُ كل من حولنا كان واقفاً، كان الجميع ينتظر هذه اللحظة.

جاء (احمد) قبل وقت موعدنا ليطلب من ادارة المطعم والحضور بأن تنطفئ  
الاضواء لدقائق لكي يُفاجئني، لم اكن متوقعة انه سيعُد لي مفاجأة بهذا  
الحجم من السعادة.

وقفنا وسط تصفيق الجميع، كانوا على شكل دائرة تحيط بنا، تركوا طاولاتهم  
واصطفوا حولنا، لم اشعر بهم اطلاقاً، كان وجهه الممزوج بضوء الشمع  
يخطف الذهن حتى لو كان شارداً.

ظل واقفاً بقربي، اخرج الخاتم من علبة الحمراء ووضعه في يدي اليمنى ثم  
قَبَلها، استمر تصفيق الجميع الى ان عُدنا الى مقاعدنا، عادوا الى اماكنهم هم  
ايضاً، عاد ليجلس في مكانه، قال لي "احبك"

كيف لي ان اشكره على هذا الموقف الجميل، كيف لي ان أقبله وسط هذا  
المكان لأنه حقق لي ما تمنيت، ما اجمل ان تتزوج المرأة بمن عشقت،  
انتظرته عُمرًا بأكمله.

كانت (سارة) كثيراً ما تقول لي "لولا جمالك لما طوعتك في رفض كل من  
تقدم لك، ولكن المهم ان لا تتجاهلي حقيقة ان لكل جمال عمر افتراضياً،  
اتمنى ان ينتهي غرورك قبل فوات الاوان"، لم تُصدق بأنني كنت بانتظار  
العشق، انا لم اكن افكر في بناء حياة زوجية على الاعجاب فحسب، كان  
العشق شرط الارتباط ضمن مبادئي.

قلتُ له: شكراً على هذا المُفاجأة، حقاً انت رائع.

مسك يدي وقال: في الحقيقة، لم اكن انوي اتباع هذه الطريقة، لكنني لم اجد اجمل منها، توجّب عليّ جعلها بشكل مُفاجأة وفي مكانٍ عام كي تبقى اجمل ذكرى لنا.

قلت: رائع انت كيفما تكون.

اراد ان يطلب لنا الطعام، لم اوفق، طلبت من النادل ان يجلب لنا فنجانين من القهوة فقط.

كان المكان جميلاً للغاية ولكنني تضايقت بعض الشيء من نظرات الناس من حولي الذين شاركوني هذا الموقف الجميل بتصفيقهم، كانت نظراتهم تعبث بأفكاري، لم استطع التكلم معه، طلبت منه ان نكمل حديثنا ونحن نسير على الشاطئ، هنالك سنجد متسع كافي من الكون لكلامنا، اردتُ الذهاب الى ذلك المقعد.

هل كنت مُصرة من اجل الهدوء والعزلة؟ ام طمعاً بقُبلة اخرى؟ قُبلةً مشابهةً لتلك القُبلة التي اهداني اياها اول مرة، القُبلة الاولى التي لا تفارق اذهان اي امرأةٍ وهي على قيد الارق.

سِرنا على الشاطئ، نهني (احمد) بأنني اسير مُسرعة، كانت خطواتي متسارعة من شدة الفرح، مسكتُ بيده من مرفقها فتغير الامر، صرنا نمشي سوياً الى الغد، الى تلك الايام التي لا تعد، نسير لتحقيق كل احلامنا، المُباح منها وغير المُباح، لم يعد هنالك فرق، كما لم تعد هنالك حاجة للذرائع لأقترب من جسده خلسةً لأسترق الشم من ذلك العطر الذي يفوح من رقبتّه.

تفاجئتُ حين اخبرني بأنه قد تحدث في موضوع خطبتنا مع (يعقوب) كان قد تكلم ليعرف مدى اعتراضه لو تقدم وطلب يدي، سألتُه عن السبب فقال لي "يجب عليّ ان اكون جاداً وصادقاً لأحظى بك"

كان فَرِحاً حين لم يرى أي وجهاً للاعتراض من (يعقوب) كان خائفاً من ان لا يعارض لكونه مسلماً، ولكن (يعقوب) حين سمع طلبه لم يقل له سوى الكلمات التالية "تهمني سعادتها، اسعدها وكن على الدين الذي يُعجبك"

كان سعيداً مثلي، كانت كلماته جميعها تصحبها الابتسامة، غازلني حتى ازداد الموج وعلا، صوت الموج اجبرنا على الوقوف، صرنا وجهاً لوجه، نظر في عيني، وهو يأخذ خصلةً من شعري كانت قريبةً من وجهي ليضعها خلف كتفي، رجع خطوتين الى الورا..

سألني: هل تودين سماعي؟

قلت له: لطالما حلمت بذلك.

رجع خطوتين الى الورا ليقف وقفة الشعراء، رفع يده اليمنى ليعلو مستوى سطح البحر، لتتغير اشارات الغزل في اروقة العشق، اغلق عيناه وفتحها، تحركت شفاهه بالأبداع ..

قال:

ترهق أنوثتك احرف الابدية

فلا اجد احرف أنحرها تحت أقدام جمالك

سأجعل من الاحرف ورود ياسمين

لأنثرها على جسديك

دون شفتيكِ

لأنني سأقُبلها حين تنتهي احرفي

سيطغي عطر مساماتك على عطر الياسمين

سيكتسب الورد رحيقهُ منكِ

يا من تضي رقتها للورد رقة

يا من نُداعب مشاعري بنظرة عين

يا من تقتلني بالصمت لو شاءت

وتحييني لو صمتت اكثر

صمتكِ موسيقى ..

كتلك التي يطرب عليها كفيف البصر

أأصلي صلاة استسقاء لكلماتكِ؟

هل ستستجيب السماء لُدعائي وتتكلمين

يا سيدة التفاصيل الجميلة

أنني أهيم بكِ كل مساء

أنني أعشقتكِ في كل صباح

اعجابكِ بكلماتي المُتيممة بكِ

يبعث الامل بحبر اقلامي

كي اكتبُ اكثر

كي أتمناك اكثر

اتمناك حلماً ..



لأرشيه بالقصائد كي يتحقق  
سأكتب لك المزيد من القصائد  
مزيداً من الاحلام  
سأبقى بك احلم .. و للحلم بقية.

تأكدتُ من انه حين كنتُ هذه الكلمات لم يكن يمسه بيده قلم، كان يمسه  
سكين ليقطع لي به جزءاً من الخيال ويمُنحني اياه، اخذني على سطح كوكب  
اخر غير كوكب الارض، مكان لا ارى فيه سواه.  
اداءه كان مُدهشاً، يقشعُ له البدن، كلماته لها قُدسية واجبة التصديق، كتلك  
الخُرافات التي تتلو على مسامع المتدينين في دور العبادة، حين ينصت  
المؤمن للكلام لا يقوى على سماعه، كلامٌ اكبر من ان يفكر في فحواه او يتفكر  
في مصدره، كان ينتقي كلماته كالذين ينتقون الجواري في العصور الجاهلية،  
حينما كان يختاروا اكثرهن اثاره.

لمقاصده نشوة، كنشوة الكأس الثالث من النبيذ المُعتق، ادمنت شِعره،  
ادمنت كلماته، اداءه، ادمنته بكل ما تحمُل الكلمة من معنى، لا اريده ان  
يتوقف، ولكنه توقف، انتهت ابيات قصيدته، انتهى فهدأ الموج، عاد الكون  
لطبيعته ولقوانينه الفيزيائية، اتعبت ابياته الكون بأكملة.

يَخْرُجُ الغزل لاهثاً من ابياته، ويخرجُ القصد منهمكاً ليحثو على ركبته، اداءه  
الجميل ادى الى ذلك، يتعب كل من يقف امام ابيات شعيره، اتعبي جداً،

وقفت انصت له، انصتُ لما يكتب من أجلي، انا لوحدي، ما اجمل ان تنصت المرأة لحبيبها، ويا ويلها لو كان شاعراً.

لم اجد كلاماً كافياً للتعبير عن سعادتي، كان يوماً يختصر كل احلامي، حين اكون برفقته، اشعر بأن القدر اضحى رهن اشارتي، ايقن أن ما يحول بيني وبين تحقيق احلامي هو مجرد الحلم بها.

كنت احمل بيدي حقيبي الصغيرة، رميتها ارضاً وصفقت له ..

قلت له: كفاك جمالاً، يا قنديلاً يطفو على شاطيٍ مُعتم.

اكملنا مسيرنا على الشاطي لنصل الى مكاننا المنشود، جلسنا هذه المرة بالقرب من بعضنا اكثر..

قال: قمر، انا سعيدٌ للغاية لأنك قبلتي الزواج بي، ولكن هنالك موضوع في غاية الاهمية يتوجب علينا اتخاذ قرارٍ بشأنه.

اجبته: حين وافقت على الزواج كان في خاطري كل ما ستقوله، ولولا انني فكرت ملياً لَمَا احببتك، كيف لي ان احب وسط حواجز تمنع توحد المستقبل، انا لا اريد ان اكون كهؤلاء الذين عشقوا بوجه شاحب من شدة الحرمان.

قال: انا ذهبت الى (يعقوب) بعد ان تعرفت عليه اثناء مراسم جنازة والدتك، اتصلتُ به وطلبت منه ان نلتقي، حدثته عن نفسي لأنني وجدتهُ الهم بالنسبة اليك، وجدته انسان جدير بالاحترام والثقة، كانت غايتي الوحيدة هي ان اعرف ان ذويك لن يضعوا حاجز الدين بيني وبينك.

قلت: لَمَا لم تسألني اولاً؟

قال: فكرت في ان يكون الامر مفاجأة لكِ، قررت ان اختار الطريقة التي رأيتها، ولكن هنالك شيء احزني.

قلت: ما هو؟

قال: تحدثت مع والدي واختي بشأن زواجنا، لم يوافقوا، قالوا لي "انت تعيش بعيداً فكن حراً في قراراتك، وان اخترت مسيحية لتشاركك حياتك فلا تأتي بها الى هنا" فكرتُ جيداً ثم قررت أن اكون انا صاحب القرار، الرأي الذي سمعته منهم كان عُرفاً يُحتذى به في قريتنا لأن هنالك سُخْطاً لمن لا يتبعه، لم يكن بوسعي ان اذهب الى اقارب والدي الذين لم اراهم منذ سنوات لأطلب منهم المجيء الى هنا من اجل طلب يدك، نحن في مجتمع عربي وانتِ تعلمين الخطوات الواجب اتباعها في هذه الامور، كيف لي ان اتقدم لكِ الان؟

قلت: انظر الى يدي؟

قال: ما بها؟

قلت: خاتم زواج، منحني اياه رفيق روجي قبل قليل، منحني معه مستقبلاً مليء بالفرح والشعر، وافقت فأرثديته، هل تتطلب موافقتي شيء غير ارتداءه؟ هل يتوجب عليّ وانا بهذا العمر ان استشار احداً كي يملي عليّ ما سيكون عليه مستقبلي؟

قال: افهم من ذلك انك لن تطلبين مني المراسيم رسمية للخطبة وما اعتاد عليه من حولنا؟

قلت له: كلا.

رُسمت على ثغره ابتسامة واسعة، اتكأ واخرج علبة سجائره، اشعل سيجارة،  
لم يتكلم لعدة ثواني ..

قلت: ما بك؟

قال: احبك في كل يوم اكثر من اليوم الذي سبقه، هل تذكرين حين قُلت لكِ  
بأنني لا أومن في حُبِّ يُلوح للارتباط؟ اتفقنا حينها ان تكون ارواحنا هي  
صاحبة القرار، لم اتوقع ان الامر سيكون بهذا الشكل، في كل مرة كنا نتحدث  
فيها كان اعجابي بكِ يزداد، كنت انوي التحدث معكِ بشأن الامر، ولكن  
الحواجز التي بيني وبينكِ حالت دون ذلك مراراً، كم مرة حدثتني بأنكِ رفضتِ  
الكثير من الذين تقدموا لكِ، قلتِ لي بأنكِ كنتِ تختلقين الاعذار ان كان  
المُتقدم (مسيحي) وان الامر يكون يسيراً جداً لو مكان المتقدم لكِ كان  
(مُسلماً) فالذريعة متوفرة.

قلت له: صحيح، لكنني كنت ارفض بالحجج الكاذبة، كل من تقدم لي لم  
يملك مُسبقاً شيئاً من قلبي، لم أُعجب به حتى، انا لم ارفض شخصاً تقدم لي  
بسبب دينه، كانت حجج لانتظارك، انت ظلمتني الان.

قال: حبيبتي، انا اعرفكِ جيداً، واحترم ثقافتك ومبادئك اللتان جعلتا من  
شخصك انسان جدير بالحب والتقدير، انا لا اتهمكِ بأنكِ هكذا، ما وددت  
قوله ان هنالك حاجز بيني وبينكِ، من المؤكد بأنكِ ستعانين في تقديم  
الحجج لقبولكِ إياي، في حين انكِ رفضتِ الكثير ممن هم على شاكلتي، ما  
الذريعة التي ستقدمينها لأقربائكِ؟

قلت: انا الوملك لأنك سألت (يعقوب) في شأن يخلصنا نحنُ الاثنان فقط، لم تخطأ في ذلك، احسنت صنعاً، صدقني لن اشاور غير عقلي في موضوع زواجنا، لن اخضع لضوابطٍ من احد، لن اعترف بأعراف المجتمع بأكملها، لن انصت لما تُملي علينا العشيرة.

قال: هل فكرتِ على اي دين سنتزوج؟

قلت: لنتخلى عن ادياننا لما تبقى من العمر.

قال: هل الامر بهذه السهولة؟

قلت: لما لا نرجع الى الحرية، الى اول خمس دقائق بعد ولادتنا، حين ولدنا عُرّة بلا اسماء، بلا اديان، بلا خطايا، بلا احقاد؟

اجابني: نعود، لَمَا لا.

قلت: ما رأيك بأن نتزوج على كلا الدينين؟

قال مبتسماً: كيف؟

قلت: نعقد القران حسب دينك لاستكمال الاجراءات الرسمية، وبعدها نذهب الى الكنيسة من اجل الاعلان و الرشومات وصلاة الشكر بحسب ديني.

قال: فكرةٌ جيدة، اتفقنا.

ايقنتُ بأن للحب قوة تستطيع كسر كل الحواجز التي يضعها المجتمع، لا سيما المجتمع المتدين او المُتبع لعادات وتقاليد الاسلاف حتى اعتبرها ديناً يضاف الى دينه الذي يتبعه.

وجدتُ الحل لما كان يجعل ليله مليئاً بالأفكار، كان عليه ان لا يجادل قلبي، أنا مستعدة على فعل المستحيل لأجله، أنا احبه، لما بعد الموت سأحبه. استمر حديثنا طويلاً، تحدثنا عمّا نحلم، صرنا نحلم سوياً، حلمنا بالوان غرفتنا واغطية سريرنا، حلمنا بأي يوم وشهراً سنزوج، احترنا في أي فصل من فصول السنة سنختار لزواجنا، حلمنا بكل قوانا العاطفية، اتقفنا على كل شيء قبل ان نقوله، لم ولن اختلف معه حتى يحملني بين يديه لأدخُل بيته. سهرنا، ثم عدنا ادراجنا سيراً، اخبرني بأنه سيسافر غداً، لم يخبرني قبل ذلك كي لا يفسد عليّ فرحة خاتمي الجديد، اخبرني بأنه سيذهب الى عدة مدن من اجل حملتهم الانتخابية، سيستغرق سفره بعض اسابيع، كان الخبر سيئاً لأنه لن يكن برفقتي وانا في أوج فرحتي، كنت افكر في تناول الافطار معه يوم غد ولكنه سيسافر.

وقف امامي قبل ان نفترق، كنتُ ابحث عن كلام كقصيدته، كلامٍ يفي بالغرض، والغرض هو ان اتقدم له بالشكر، انا بحاجة الى شكرٍ بحجم الاجرام السماوية، كيف لي ان اصف له كيف تغيرت ايامي معه، بتُ اخاف بأن القادم من العمر لا يكفيني منه.

اراد ان يودعني وانا لا ااحتمل لحظة من لحظات وداعه، لا امتلك كلاماً للوداع لكهري الشديد له، لم يسعني إلا ان اتمنى ان ترافقه السلامة وان يعود لي بأقصى سرعة لأنني بدأت اشتاق له وهو لا يزال امامي.

لم يُقبلني هذه المرة، انتبه لموقفي السابق، حين انهيت لقاؤنا وتركتهُ على عجل، انتظرتُهُ كثيراً ولم يقترب مني، عانقتُهُ بمحض ارادتي، نُوسدت صدره،

اغمضت عيني وتمنيت الحياة الابدية، تغلغلت يدهُ خصلات شعري فتمنيت  
الخلود.

كنتُ اظن بأن كلُ وطن يتطلبُ تكوينهُ مساحة من الارض وشعب يقطنه  
وحكومة مستقلة تحكمه ليُسمى حينئذٍ (وطن)، لم اكن اعلم بأن الوطن من  
الممكن ان يُختصر بين كَتيفين.

كنت اود لو انني اجد امي في البيت لأخبرها، كان حلمها بأن تراني بالثياب  
البيضاء، عدتُ الى البيت ولم اجدها، كانت في قبرها.

كنتُ متأكدةً من انها تشعُر بي وتراني، أصبحتُ على يقين تام بأنها الان  
سعيدةً مثلي، حين دخلتُ الى البيت، شعرت بأن روحها كانت بأنظاري،  
تكلمتُ همساً لعلها تسمعني، اخبرتها بأن من كنت بانتظاره طوال هذا العمر  
طلبني للزواج، يا ليتها تسمعني، يا ليتها تراني.

في تلك الليلة، احتل خاتمي الجديد كل احلام اليقظة التي كانت بانتظاري على  
الوسادة، تغيرت الامنيات تغييراً جذرياً، لم اعد اتمناه، اصبح حقيقةً، ذلك  
الشاب الوسيم الذي كنت اشتيه من على بعد امتار بقلبٍ يعضُ شفاهه،  
بعد الان، سيحين وقت عناقه كلما تيسر الغزل، بعد الان سيقف امامي  
ليشدها وافر من القصائد لينال استحساني، بعد الان سيجعل العالم اجمعه  
ينصت للحظة التقاء مستقبلينا لتسير ايامنا معاً مُتكاتفة الاوقات، حالت  
السعادة بيني وبين النوم، بقيت احلم الى ان شرقت الشمس، كان نهراً جميلاً  
مع خاتمي الجميل، كنت اتوق لرؤية الصباح حتى اتصل بصديقتي (سارة)  
واعلمها بالأمر، بالتأكيد انها ستكون سعيدة لأجلي.

ذهبت الى العمل دون ادنى شعور بالتعب، ارتديت اجمل ما لدي من ثياب،  
وانا في طريقي الى العمل اتصلت (بسارة)، استيقظت فرحاً لأجلي، كانت هي  
اول من تقدم لي التهنئة.

تقدم لي كل الكادر الشركة بالتهاني والتبريكات، وبعد ان انتهيت منهم جلستُ  
بالقرب من صديقتي....

سألتني: هل تُحبينه؟

اجبتها: اعشقه.

قالت: كم استمرت علاقتكم؟

قلت لها: اكثر من عام، قضيتُ عام يسبقه بالتمني.

حركت حاجبيها تعجباً، قالت: جميلٌ جداً، ولكن لما رفضت (صالح)؟

استغربتُ من معرفتها به، سألتها بلامح وجهٍ غاضبة: ومن اين تعرفين  
(صالح)؟

ذهبت لأحدى زوايا العُرْفَة لتجلب لنا القهوة ...

قالت: قولي لي سبب رفضك له وسأجيب على سؤالك.

قلت: كان رفضه شيء طبيعي ومُتوقع، رفضتهُ لأنني لم احبه، لم يعجبني ذات  
يوم، من المستحيل ان ارتبط بشخص لم اعشقه، ولكنه كان فظاً، يريد اتباع  
طرق تقليدية للزواج، اعتقد ان المرأة بحسب مبادئه سلعة ممكن شراؤها، او  
مُساومتها.

قالت: لما تتكلمين بغضب عنه، اشعر بأنك تبغضينه البغض الكاف لتفضيه.



قلت: انت الان اجبتِ اجابة واضحة عن سؤالك نيابة عني، انا تحسباً لأن يكون (صالح) من معارفك او قريب لك لم اجب بها، لأنه لن يكون من اللائق ان اقول عنه كلام سيء في غيابه، انا لا احب النميمة، انا قلت له صراحة ووجهاً لوجه أنني ابغضه ولا اود التكم معه ليتجرأ من الاساس لخطبتي، ولكنه جاء عنوة الى بيتنا وطلب يدي ورفضت، ولكن من اين تعرفينه؟  
قالت: كنت اعلم ان لك خلقاً عال، انت لا تودين التكم بسوء بحقه وهو كان السبب في انهاء خدماتك من الجامعة.

صدمني الموقف جداً، انسكبت القهوة من يدي الى الارض ....

قلتُ لها بدهشة: كيف ذلك؟

قالت: بعد ايام من توظيفك في الشركة علمتُ بأمرك، لم اود التكم معك بشأنه كي لا تكرهيني ظناً بأنني سأحدثُ زملائنا في الشركة بشأن وظيفتك السابقة، قررت التريث الى ان اكسب صداقتك، كنت اتكلم عبر الهاتف بشأن توظيفك مع المهندس (يعقوب) وخلال حديثنا قال لي اسمك الكامل، حينها كان زوجي يجلس بالقرب مني وهو يقود السيارة، انتبه الى الاسم وسألني عنك، اجبتُهُ بأنني لا اعرفك بعد، وبعد ان تعرفت بك وتأكدت من اسمك، اخبرني زوجي بشأن ما حصل لك، زوجي أستاذ جامعي في كلية الهندسة وزميلٌ لك في الجامعة، اخبرني بأن مدير قسمك في كلية العلوم السياسية اتفق مع احد الطلبة على ان يستفزونكٍ للتحدثُ بشأن الحزب الحاكم وقد زوده بجهاز صغير لتسجيل الصوت للايقاع بك، حدثني عن اختلاف العقول وطُرق التدريس في تخصصكم وعن حجم المصاعب التي يواجهها التدريسيين

في تخصصكم وكذلك في تخصص علم الاجتماع والقانون، تلك الاختصاصات التي يجبر فيها الاستاذ الى التطرق للسياسة وانتقاد الحكومات.

غُلبت عليّ الدهشة، ذلك الشخص الذي انتابني الندم بسببه ظناً مني بأنني قد ظلمته بالحكم عليه من خلال تدينه بالملبس والكلام فقط، ذلك الذي انبني ضميري لأجله وهو عديم الانسانية ولا يستحق ان يكون انسان.

قلت: لما فعل هذا؟ ما ذنبي؟

جلست بالقرب مني، اعطتني منديلاً لأمسح ما على وجنتي من دموع...  
قالت لي: لا تبكي، حدثني زوجي عنهم، شعرتُ منذ ذلك الوقت بحجم الظلم الذي حل بك، كُنْتُ تريدين تنوير الجيل القادم وهم يريدوه جيلاً جاهلاً كي يمارسون بحقه دينهم الزائف، لا يساير الاصلاح مبادئهم، الاصلاح يمزق الاغلفة التي غلفوا بها العقول بصمغ الدين، هم يتبعون من الدين ما يلي نزواتهم فقط، وما تبقى منه (لم يتفق عليه الفقهاء).

لم اكن اتوقع ان الظلم لدى البشر يصل الى هذا الحد، لم اتوقع ان انهاء خدماتي من الوظيفة كان بفعل فاعل، ومن الفاعل!! ذلك الانسان الذي كرهته وكنت محقه في ذلك.

ندمت على ندمي للحظات لأجله، ظننتُ أنني ظلمته، لم اعلم انه بهذا الخُبث، ولكنني حتماً سأنتقم منه، صليت للرب من اجل ذلك، صليت بدموع كثيرة، كم كنت احب تلك الوظيفة، كم حزنْتُ حين خسرتها، سأراه ذا يوم يبكي دموعٍ تشبه دموعي الان، انا واثقة من ذلك.

مرت الايام وتقويم ايامي متوقف، لم يكن (رفيق الروح) بالقرب مني، ولكنني كنت سعيدةً لأننا على ذات الكوكب، كنتُ مُتأكدةً من انه سيشتاق لي، مرت ايام قليلة وبقي الكثير، عليّ ان اصبر، حين يعود سأكون بأنظاره في بيته، فقد اعطاني مفاتيح بيته، سأسبقه في الذهاب الى هناك لأعد له الطعام، سأنتحل شخصية زوجته مؤقتاً فانا لا امتلك الصبر الى حين عقد قراننا.

خلال هذه الايام تمكنتُ من ان انقذ ابنة صديقي (زياد) من خطر ذلك اللص الذي كان ينوي سرقة قلبها كما سرق اموال ابيها ..

ذات يوم ذهبْتُ لشرب فنجاناً من القهوة، وانا احتسي قهوتي اتصلتُ (بسارة) لأذكرها ببعض ذكرياتنا في هذا المكان وامازحها لأخفف عنها المَهَم، كانت لا تتمكن من الخروج، اقترب موعد ولادتها، طلبتُ منها ان تكون برفقتي ولكنها لم تتمكن.

خلال ذلك، رأيتُ (بيلسان) تَمُر من امام المقهى، كانت برفقة ذلك اللص، انهيتُ اتصالي مع (سارة) على عجل، طلبتُ نادل المقهى من اجل دفع الحساب، خرجتُ مسرعة اتبع خطواتهم، وانا اسير خلفهم متخفية ساعدني كثرة عدد الزائرين لمدينتنا من السياح وكثافة المارة في الشارع الذي يعد من اهم مراكز المدينة، وانا اسير راودتني الف طريقة يمكنني اخبار (زياد) بأن يأتي ليلقي القبض عليه، ولكنني كنت مجبرة على عدم الافصاح بشأن (بيلسان) سيكون الموقف قاسياً وهي بهذا العمر، فلو افترضت انني اخبرته من خلال الهاتف ووشيت بمكانهما فستكون هذه اخر مرة يمنح فيها (زياد) الثقة لأبنته، ستكون علاقتها بابيها لما تبقى لها من العمر صعبةً جداً.

ومن جانبه ايضاً فماذا سيكون موقفه وابنته على هذا الحال، تراجعْتُ اكثر من مرة عن قراري، توقفت عن تتبعهما ثم واصلت السير، كنت في حيرة من امري، ارى هول الموقف فأتراجع، ثم افكر في مستقبل (بيلسان) فأواصل السير، ماذا سيفعل بها؟ لا يوجد على سطح الارض لصٌ غبي، ذكاؤه سيسهل عليه الكثير ليسرق اكثر مما سرق، فكرت ملياً ثم قررت ...

رأيتهم يدخلون احدى المقاهي، جلسوا في احدى المقاعد الخارجية للمقهى، اتصلتُ (بزياد) ليحضر على الفور، كانت المنطقة الذي رأيتهم فيها تبتعد عن مناطق سكنانا، فكرت في ان اساعد (زياد) في القبض على اللص دون ان يعلم ان ابنته على علاقة به، فكرتُ في خطة تكللت بعدئذٍ بالنجاح.

بقيت على اتصال معه طيلة فترة طريقه إلينا، اخبرتهُ بأنني رأيتُ اللص الذي سرقهُ بعد ان تذكرت وجهه من خلال الصورة التي رأيتها على مكتبه، اوصيتهُ بأن لا يأتي بمفرده بعدما اصر على ذلك، حذرتهُ بأن لا يكون اللص في حوزته سلاحاً او ادواتٍ جارحة، لأنه من المؤكد على علم بأنه مُلاحق من قبل السلطات بسبب جريمته.

اوصيتهُ بأن يذهب الى مقر الامن في المدينة ليطلب منهم اصطحاب عجلة للشرطة للقبض على اللص، بقيتُ بانتظاره، لحسن الحظ تذكرتُ بأن (بيلسان) قد اعطتني رقم هاتفها حين رأيتها في الجامعة، اتصلتُ بها، لم تُجيب على اتصالي المُتكرر.

اعلمني (زياد) من خلال اخر اتصال بأنه على مقربة مني، واصلت الاتصال بها، اجابتنى على الهاتف، قلتُ لها "حافظي على هدوءك، الشرطة امامك،

هم يبعدون عنك بضع خطوات، سيلقون القبض على الشخص الذي بجانبك" التفت إليه وبكت، أزداد الامر صعوبة.

قلتُ لها "لا تنظري إليه، لا تبكي، تجنبي الارتباك، اخبريه بأنني احدى اقاربك، اتصلت بك لأخبرك بأن ووالدك تعرض لحادث سير وهو الان في المشفى وعليك الحضور، وانك تبكين بسبب هذا الخبر، اغلقي الهاتف ثم استأذني منه للذهاب الى دورة المياه، ابق في اخر زاوية من المقهى، ستحدث ضجة وسيخرج الكل لدقائق، لا تخرجي، انتظري الى ان تذهب الشرطة، سأكون بانتظارك على الجهة المقابلة للشارع، لا تخافي، تحركي الان"

كان الفارق بعض ثوانٍ، وإلا كان (زياد) قد كشف امرها، فارقتهُ (بيلسان) حسب ما وجهتها، انهال عليه (زياد) بالضرب حتى منعه افراد الشرطة من ذلك، تم القبض عليه.

اخذت (بيلسان) معي الى البيت، كانت على وشك ان تنهار، قدمتُ لها عصير الليمون كي يهدئها، ظلت صامتة ولم تنطق بكلمة، وحين توقفت عن البكاء

....

سألتني: لَمَا فعلتِ ذلك؟

ادهشني سؤالها، بل ادهشتني الكراهية التي كانت على ملامح وجهها ..

اجبتها: وماذا فعلت؟

قالت: لَمَا اخبرتِ ابي ليتم القاء القبض عليه؟

اجبتها في حيرة: وماذا تريدان؟ ان تستمر علاقتك مع لص سرق ابيك، لم

يُحافظ على ما أتؤمن عليه، فكيف سيحافظ عليك؟

القت بالقدح الذي بيدها بوجهي، تهشم بالجدار الذي خلفي ..  
صرخت بصوت عالٍ: وما شأنك انت؟ ما علاقتك بالموضوع؟  
لم اكن اعلم بأنها بهذه الوقاحة، رأيت امامي بنت غير التي اعرفها، تغيرت كثيراً  
عمّا اعرفها ...

قلتُ لها: لعلك متأثرة لكونه حُبك الاول، هذا إن كان حُباً بالفعل، تصرفك  
الطائش هذا يدل على انك لا زلت في عُمر المراهقة، لم ينضج عقلك بعد،  
كوني واعية في علاقاتك التي ترتبطين بها، عليك ان تختاري ما يليق بك  
وبعائلتك، لا من يسرقها.

اجابتنى بصُراخ: الغيرة هي من دفعتك لتهدمي مستقبلي، انا متأكدة من انك  
الى الان لم تجربي علاقة حُب واحدة، انتِ مُعقدة وتُعانين من مرضٍ نفسي  
والدليل انك ما زلتِ عانس.

جرحتني كلامها، انهالت دموعي حتى بثُّ لا اقوى على الرد، ندمتُ لأنني منعت  
(زياد) من معرفة حقيقتها، ندمتُ قدر ندم المُلحد وهو في سكرات الموت،  
بكيته كثيراً وطردها خارجاً.

قبل ان تخرج، قالت لي: ظَلَمهُ ابي وطرده من العمل، لم يسرق شيئاً، اراد ان  
يتزوجني فحسب.

بعد ساعات، اتصل بي (زياد) ولم اجيب على هاتفه، اردت ان اجيبه ولكنني  
تجنبته نوبتي العصبية التي قد تجبرني على الافصاح بكل شيء، كان كلامها  
جارج للغاية، كانت مُغيبة عن الواقع، من المؤكد انه جعلها في عالم خالي من

المبادئ والقيم، من المؤكد انه اقنعها بأن الحُب كل شيء في الحياة، وان كل شيء سيكون يسيراً لو ربطتهم علاقة اعجاب فقط.

في نهاية الامر تحملتُ مرارة كلامها لأجل صديقي (زياد)، اعتبرته موقفاً قد يكون مُقابلاً لمواقفه الجميلة اتجاهي.

لم اجيب على اتصالاته المتكررة الى ان طرق الباب في وقتٍ متأخرٍ من تلك الليلة، استيقظتُ فزعاً، غيرت ملابسي بسرعة وفتحت له الباب، طلبتُ منه ان يدخل الى البيت بعد ان شاهدي عصبية المزاج واثر الدموع لا يزال على وجهي، جلس ولم يقبل ان اجلب شيئاً لضيافته، كان متعبٌ و ذو مزاجٍ سيء

..

قال: كيف شاهدي اللص؟

قلت: كما اخبرتك اخي، شاهدتهُ يسير فاتصلتُ بك، وحين جلس اخبرتكُ بمكانه وتمكنت من الوصول إليه.

قال: هل كان بمفرده؟

قلت: لا اعلم، كان الطريق مكتظاً بالمارة، ولكنني لم اشاهد برفقته احد، وانت حين وصلت شاهدتهُ بمفرده، لما تسألني بهذه الطريقة وكأنني متهمة معه في سركتك؟

قال: قمر انتبهي لكلامك، تعلمين مكانتك لدي، تعلمين انني اعاملك كأخت لي منذ سنوات، لا تتفوهي بكلام يثير غضبي، اعترف السارق قبل قليل من خلال اقواله بأن (بيلسان) كانت تجلس معه في المقهى، تركته قبل لحظات من وصولنا.

ظننت بأنه سيحافظ على (بيلسان) ولن يشي بشيء عنها كي لا يصيبها شيء، ولكن ما الذي يجبره على ان يتطرق الى علاقته (بيلسان)؟ من المؤكد انه يريد الانتقام من (زياد) من خلال ابنته، وانه لم يكن يُحبها.

قلت لزياد: لعله يريد الانتقام منك ومن سُمعتك فأدعى هذا الشيء.

اجابني مبتسماً وكف يده يتحرك على ذقنه مستهزئاً بما قلت ...

قال: هل تظنين ذلك؟

استغربت من رده، كان منفعلاً وانا منحتهُ الف عذر وعذركي لا اسيء الظن به او اضجر من طريقة كلامه.

وهو ينظر الي سألني عن اثر السائل الذي انسكب على الجدار، اجبته بأن كأساً من العصير وقع من يدي فتسبب بهذا، كنت قد ذهبت الى النوم بعد ان خرجت (بيلسان) ولم انظف المكان ولم ارفع الزجاج المحطم على الارض.

قام (زياد) من مكانه، لمسَ الجدار فوجده رطباً، نظر الى الارض فوجد الزجاج المحطم، بقي ينظر الى الارض ويتتبع بقايا الزجاج المتناثر، قال دون ان ينظر بوجهي "كذبتِ عليّ يا قمر"

لم اجيبه بشيء، انحنى على الارض فوجد سوار...

قال لي: لمن هذا السوار؟

قلت مرتبكةً: لي، لمن سيكون ان لم يكن لي.

نظر لي بغضب شديد وقال: ألم اقل لك انك تكذبين عليّ، هذا سوار (بيلسان)، كانت معه، واني حذرتها من مجيئي انا والشرطة، خبأتها في بيتك



إذاً !! ولكنها ردت لك الجميل، ضربتُك بكأس العصير الذي قدمته لها، أليس كذلك؟

مسك يدي بقوة حتى كاد يُهشمها، قال: تكلمي، هل ضربتُك؟ هل حاولت ذلك؟

لم اخبرهُ بشيء، التزمتُ الصمت، خرج مسرعاً ليركب سيارته، هممتُ بالخروج ورائه، ركبت معه في السيارة، طلبتُ منه ان يهدأ، ولكنه كان غاضباً. قاد سيارتهُ بسرعة، كاد ان يتسبب بحادث سير لولا اني صرخت بوجهه من اجل ان يهدأ، وصلنا الى منزله، وانا امسك بيده محاولَةً إياه ان يهدأ ويحسن التصرف، قلتُ له بأن الموقف بحاجةٍ الى تريث وتفكير قبل أي تصرف، وان كل قرار سيكون خاطئ لو اتُخذ عند الغضب.

كانت ابنتهُ في الطابق العلوي، تمكنت بصحبة زوجته من منعه من الصعود إليها، جلستُ معه في غرفة الجلوس خاصته، طلبتُ منه ان يهدأ للمرة الاف، جلستُ اتكلم معه، ولكننا لم نبدأ الحديث الى ان جلبت لنا زوجته فنجانين من القهوة وقالت له جملة اثارت حفيظته ..

وضعت زوجته فنجان القهوة امامه ..

قالت له: لما لم توافق على خطبتهما؟ لو انك وافقت ثم رفضت لكان الموقف اقل صعوبة من هذا، لما اوصلت الامر الى هذا القدر؟

غضب (زياد) غضباً شديداً، هشمَ الطاولة الزجاجية التي امامه بما تحتويه، وحين شاهدي ابكي، توقف عن الغضب وجلس بقربي، وضع يده على كتفي

...

قال: اعتذر لانفعالي، ارجوكِ دعيني اعيدك الى بيتك الان، الوقت تأخر كثيراً.  
قلتُ له: لن اعود الى ان اعرف الحقيقة، كيف يسرقك ويتقدم لخطبة ابنتك  
في نفس الوقت؟

عاد الى مكانه الذي كان جالساً فيه، اشعل سيجارة وبدء الحديث ..  
قال: قبل الحادث تقدم هذا الشاب لخطبة (بيلسان)، تحدثت معي بشأن  
الموضوع ذات مساء، بعد ان شاهد (بيلسان) لأكثر من مرة تأتي الى المطعم  
برفقتي، رفضتُ التكلم معه، اخبرته بأنني لن اوفق على زواجهُ منها اطلاقاً.  
سألته: لِمَا لا توافق؟

قال: لأنه من الجنوب.  
قمت من مكاني وجلست بالقرب منه، قلت: وليكن من الجنوب، انت لم  
تتطرق لتحصيله الدراسي ولا لسمعته ولا لمستواه المادي، انت رفضته لأنه  
من الجنوب فحسب؟

قال غاضباً وبصوتٍ عالٍ: لأنني لم اتمكن من الحصول على سبب مهم  
للرفض، لديه تحصيل دراسي جيد وله سُمعة جيدة، مثابر للحصول على  
العمل، ولكنه لم يتمكن من الحصول على وظيفة، فأضطر للعمل الحر، ولو  
انني رفضت بسبب الفرق بين المستوى المعيشي بينه وبين (بيلسان)  
لَسَمِعْتُ لألاف المرات عبارة (ان الفقر لا يُعيب المرء)، لذكرني الجميع  
بالماضي اللعين الذي اجبرني على ترك الوظيفة واللجوء للعمل الحر، لقرارن  
الجميع بيني وبينه، لذكروني بمقتنيات منزلي البسيطة حين تزوجت، لم يكن  
لدي خيار اخر يا قمر.

قلت: رفضته لأن اصل نشأته من الجنوب، وهذا يعني بأنه على مذهب غير مذهبك، هل يزعجك ذلك؟

التفت عن وجهي، لم ينظر لي، كررت عليه السؤال ولم يجبني، لم اكن اتوقع اطلاقاً ان ارى (زياد) خاضعاً لتعليمات التطرف والتعصب من مذهبه، انصدمت به كثيراً، اقتنعت بعدها بأن (بيلسان) كانت تحبه، ومن المؤكد ان علاقتهما بدأت قبل ان يبادر بطلب يدها، وحين رفض (زياد) استمرت علاقتهما معه ظناً بأنها ذات يوم ستجعله يرضخ لأرادتهما.

وقفت استعداداً للخروج، قلت له: انت الان لست بحاجة الى أي عذر، جريمته ستتكلّف بكل شيء، مجرد كونه مُتهم سيمنحك حق الرفض، ستقتنع (بيلسان) بأنه لم يكن جدير بحبها وستكرهه حين يتم الحكم عليه بالسجن، اما عن اعترافاته بشأن علاقته (ببيلسان) فمن الممكن ان تدّعي بأنه كان يريد الانتقام منك من خلال تشويه سمعتك.

قال: هذا إن كان قد سرق الخزنة؟

انصدمت، جلست مجدداً وقلت: ماذا تقول!! لم يسرقك؟

قال: كلا، في ذلك اليوم اخرجت الاموال من الخزنة، ثم طلبت منه ان يفتحها امامي لكونه يحتاز على نسخة من مفاتيح الخزنة ذريعة أنني قد نسيت شيئاً في داخلها، فتحها امامي وقال لي ان ليس بداخلها شيء، فأمرته ان يغلقها ليترك اثر بصماته عليها، تأكدت انه لن يلمسها مجدداً لأنه علّم بأنها خالية، بعدها تغيبت عن الذهاب الى المطعم لأسبوع ذريعة المرض، تطلب الامر كل

ذلك، لأنه ذا سمعة جيدة بين العاملين في المطعم وقد استمر بالعمل معي بأمانة مدة طويلة، كان من الصعب اتهامه بالسرقة دون ادلة دامغة.  
اكاد لا اصدق ما اسمع، لا اصدق ما ارى، هل هذا (زيد)؟ هل هذه اخلاقه؟  
هل كنت مُخدعة به؟

التزمتُ الصمت لدقائق ، تذكرت وقتها بأني ذهبت لزيارته في المشفى ....  
قلت: زيد، لا اصدق ذلك، انا اتيت وقتها لزيارتك في المشفى، بقيت منذ الليل انتظر رؤيتك الى الفجر، تكلمت معك ثم عدت، انا شاهدتك مريضاً بالفعل.

قال: كان الامر مُدبراً، حتى الطبيب المعالج كنت قد اتفقت معه قبل ليلة من اجل ان يوثق مرضي بأوراق رسمية وادوية كي يزورني العاملين معي في المطعم ويكون الامر مؤكداً لكل ما خططت له.

تمنيت ان تكون هذه الليلة مجرد حلم لأستيقظ منه، ماذا ارى امامي، ماذا  
اسمع!!

هل املك من السذاجة ما يكفي لأكون بهذا الموقف؟ ام انه كان ماكراً بالشكل المطلوب؟ هل ينتقد التطرف المذهبي امام المجتمع ويُطبقه في بيته؟ ام ان حبه لأبنته وعائلته اجبره على ذلك؟

عدتُ الى البيت بعد ان اوصلني بسيارته، تأكدتُ من انه حصل على الهدوء الكافي لتجاوز الموقف، تكلم معي كثيراً اثناء عودته، لم ابادلُه الحديث، تركته وابنته وشأنه.

كان مفهوم الخير لديّ هو ان ابعد (بيلسان) عن أنسان سيء، لن يكون جدير بامتلاك قلبها او ان تشاركه مستقبلها، ولكنني كنت مخطئة.

اما عن مفهوم الخير عند (زياد) كان ان يدرأ الخطر عن ابنته بشتى الطرق، حتى لو توجب الامر ان يكُن على ما لا يكون عليه، كان مخطئاً هو الاخر لأنه رأى الموقف من منظار اختلاف المذهب الديني الذي كان بمفاهيمه اساس كل شيء، وكل شيء يأتي بعده يُبنى بموجبه.

اما عن (بيلسان) فقد كان الخير بحسب وجهة نظرها هو تتويج حبهما بالزواج، وانهما لن يكونا على خطأ حين يفكروا بالاستمرار بعلاقة سرية، كانت مُخطئة هي ايضاً، لأنها في غيبوبة حُب، تُمارس علاقة لم تتفهمها من قبل، تنظر كل بنت من اقرانها في هذا العمر ان مجرد دخولها في علاقة مع شاب من عمرها انها كُبرت ومن حقها ان تفعل ما يحلو لها وانها باتت مسؤولة عن مصيرها وقراراتها، ينتابها هنا ذات الشعور الذي ينتاب الشاب حين يمسك بين اصابعه اول سيجارة، حتى ان من مفاهيمها لو تطلب الامر ان تهرب لتتمكن من الزواج مِمَّن تُحب بعيداً عن سلطة ابيها لكان الهرب بمفهومها وفاءً منها لحبها وحببيها وليس تمرداً على سلطة ابيها او جلب العار لأبيها بحسب قواعد العرف في مجتمعنا العربي.

سرد لي (زياد) حين اوصلني الى البيت الاضرار التي قد تحصل لو قبل بزواج ابنته، رغم انه كان رافضاً بسبب عمرها ولا سيما وانها لم تكمل بعد دراستها الجامعية، ولكن الحقد المذهبي قد طغى على بقية الاسباب لنعرف حقيقته.

قال لي ان الامر لم يتعلق به وحده، فلو فكر في زواجها فأنها ستذهب للعيش في الجنوب في حال انه لم يتمكن من ايجاد المسكن المناسب في العاصمة، اقسام لي اكثر من مرة بأنه فكر في الرفض تجنباً للسخط العشائري الذي سيلاحقه لأن كل اقاربه وافراد عشيرته رفضوا مسبقاً امراً كهذا، اقسام لي بأنه لم ينفرد بالقرار وان الظروف التي احاطت به كانت كفيلة بكل شيء.

لم يتمكن من تقديم لي أي عذر يمنحه الحق في ان ينسب جريمة لبريء، لم يخبرني بما سيفعله لو طلبت السلطات القضائية إفادته، هل سيقول الحقيقة؟ ام انه سيخجل من جيناته العربية التي تمنعه من ان يتراجع في قول او فعل سبق وان تبناه، قررت ان اتركه وشانه.

مرت الايام وانا لم افكر إلا في عودة (احمد)، لم افكر إلا في الاستعداد لأيام القادمة معه، سنزوج بعد ان تنتهي الانتخابات، وعدني بذلك، قررنا ان نؤجل كل شيء الى ان يُحقق كل ما تمناه من نجاح على الصعيد السياسي.

بصرت (قمر) الضوء، ولدت في يوم صحو، ترنحت فيه اشعة الشمس بين طُرقات المدينة برفقة نسמת الربيع الجميلة، ولدت لتكون قرينتي على هذا الكوكب، رغم اني مقتنعة بأن على هذا الكوكب لن يشبهني بالعذاب احد، كما لن يشبه تفكيري احد، لن يشبهني احداً بما فعلته بنفسي، اعدمت جمالي بمقصلة المشاعر، اردت امتلاك الاجنحة في حين ان كل من حولي لا زال يزحف، اردت ان اطلق العنان للخيال، للجنون، لكل شيء حين يقف امام الامل يكون له ظلٍ من الندم.

اتمنى ان تحمل هذه الطفلة اسمي فحسب، اتمنى ان ترى اياماً اجمل من ايامي، اتمنى ان تعيش كما المعتاد، اتمنى ان لا تكون مُختلفةً، اخاف عليها من السُّهد.

ذهبت لأرى صديقتي الجميلة وهي تضع مولودها الاول، ذهبتُ لأقدم لها ولزوجها الشكر الكبير لأنهم تَيمنوا بأسمي، ذهبتُ لأرى (قمر) الصغيرة. قدمتُ لهما إكليلاً من الورد، اخذتُ (قمر) بين احضاني، شعرتُ للحظات قليلة بمشاعر الام، احساس لم اشعر به من قبل، ما اجمل ان يلتجأ إليك طفل وهو يطلب حنانك قبل كل شيء، كم جميل ان ترى قطعة منك تلعب وتلهو، كم جميل ان تراه يقلدك في كل شيء، ما اجمل ان تكون له القدوة دون ان تجبره على ذلك، ما اجمل ان ينشأ ويكبر ليحمل اسمك وصفاتك وكل ما لقنته إياه.

شعرتُ بتلك الفرحة وانا اراها على وجه (سارة) وهي تراني كيف انظر الى طفلتها، صليت للرب ان يمنحني فرحة كهذه.

انهيتُ زيارتي لهم مع امنيات صادقة لأن تنعم ابنتهم بحياة سعيدة، خرجت من غرفتهما وسرت في اروقة المشفى بعد ان ضللتُ طريق الخروج، تقربت من احدي الممرضات لأسألها عن بوابة الخروج، كانت تتكلم مع شخص متوتر، كان يطلب منها ان تساعدُه في الحصول على مُتبرع للدم، كانت زوجته بحاجة الى عملية نقلٍ للدم ولم يجد متبرع، سمعتهُ يخبرها بأنه ذهب الى المكان الخاص لخزن الدم ولكنهم اعتذروا عن تزويده الى يوم غد، سمعتهم

وانا اسألها عن بوابة الخروج، ذهبت إليه وطلبت منه ان يأخذني لأتبرع له بالدم لأن فصيلة دمي كانت تتوافق مع ما يبحث عنه .

تمكنت من تقديم المساعدة له، ولكن عند انتهائي من عملية نقل الدم، اغمي عليّ، فقدت الوعي لبعض الدقائق، هرع كل الاطباء من اجلي، رأيتهم يحيطون بي بعد ان استيقظت، لم اكن ادرك ما يجري، سألتني احدهم حول اسمي وبعض المعلومات عني وتمكنت من ان اجيب.

قال لي احدهم :لا تخافي، هذه نوبة اغماء طبيعية من جراء نقل الدم، ستكونين على ما يرام بعد قليل.

بقيةً مستلقيةً دون حركة، وبعد بضع دقائق جاءت احدى الممرضات لتسألني ان كنت اقوى على النهوض ام لا، فأجبتهما بأنني بخير، اخبرتني بأن الطبيب يود التحدث معي، ذهبتُ الى غرفته، دخلت وجلست امامه، نظر لي من فوق نظارته ....

قال: كم عمرك؟

اجبته: اربعٌ وثلاثون عام.

قال: هل تمارسين عادة التدخين، او تتناولين الكحول؟

قلت: اكرهُ التدخين جداً، ولكنني اتناول الكحول بين الحين والآخر، لا اتناوله بشكلٍ مستمر.

قال: هل اشتكيتِ من ألم، او صعوبة في التنفس في بعض الاحيان؟

قلت: كلا، لم اشكو من شيء قط، كنتُ اشعر ببعض التعب او الاجهاد البسيط واشعر بأن ضربات قلبي ليست منتظمة، لكنني كنت افكر ان هذا



الشيء ناتج عن الارهاق بسبب العمل، بدأتُ بالعمل منذ ان كان لي سبعة عشر عام، وبعد ان انجزت دراستي الجامعية كنتُ اعمل بمهنتين سويًا، كنت مستمرة بالعمل طوال اوقات النهار.

قال: اغمي عليكِ ونحن نأخذ كمية من الدم، وقبل انتهاء العملية بدء قلبك ينبض بشكل غير مستقر، وهذا الشيء طبيعي لقيام القلب بهذه الاثناء بجهدٍ اكبر من الجهد المعتاد لضخ الدم، ولكنني بادرت الى اجراء بعض الفحوصات لكِ وانتِ في حالة اللاوعي، فوجدتكِ تمتلكين صماماً ضعيفاً في القلب، تقريرِي في هذه الحالة ليس باتاً، ارجو منكِ استشارة احد الاطباء المتخصصين في جراحة القلب ليقدم لكِ تقرير عن حالتكِ.

خرجتُ والشك يتعثر امامي، لم اكن اتوقع في يومٍ من الايام اني امتلك قلباً ضعيفاً.

بعد أيام، طلبت استشارة اكثر من ثلاثة جراحين متخصصين في جراحة القلب، اكدوا جميعهم بأنني املك صماماً ضعيفاً في القلب، ويتوجب عليّ اجراء عملية زرع صمام صناعي بدلاً عنه.

انهى القدر فترته السحرية التي حقق فيها كل امنياتي، عاد ليأخذ كل ما اعطى بكل انانية، تمنيت لو انه وضع العوائق كي لا تتحقق، لكان الامر اهون من انه حققها وعاد ليأخذها مني، وهبني القدر اليأس بدل الاحلام، استطاع ان يخبرني بخبر وفاتي وانا على قيد الحياة.

اخبرني احد الاستشاريين بأنني ورثت هذا المرض عن ابي، لم تكن الحالة بسبب صدمة او من جراء اجهاد معين، كانت اللعنة تلحق بي وانا اظن بأنني قد تخلصت منها بعد ان تجاوزت ايام الفقر بعقاقير الصبر.

بدأ اليأس ينهش احشائي وانا اخفي السر الذي مزق آمالي ارباباً ، تكلمت مع الدكتور عمّا ستكون عليه حالتي عند اجراء العملية، اخبرني بأنني لن اتمكن من الحمل، لن اتحمل الآم الولادة، وان حياتي ستتعرض للخطر مع حياة الجنين لو تجرأت على ذلك.

اخبرني ذلك بعد ان رأى الخاتم الذي اهداني اياه رفيق روحي، اخبرني بأن قلبي لن يتحمل الآم الولادة، اعتادوا على منع كل من هم على شاكلتي من الزواج الى ان يتم زرع صمام صناعي بدلاً من الصمام التالف، وبعد ان يضمّنوا عمله بالشكل الصحيح، يسمحوا حينها بالزواج ومواجهة الآم الحمل والولادة.

وانا جالسة اتكلم مع الطبيب، قدمت له الف دمعة توصل كي يغير رأيه، كانت دموعي دافئة بقدر عناق (احمد)، كانت حزينه كحزن الاسير لحظة أسرهِ، ايقنت انها بلا جدوى، جمعتها، واخذت ما منحني الطبيب من اوراق تمنعني من التقرّب (لأحمد)، جمعت كل التقارير التي تضع نهايةً للعشق الذي بنيتهُ حلماً بعد حلم، عَشقنا وُلِد بتشوه خلقي ولم نكن نعلم.

هل انتهى كل شيء؟ هل يتوجب عليّ الانسحاب؟ ام عليّ الافصاح (لأحمد) بكل شيء ووضع الخيارات امامه؟

اخبرني الطبيب بان علينا تأجيل فكرة الانجاب لو تزوجنا، تأجيلها الى ان اخضع للعملية، ولكن المشكلة الاكبر هل سيقبل (احمد)؟

ما الذي سيجبره على القبول بهذا الحال؟

هل سيضحي من اجلي؟

هل يتوجب عليه اساساً ان يُضحى؟

هل عليّ ان اسمح له بأن يُضحى من اجلي؟

ماذا لو خضعت لعملية زراعة الصمام وكانت النتائج ذاتها؟

حينها سيمعني الطبيب من الانجاب مدى الحياة، اخبرني بأني وبعد ان اخضع لعملية زرع الصمام سأبأشر بتناول العقاقير التي ستساعده للقيام بعمله والتي ستجعل الدم الذي يدخله والذي يحيط به بأن لا يتخثر، وبعد فترة من اتمام العملية سأستمر وبأشراف الطبيب بمراقبة عمله.

عندها سنعرف، هل أنه سيقوى على تحمل ألم الولادة ام لا؟ وفي حال عدم تحمله لها فأني ملزمة بالأبقاء عليه من اجل العيش فقط لما تبقى لي من ايام مصطحبةً معي كل العقاقير الى مدخل باب القبر.

كان عليّ التفكير ملياً قبل عودته، اتعبي التفكير، لم اصل الى خيار محدد، فكرت في ان اقول له عن كل شيء، ان اضع امامه كل الخيارات، سأخبره كم يحبني ابي، وانه لم ينساني، اهداني هدية اخرى تضاف الى هداياه، قدم لي النهاية، بعد ان منحتي الحرمان والعوز والتعب.

فكرت في ان اخفي عنه كل شيء وان لا اقول له ما حدث، ولكن، كيف سأودعه؟ كيف سأتركه وهو اصبح الروح بأكملها بعد ان كان نصفها، كيف لي ان افعل ذلك!! حام حول مخيلتي كل ما سيحدث، فكرت في كل شيء إلا في وداعه.

مرت ثلاثة ايام...

اتصل (احمد) ذات صباح، اخبرني بأنه عائد، سألني عن الحزن المرافق لصوتي ولم اتمكن من اخباره بشيء، حاولت ولم اتمكن، التزمت الصمت، كذبتُ عليه، قلت له بأنني اشكو من نزلة برد آلمت بي قليلاً، قال لي بأننا في فصل الصيف، كيف لذلك ان يحدث، علم بأنني اكذبُ عليه قبل ان اقدم له ذلك العذر الواهي، غلق الهاتف وهو غير راض عني، انا على وشك الانهيار.

اخبرت (يعقوب) بالأمر فقط، جعلته يُعدني بأن الامر سيكون سراً بيني وبينه فقط، كان يجب ان افعل ذلك، كنت بحاجة لأن اتكلم، في الداخلي الكثير من الألم، شاهدت منظرًا لم اتوقع رؤيته ذات يوم، كنت اسرد (ليعقوب) ما حصل، فشاهدت عينه تذرف دمعاً صغيرةً بهدوء، تأثر بما قُلت له، حزن لأجلي، لم اكن اتوقع انه يحبني الى هذا الحد، شعرت بالفخر الشديد، شعرت بالأمان لوجوده في حياتي، شعرت ببعض الراحة لمواساته، لكنه ليس (كأحمد)، الفرق كبير بين الاخ والحبیب، من المؤكد ان عنصر الامان بينهم مشترك، إلا ان احدهم يُهون الالم والاخر يمحقه.

خرج (يعقوب) بعد ان وعدني بكمٍ من الآمال العرجاء، ستجتو الامال على رُكبتها لو تأملت فراق (احمد) للحظات، بقيت افكر بين هذه الآمال وبين ما سأقوله في حضرة وداعه، ذاك الذي كان نقطة ناصعة البياض وسط جبين ذكرياتي.

مرت الايام، ولم التقي به، لم اجيب على اتصالاته، زارني في بيتي، لم افتح له باب، طرقه ورحل يفكر لما البيت مُظلم، اراد لقائي كثيراً ولكن قلبي كان معطلاً عن النبض، قلبي الذي تعطل عن كل وظائفه إلا عن عشقه.

رفيق الروح انا اعتذر.

لم اخرج من المنزل منذ ايام، بقيت صامته كمقابر الشهداء، في كل يوم يقضي فيه غروب الشمس نَحَبَه وانا ساكنة بلا حركة، تتبادل الاوقات، يترك القمر مكانه للشمس وتترك الشمس مكانها للقمر وانا اجلس القرفصاء في البيت، تحيطني العتمة وقت الغروب شيئاً فشيئاً حتى ارى الليل، تأتي العتمة وانا لا اشعل أي مصباح في البيت حتى لا يعلم بوجودي فيه، ابحت عن الشمع لأثير احداها، لعلهن يُساعدنني على التفكير.

عاد الى العاصمة واراد ان يلقاني، لم اجيب على اي اتصال له، بقيت صامته لأيام اصلي للرب لأنه عاد سالماً، اصلي لأجل ان يُنقذني من بئر اليأس الذي سقطت فيه، كنت اقضي الليل وانا انظر الى ضوء الشمع الذي امامي، ذكرني الشمع بالفرح العارم الذي اجتاح حياتي في الفترة الاخيرة، جعلني افكر بمن سرق فرحتي، ذكرني بأن ابحت عمّن اغتال احلامي.

يُذكرني الشمع كلما اوقدته بالشمع الذي اوقده لي (رفيق الروح) وسط العتمة حين قدم لي خاتم الزواج، لم اخلعه من اصبعي منذ ان ارتديته، تمسكت به بكل ما اوتيت من حب.

شُعلتُ احدى الشموع، كانت شُعلتها تتمايل ببطء، تُذكرني بهيام روجي حين القاه، حين وقف امامي والقي لي الشعر، في كلتا الحالتين كنت اشبه شُعلة الشمع، اشبهها الى حدٍ كبير، بالأمس كنتُ اتراقص واليوم بتُ احترق. انطفأ الشمع، انطفأ كما انطفأت احلامي، اعلم ان للشمع عمراً محدداً يعيش فيه وانه سينتهي لا محالة، انتهى قبل ان اجد الحل، قبل ان اجد ما سأقوله له.

سألقاه غداً، إن لم اتصل به، فإنه سيأتي إلي ..

ماذا سأقول له؟

ما الحل لهذه المُعضلة؟

فكرت في كل شيء إلا ان اجعله يُضحى من اجلي، عليّ تحمّل الامر لوحدي، انا من احببتهُ أولاً.

وسط العتمة، استلقيت على الارض، استلقيت وحوالي الكثير من العقاقير المُهدئة، تلك التي تهبني الصمت، استلقيت وانا عارية الروح، عارية الامل، غَفوت من شدة التعب، غَفوت بعد ان اتخذت عدة قرارات عارية عن الصحة.

بعثتُ لهُ برسالة، طلبت منه ان نلتقي عند الساعة التاسعة ليلاً في المكان الذي اعتاد ان يجمعنا على الشاطئ، اجابني بالقبول بصوت مزعج جداً، سألني عن غيابي لهذه الفترة، قلت لهُ بأنني سأخبره عن كل شيء حين نلتقي.

وبعد ان اضحي الغد امس .. التقينا.

وصلت الى موعدنا الاخير، وجدته واقفاً ينظر الى الشاطئ، سرت بأقدام الألم فوقفت خلفه، شعر بخطواتي ولم يلتفت لي، كنت احمل معي سكين الفراق، كنت لا اريد لهذا الموعد أن يكون، فليساعدي الرب على ما سأفعل، وليسامحني (احمد) لأنني سأطعنه.

كان الموج هادئاً، ساد السكون كل شيء إلا مشاعري، فهي اعتادت على الهيجان عند لُقياه، كانت كلتا يديه في جيب بنطاله، لم ينظر لي، بقيت واقفة بصمتٍ خلفه وانا امسكُ بحقيبتني بكلتا يديّ امامي، لم نتكلم، لم يلتفت لي، ذاك الذي كان ينثر النجوم امام اقدامي لو مشيت برفقته، لم يُرحب بقدمي، ظل صامتاً ثم كسر صمته دون ان يلتفت لي ....

قال بهدوء مُرعب: لما غبت كل هذه الفترة؟ ألم تكوني بانتظار عودتي؟

قلت: كنت بحاجة الى بعضٍ من العُزلة.

التفت لي وقال: انا مُتيم بك، وانتِ تودين العُزلة.

قلت: واجهتُ بعض المصاعب في غيابك، جئت لأفصح لك عنها.

قال: لما وجهكٍ شاحب؟

لم اجيبه، انحنى رأسي الى الأسفل ..

قال: طال غيابك، كدت اخبر الشرطة، فكرت في ان اقتحم بيتك عنوةً،

انتظرتكِ كثيراً ثم اتصلت بك، بحثتُ عنك، عرفت ان شيء ما تغير، بعد ان

اتصلت (ببيعوب) لأسأل عنك، اجابني بعدم علمه بشيء، كانت نبرة صوته

هادئة اخبرتني بانهُ يحتفظ بسرٍ عانى من كتمانهِ، كذب عليّ وقال انه لا يعلم

عنك شيء، اخبرته بأن منزلكِ مظلم لعدة ايام واني قلق حيال امركِ، كذب

عليّ مرة أخرى حين طلبت منه ان يعطيني عنوان الشركة التي تعملان بها كي اراك، قال لي بأنك حصلتِ على اجازة لعدة ايام ومن المحتمل انك سافرت خارج المدينة، كان عليّ ان لا اطيل عليه بالأسئلة فبرود كلامه اخبرني عمّا كنتُ ابحث عنه، لمّا تجاهلتي؟

لم اقوى على الكلام، بماذا سأجيبه؟ هل اقول له فعلاً عمّا حدث؟ هل امتلكُ من الانانية ما يكفي لي لأجبره على ان يعيش العمر بأكمله محروماً من ان يكون اب؟ أم التزم بالقرار الذي اتخذهت وجئتُ اليوم لأخبره به؟

التفت لي غاضباً، نظر الى وجهي الغارق بالدمع فتغيرت ملامحه من الغضب الى العطف، مد يده الى وجنتي ليمسحها فرجعتُ خطوة الى الوراء كي لا يلمسني، بقيت يده امام وجهي، كان الموقف صادماً بالنسبة له، اندهش كثيراً

....

قال: لمّا لا تقبلين ان المسك؟ ما الذي حصل؟ لمّا وجهك شاحب بهذا القدر؟ اخبريني.

كشّرتُ عن أنياب الخذلان، قلت: جئتُ لأنهاء علاقتنا.

قال: ما الذي تقولينه؟ ما السبب؟

قلت: لا شيء، ولكنني فكرت في موضوع زواجنا فوجدته مُستحيلاً، ليس بالأمكاننا ان نتزوج، ربطتنا علاقة حبٍ وهذا جائز، ولكن الزواج سيكون مستحيل.

شّرهت عيناه لمعرفة السبب ..



قال: لماذا؟ ألم توافقي من قبل؟ هل نسيتِ سعادتنا حين قدمت لكِ خاتم الزواج؟ لِمَا لَمْ تقولي لي انكِ رافضة الزواج بي؟ لِمَ تلاعبتِ بمشاعري؟ قلت: كنتُ فرحة لأنني اردت الزواج بك، ولكنني تفاجأت بالأمر حين قدمت لي خاتم الزواج، لم اعترض حينها، ولكنني قضيت هذه الفترة بالتفكير جيداً في الموضوع، وجدته مستحيلاً.

قال: اعطني سبباً واحداً مُقنعاً لرفضك، عِشقنا هدم كل الحواجز التي كانت تحول بيني وبينك، اخبريني ما السبب وسنجد الحل، ألم نتفق ان لا يتخلى احدنا عن الاخر؟ ألم نتفق على مواجهة كل شيء مُخالف لأرادتنا؟ ألم تقولي لي "انا لن اختلف معك بشيء لأنني احبك" .. حبيبتي لِمَا تغيرت؟ قلت: لأنك مُسلم.

تعجب كثيراً، رفع كلتا يديه ثم اخفضها، ضحك، ثم صمت غاضباً ... قال: هل تمزحين؟

قلت: كلا.

صرخ وقال: ألم تقولين لي "لِمَا لا نتخلى عن ادياننا لما تبقى لنا من عمر" الان عرفتِ بأنني مُسلم!! ألم تكوني تعلمي بذلك من قبل؟ قلت: بات الامر مستحيلاً، تلقيتُ اعتراضات شديدة من اقاربي، لن اتمكن من معارضتهم، اخبرهم (يعقوب) بالأمر.

غضب كثيراً ثم قال: قمر، هناك سببٌ اخر تُخفينهُ عني، انتِ في الاصل لم ترضِ عني لأنني تكلمت عن خطوبتنا مع (يعقوب) قبل ان اعلمك بالأمر، كنت اظن بأنك ستواجهين هكذا ظرف، ان تقبلين انتِ ويرفضون اهلكِ، لذا

سألت (يعقوب) كي لا اراكِ بهذه الدموع، وبعد كل هذا تريدين مني ان اصدقك؟

قلت: الوداع يا (احمد)، دعني اراكِ وانت بخير، حقق طموحاتك المهنية والسياسية، لا تتراجع عن كل حلم اخبرتي به وتريد تحقيقه، كُن بخير، فلن يجمعني بكِ مساء اخر.

لم يُجيبني بشيء، ظل صامتاً، قبض كفّه الايمن غاضباً فأنطبقت شفثاه على بعضهما ..

قلتُ له: اسمح لي بأن احتفظُ بهذا الخاتم، شكراً لأنك اهديتني إياه، شكراً لكل حرفٍ كتبتُهُ من اجلي، شكراً لكل بيت شعر القيتهُ لي، شكراً على اللحظات الجميلة التي عشتُها معك.

لم يُجيبني بشيء، تنهدتُ وبكيت بصوت عال، استدرت لأعود ادراج خيبتي، مشيتُ بخطواتٍ واقفة.

بأصابع الندم، كسرتُ انياب الخذلان، فارقتُهُ على عجل، تركتُهُ ذبيح الوجدان، انتهى ما جئت لأجله، هذا ما كنت اريده، اريده ان يعيش كما يعيش كل شاب، اريده ان يكون اب في يومٍ ما، اريد من حياته ان لا ينقُصها شيء، اريده ان يتعد عني ليكون سعيداً، ولكننا كيف سنكون سعداء بعد الفراق، نحن اللذان كُنَّا قاب شَفْتين او ادنى من ان نقضي ما تبقى لنا من ليالٍ على سريرٍ واحد.



## "الفراق"

إن رحلت فلا بعدك كلامٌ يُكتب ولا  
ليلٌ يُسهر، بعدك احلام يقظتي سأصحبها  
إن رحلت فلا بعدك شمسٌ ستشرق  
ولا قمر سيضيئ ليالٍ كنت انت نُحييها  
إن رحلت فسترحل احلامٌ واملٌ  
كانت لأجلك لا بل كنت وحدك من فيها  
احبك يا لوحهٌ نَسَجَ الخيال ملامحها  
يا امنيةً انصاع التمني قسراً على تمنيتها  
سنوات وانا اتمناك .. رَمَقُ عين كانت  
اهدابها تتوق لك شوقاً واليوم سأعميها  
كنت اتغنى بصباح يومٍ عيناك مطلعهُ  
كنت اترنم بكلماتٍ كانت شفاهك تحكيها  
أتلذذ بك واشتهيكَ والعنك عشقاً  
اتلذذ بك بمشاعرٍ اتحداك ان استطعت تُنهيها  
عندما تكون جليسي تُطالعك عيناى  
حتى تعبت بجمالكَ وخجلك كان يشقيها  
طال حرمانى من شفتيك .. وإن طال

عمري سأحلم انك يوماً لشفّائي ستهديها  
ها انا اودعك و الروح لك تدعو بسعادة  
لطالما كانت سعادتك هي من ترضيها  
هل ستعود لي يوماً .. حبيباً او غريباً  
إرجع .. فبعدك لعمري اياماً من سيعطيها  
بعدك .. لا عطراً سأضعه ولا لحناً  
سأسمعه .. بعدك فيروز سأمحيها  
بعدك .. لا يوجد عيداً في تقويم اياي  
بعدك سيستعمر الظلام مدينة احلامي وضواحيها  
بعدك .. سينتقاسم عطرك وسادتي ليلاً  
والروح بنار ذكريات ليالينا سأصليها  
بعدك .. سأخلد الى النوم وحيداً صامتاً  
فقامة احساسي هجرك الطاغي سيحنيها  
بعدك سأتوهج حرماناً .. فالأحاسيس  
التي كانت تنتابنا ليلاً في بئر الحرمان سألقيها  
بعدك سأضحى صخرة بلا مشاعر كصخرة  
بيروت .. تلك التي كانت لأحلامي اسمى معانيها  
أستمر برسم عذابي بأحرف؟  
أم اجمعها وقسراً في بحر هجرك ارميها؟  
أم ان الاوان ان نفترق وتخرس افواه

احلامي واعدود لساعات شهدي وثوانيتها

ام اعود كما كنت .. لأيام احببتك فيها

خلسة واسرق نظرات وقُبَلاتٍ كنت استجديها

اعطف عليّ يا من اكتب من أجله عمراً

من الكلمات ثم بوشاح الحزن اجمعها واغطيها

كلماتي بعدك كيتامى يتباكون على أم

القصائد بعدك تسألني .. غداً من سيرُبيها؟

## الفصل الخامس

لندن - الثالث والعشرون من تشرين الثاني ..

قامت الثورة .. سقط نظام الحُكم، ثارت الفوضى في عموم المُدن، تغير كل شيء، حل خرابٌ كبير في اغلب البنى التحتية للبلد، اصاب الشلل كل مرافق الدولة، لم يُعد هنالك نظام ولا دوائر رسمية، لم يُعد هنالك حزبٌ حاكم، انشق الجيش لنصفين، نصفٌ تمكن من ان يجمع الانتفاضة لفترةٍ قليلة وان يعتقل اكبر عدد من الثوار، والنصفُ الاخر انضم الى الثوار منذُ بدء الثورة، دام هذا الصراع لأيام، لم ينتهي إلا بدماءٍ وتضحياتٍ شُجاعة.

بعد ان قام الحزب الحاكم بأجراء الانتخابات وفق ما كان مُخطط لها مسبقاً، وبعد ان سَرع بطرد الفريق الدولي الذي حُدد من قبل منظمة الامم المتحدة، نجح بعد ذلك في تعيين لجان تشرف على مراكز الاقتراع، لم يكن اي مُشارك في هذه اللجان غير منتمي الى هذا الحزب، تمكن من زرع الكثير من

الجواسيس قُبيل الانتخابات بأيام، تم اعتقال الاف من المُعارضين والمعترضين لسياسته، اُكْتُظت السجون بالمعتقلين، تم اعتقال رؤساء الاحزاب والشخصيات المهمة وكل من رشح نفسه للانتخابات مستنداً الى قاعدة جماهيرية قوية، لم يكن هنالك رقيب، انفرد قياديّ الحزب بكل القرارات، توقفت السلطة القضائية عن العمل لكثرة المعتقلين، تركوا الكل يقبع في السجون لحين البت في النتائج النهائية للانتخابات، كان الشعب خائفاً، لا سيما بعد ان اطلق الحزب اتباعه من رجال الدين ليصدروا الفتاوى والتوصيات بشأن وجوب انتخاب الحاكم وعدم جواز الخروج عن طاعته، لأن في مرضاته مرضاة الرب، في حين ان الرب يرى بكل تأكيد كيف اُكْتُظت بيوته بالمارقين عن مبادئ اديانه، وكيف تم استغلال ذلك المكان الذي يعتليه رجل الدين ليحدد من سيدخل الجنة ومن سيدخل النار.

كان يوم الاحد والكنائس مكتظةً بالمرشحين، يوم الجمعة للمساجد كان الامر سيّان، اوصى كل رجل دين صراحة او ضمناً بوجوب إبقاء الحزب والرئيس في الحكم، حتى ينعم بجنات الخلد التي وعدنا بها الرب، وها هم وكلاء الرب على الارض يسمحون لنا مُتفضلين في ضمان مقاعدنا بها، بعد ان يصبر الشعب على الجوع والفقر وغلاء الاسعار والقمع والتهجير القسري والتطرف الديني والمذهبي وتَنَعُمُ البعض بثروات البلد دون غيرهم من الشعب، في حين يتوجب أن يأخذ كل فردٍ منه نصيبه من ثرواته، او حتى نصيباً من جماله، من هواءه، من شعراءه وادباءه، من علماءه ومثقفيه، يتنعم الحزب واتباعه به فحسب لأنه وطنهم وهم الوطنيين، اما عن ما تبقى، فيتوجب عليهم



الصمت، ومن لم يتمكن من الصمت فالتهم الخاصة بالمساس بأمن الدول كانت بأنظارهم في محاكم الحزب الخاصة.

في بلاد العرب لا يمكن للحرية والامان ان يلتقيا في عهدٍ واحد، حين نثور من اجل الحرية فعلينا ان لا ننسى بأننا سندفع الأمان ضريبةً للحصول عليها، وحين نعم بالأمان فعلينا ان نعتقد بأن راحة الحاكم الجاثم فوق اقلامنا اهم من آراءنا وافكارنا، ولكي نكون بأمان علينا ان نعتاد على التفكير في الحيز الذي منحنا إياه الحاكم بحسب سياسته، والاهم من كل ذلك ان نُؤيده فيما يقول او يفعل، وان لا نحاسبه على ما ينعم فيه من خيرات، ان لا نحاسبه وحزبه اطلاقاً، كي ننعّم بالحرية علينا ان نقول هنيئاً للحاكم على كل ما يلتهم من ايتام وارامل، او ان نقول حظاً اوفر لأبنه المُدلل لو خسر الملايين من الفقراء في احدى صالات القمار الامريكية.

استطاع الحزب الحاكم الفوز في الانتخابات الاخيرة، تجلت اسباب الفوز بقيامه بمسك كل مراكز الانتخاب ووضع مراقبين من اتباعه، اثاروا الفتن والاشاعات التي قضت بأن كل مواطن لن ينتخب الحزب الحاكم فأن المراقبين في المركز سيطلعون على هويته واسمه وعنوانه وحينها يتم اتهامه بكل ما تيسر لهم من تهم التي تجلب له السجن، يضاف الى ذلك خوف الطبقة الساذجة من الشعب من ان لا يغفر الرب خطاياهم لو لم ينتخبوا الحزب الحاكم بعد ان صدحت مسامعهم بوصايا تجار الاديان والتي ادت بدورها الى منح العديد من الاصوات له، يشار الى ان نسبة الاقتراع في البلاد لم تتجاوز الاثنان والاربعون بالمئة من عدد الناخبين الحقيقيين.

كنت اتابع الوضع السياسي وانا بعيدة عن الوطن، لم أكن هناك، حدث كل هذا وانا لم ارى شيئاً.

بعد ان ودعت رفيق الروح، باتت روحي عليبة، عدت لتناول العقاقير المُهدئة، بدأت اتناول الكحول منذ الصباح، لم افيق لعدة شهور، كنت لا اتجرأ على مواجهة الواقع، واقع يخلو من عطر (احمد) لا شأن لي فيه. تركت وظيفتي، توجهت امنياي نحو الموت، كان الخلاص الوحيد لي من هذا العذاب، لم يتبقى لي منه سوى ذكريات تؤلم جسدي وذاكرتي، ما كنت ابحث عنه منذ سنوات فقدته بين قُبلة وضحائها.

ندمت لأنني لم اقول له الحقيقة، ندمت لأنني لا زلت احلم بأننا سنعود، ندمت كثيراً لأنني جعلته يكرهني، كيف سيسامحني وانا قيدته بأغلال الهجر وضربته بسوط الخذلان، لو كتبت له مجدداً، كلمات كتلك التي كتبتها إليه ليلة عيد ميلاده، يا ترى هل سيكرر كلامه الجميل لي؟ هل سيكتب من اجلي مجدداً؟ هل سيقف امامي ليلقي شعره الجميل، هل سيعود لي؟

انهيت اخر لقاء كان لي معه وانا اتقمص شخصية لم اطيعها ابداً، تلك القسوة لم يستحقها مني ابداً، كان جميلاً معي، كان انيقاً، كان لطيفاً وذو شفاه ناعمة، لم تفارقني تلك القُبلة، القُبلة الاولى التي لم تمس شفاهي قُبلة قبلها، لم تفارقني مع اول كأس اتناوله عند الصباح.

كان الكأس الاول شبيهاً بالمُشعوذ الذي يستحضر الجن بطلاسم غريبة، حين كنت انهض من فراشي، بعد ان انتهى مفعول العقاقير المُهدئة التي تناولتها عن الليل، انهض لأتناول الكحول، كان الكأس الاول قادراً على استحضر ذلك

الاحساس الذي انتابني عند القُبلة الاولى، كان يمنحني ذات الشعور، كنت اتناول الكأس الثاني على عجل كي يرحل عني ما خسرتُه.

لمرات عديدة، كنت اكسر زجاجة الكحول حين اتناول الكأس الاول منها عند الصباح، كنتُ اشك في نوع الكحول الذي اتناوله، غيرتهُ مراراً ولكن النتيجة كانت ذاتها، ايقنت حينها ان هنالك ثمة علاقة بين الكأس الاول و اول شيء جميل في حياتنا، ايقنتُ بأن العلاقة التي تربط بينهما مبنية على النشوة.

شيئاً فشيئاً لم اعد اكثرث للأمر، اعتدتُ على الذكريات، اعتدتُ على تناول الكحول، اعتدتُ على العقاقير المُخدرة، اعتدتُ على ان اشعر بكفيه على خصري كلما فقدتُ توازني وانا احاول الوقوف ثملةً.

تألمت، فارقتهُ دون ان اعلمهُ السبب، اعتصمت في وجداني كلمات إليه، كلمات كانت تُريد ان تُخبرهُ الحقيقة، كانت تود ان تقول لهُ انتظر لنرى نتائج العملية، انتظرنني لأرى هل يمكنني عناقك دون ان تُضحني بشيء؟ ام عليك ان تدفع ثمناً للقاءني؟

بقيت كلماتي مُعلقة بأنتظاره، بقيت مُعلقة كملايس جُندي لم يرجع بعد انتهاء الحرب.

قُلت كل ما يجب ان اقولهُ له وانا ثملة، كنت اقول ما اشاء من ندم لأندم لأني لم اقولهُ له، تمنيتُ لو يعود بي الزمان الى ذلك المكان، لقول لهُ كم انا احبك. استطاع (يعقوب) ان ينتشلي من احضان الضياع، كنتُ اريد الموت لكنهُ منعي، كنتُ اريد الموت ببطء بعد ان ماتت كل احلامي، لم يعد لي هدف في

الحياة، خسرتُ حبيبي وخسرتُ وظيفتي، خسرتُ كل زملائي واصدقائي، خسرتُ طلبتي الذين كانوا يتذكرونني بعد سنوات من تخرجهم. ساء حالي، تمكنت من اقناع نفسي بأن انشغالي بالعمل في كل يوم سيمنحني القليل من فتات النسيان، حاولت ان اكون جيدة العيش كباقي البشر، ولكن النسيان ابي ان يكون ذلك، لم يمنحني عطفه، ترجيته ليعطف عليّ ولكن لا جدوى، تمنيتُ ان يمسح النسيان رأسي كما يمسح المُترف يدهُ على رأس اليتيم، لم اقوى على النسيان، كنت اجمع عدة ليالٍ سوياً لأمنعها من النوم، طال بي التعب الى الحد الذي لا يطاق، بدأت لا اقوى على العمل، بدأ وجهي يتغير.

النوم والوسادة بعدهُ تؤلمني ..

تناولتُ العقاقير المُهدئة عند الليل في بادئ الامر، تمنيتُ ان تشفييني من التنهيد بأسمه، تمنيتُ ان تمنحني النوم من دون الغثيان بالذكريات، منحني النوم المُصاحب للدمع، كنتُ ابكي كثيراً حينما يبدأ الخدر يمتلكُ جسدي، ضاعفتُ الجرعة ليلةً بعد ليلة، الجرعة الواحدة لم تعد تتحمل ما بجعبي من ذكريات من ابياتٍ ومن قصائد، ضاعفتُها عدة مرات الى ان اصبحتُ لا اقوى على الإفاقة.

مرت الايام .. اشتبه عليّ الليل والنهار، عدتُ لا افرق بين اشعة الشمس وضوء القمر.

بقيتُ في عالمي الخاص لعدة اسابيع، امنياتُ تقطن الخيال، عالمٌ يجمعني به في غرفة بيضاء ذات ستائر بيضاء تستمد نورها من اشعة الشمس، عالمٌ لا

يرى الليل مُطلقاً، كُنّا في ابهى صورنا، لم يعد وجهي شاهباً، لم يعد حبيبي لهُ ذقنٌ طويل ووجه حزين كما كنتُ رأيتُهُ خِلسة في اخر مرة وانا اختبأ في الطُرقات التي يسير فيها خارجاً من عمله، لم اراه منذ اخر يومٍ رأيت فيه اشعة الشمس، منذ ذلك الصباح لم اعد اخرج من البيت.

زارتني (سارة) اكثر من مرة، قدمت لي عديداً من النصائح ولكن الامر لم يجدي نفعاً، اضطررتُ في اخر زيارة لها ان اطردها صراحة من البيت، لم تعد تزورني، كنت قاسية بحقها، لم تدعني وشأني.

طال الامر (يعقوب) ايضاً، ولكنه لم ييأس من ان يساعدني رغم ارادتي، بعد ان اخذني لأكثر من طبيب متخصص في جراحة القلب ليقنعني بأن اجري العملية، طردته هو الاخر، لم اقبل ان اجري اية عملية لتشابه كل النتائج التي ستكون، لن تظهر لي نتيجة تجمعي به، لن اتمكن من اصلاح ما افسدهُ ابي.

لم يعد يزورني (يعقوب) لفترات طويلة، اثرت حفيظته ذات يوم وهو يراني ابيع بعض مصوغاتي الذهبية، كنت قد انفقت كل ما املك من اموال، كانت العقاقير المُهدئة غالية الثمن، لم اجد ما انفق بعد ان تركت وظيفتي.

شاهدني خارجةً من السوق الخاص بتجارة المصوغات الذهبية، جاء الى البيت لأنه عَلِم بما انوي فعله، لم افتح له الباب، جلب قطعة حديديةً من سيارته فكسر اقفال الباب ودخل، صرخ بوجهي لأفريق مما انا عليه، صرخ وكسر اشياءً اماي من اجل ان يخفييني، كان جاداً في غضبه، كان قلقاً وخائفاً عليّ، لن انسى تلك الدمعة التي تَلألأت في عينه حين عَلِم بمرضي، صرخ بوجهي، بقيت واقفة امامه دون ان انفعل، اعطيت الوقت الكافي لغضبه، لم

اجيبه، تقرب مني وازال النظارة السوداء من وجهي، كنت ارتديها لأخفي عيني الذابلة، لأخفي وجهي الشاحب، لأخفي تلك الاثار التي تركها المخدرات لمُحبّيتها.

صمت فزعاً حين رأى وجهي، رأى القمر ليلة المُحاق، رأى جمالي المتهشم، انصدم ولم يتفوه بكلمة، جلس ليهدأ، جلست انا ايضاً ....

قال: ما الذي تفعلينه بنفسك يا قمر؟

لم اجيبه ... بكيتُ بحرقه، بكيتُ كبكاء امٍ عثرت للتو على جثة ابنها المفقود في حربٍ اهلية.

قال: يكفي ما فعلتهِ بنفسك، هل تعاقبين نفسك على اخطاء القدر، ما ذنبك؟ ما ذنب (احمد)؟ كانت هنالك الكثير من الحلول ولكنك اخترتِ اشدهن قسوة.

لامني وهو غير قادر على تصوّر تلك الليلة التي سينام فيها (احمد) قبل مجيئي الى الفراش لأنه بدأ يضجر مني، لأنه بدأ يشعرُ بأننا غير مُكتملين، سيعيش وهو نادم لتضحيته التي ضحى بها بموجب الحُب، لن يتصور كيف يضجر الحُب ممّا ذات يومٍ ونحن ننظر الى اطفال تلهو في حديقةٍ قرب منزلنا، لن يُقدر ان يتصوّر ذلك فلا داعي لأن اجيبه، التزمْتُ الصمت التام امامه ....

ترك مكانه، تجول في البيت ثم عاد ليقف امامي والغضب يملأ عينيه ...

قال: اضطررتُ لكسر الاقفال لأدخل، كنتُ اعلم انك على وشك الموت، ما الذي اراه في البيت! ما هذه العقاقير التي تتناولينها؟ لما البيت خالياً من الطعام؟ لما بحوزتك هذا القدر الكبير من الكحول؟

لم اجيبه، وقفتُ وبدأتُ اشغل نفسي بتوضيب البيت لأشعرهُ بأنني اريدُهُ ان يخرج، صرّح بي مجدداً، وضع كلتا يديه على كتفي وصعقني بهزة لأجيبه ...  
صرّح بصوتٍ عالٍ جداً: لِمَا لا تتكلمين؟  
قلتُ له: انا ..... ار ..... اريد ..... الم ... و و .... الموت.

عرف الحقيقة، تفهّم لما لم اكن اريد ان اجيب على اسئلته، منذُ اسابيع وانا لم اعد قادرةً على الكلام بجملّة متصلة، كنت اتمكن من التفوه بكلمات ولكن بشكلٍ غير متصل، وفي بعض الاحيان كنت اردد احرف الكلمة مرتين او ثلاث لأتمكن من النطق بها.

ظل مندهشاً، رأيتُ على وجهه ملامح الحزن والدهشة معاً، عاد كما كان يجلس، أخرج من جيب سترته علبة سجائر، اشعل منها سيجارة، استنشق دُخانها، اخرج زفير هواءه فأجبرني على الصراخ.

صرخت بوجهه وسحبتهُ من يده ليخرج خارج منزلي، لم اتمكن من ان اقول له ان لا يشرب هذه السيجارة امامي، كان يقتني سجائر كتلك التي كان يقتنيها (احمد)، دُخانها اخذني عنوةً الى ذلك الشاطئ، الى مكاننا الجميل، حين وضع يدهُ خلف كتفي وشرب سيجارة من هذه السجائر، دُخانها صّور لي وجههُ وسط المنزل.

لم يعلم لِمَا طردهُ من البيت، خرج الى سيارتهُ مسرعاً، اغلقت الباب خلفه بقوة، ووجدت الدخان لا يزال في البيت، هممتُ بالتنفس بسرعة، اتنفس وانا ابحت عن خيوط ذلك الدخان الذي رسمت وجه (احمد).

وانا اتجول في الغرفة لأستنشق اكبر كميةٍ من دخان هذه السيارة، شاهدت (يعقوب) قد عاد، كان واقفاً عند الباب ينظر اليّ بغرابة، لم اتمكن من النظر الى وجهه، تقدم اليّ مُسرعاً دون ان يتكلم ثم صفعني بقوة على وجهي، سقطتُ على الارض دون ان اشعر بشيء.

علمتُ بعد ذلك انه اقلني الى احدى المستشفيات الخاصة بمعالجة الادمان، مكثتُ فيها لأسابيع، كانت كمية المخدرات التي تناولتها لشهور وليس لسنوات وبسبب ذلك كانت فترة علاجي قصيرة وصعبة في ذات الوقت لأن الكميات التي تعاطيتها لم تكن قليلة، كانت صعبةً لأن لي قلب ليس كباقى البشر، قلبٌ يحتوي على صمامٍ ضعيف لا يُجيد النبض جيداً، لكنه يُجيد عِشق (احمد).

كانت فترة العلاج قاسية، كان الطبيب المعالج يمنحني الدواء المخدر يومياً بجرعاتٍ متكررة وليست متساوية، كل جرعة كانت اقل من التي تليها، كنت اشعر بالنشوة التي اعتدت عليها ولكنها كانت لا تصل الى حد الاشباع، وهذا بحد ذاته عذاب، كانت اغلب مصحات علاج المدمنين تتخلص من ادمانهم بهذا الشكل، بدأ الامر صعب، ولكنه وبعد عدة ايام اصبح مقبولاً، بدأت ارحب بكل لحظة افيق فيها لما حولي، متجنباً لكل شيء يذكرني بحبيبي.

ساء امر قلبي كثيراً بعد هذه الفترة العصبية التي مرتت بها، كنت اتلقى علاجاً دورياً ليُنشط عمله، سمعت ذات مرة الطبيب المعالج وهو يخبر (يعقوب) بأن الامر يزداد سوءاً وان عليّ ان اجري العملية.



سمعت (يعقوب) وهو يجيبه: " دكتور انا لست صاحب القرار، سأنتظرها لتفريق واتكلم معها بهذا الشأن، تكلمت معها مسبقاً بصدد العملية ولكنها لم توافق "

اجابه الطبيب: "ليكن في علمك بأن الامر الان تغير، الامر يزداد سوءً بمرور الوقت، ارجوك، اخبرها بأنها ستصحو على يوم يكون فيه الاوان قد فات" استيقظت ذات صباح وانا اشعر بأنني اقوى على الكلام، عادت صحي، تمكنت من السير بأثزان، عُدت الى وعيي، حاولت تغيير ملابسني بنفسني قبل ان تأتي الممرضة لعلها تخبر الطبيب بذلك ليخرجني من المشفى واعدو الى بيتي، لعل (احمد) يطرق الباب.

انتهيت من ارتداء ملابسني، جلست على فراشي أتأمل الخاتم الذي وهبني اياه (احمد)، لم يفارقني ابداً.

كنت انظر الى حديقة جميلة كانت تطل عليها غرفتي، لم اعيرها من قبل اي اهتمام، طرقت الباب، دخلت عليّ زوجة (يعقوب)، القت عليّ التحية واجبتها بأبتسامة، خفت من ان انطق بكلمة وتخرج متقطعة فأخجل من نفسي ومن مهدئاتي وكحولي.

تقربت مني، لمست شعري وهي تنظر لي نظرة العطف، شعرت وقتها بما يشعر به المريض النفسي، شعرت به كيف يتبادل النظرات مع من حوله، هم ينظرون له بنظرات عطف وهو يُترجمها الى اشمئزاز.

قالت لي: لا تخافي، ستكونين بخير لن يتخلى عنك (يعقوب) الى ان تعودين قمرأ كما كنت.

اسعدتني كلماتها، عطفها منحني بعض الراحة، كنت اتمنى ان (يعقوب) لن يتخلى عني كما قالت، اتمنى ايضاً انه لم يخبرها بأنني تعرضتُ لصدمات كهربائية في الرأس في اول يوم دخلت فيه الى المشفى، حين افقتُ بعد دخولي له ولم ارى خاتم زواجي في يدي، صرختُ حينها لأسأل عنه ولم يجيبني احد، صعقتني الاطباء بالكهرباء لأصمت، اتمنى ان لا احد علم بالأمر، اتمنى ذلك.

دخل (يعقوب)، كان الطبيب المشرف على حالتي معه، القوا التحية مبتسمين عطفاً، نادى الطبيب على الممرضات من اجل تَغيير بعض اشياء الغرفة فأخبرتهُ احدى الممرضات بأنني تمكنت من النهوض بمفردي ومن ارتداء ملابسي لوحدي بعد ما اعدوا لي خاتمي، نظر الطبيب الى (يعقوب) ثم ابتسم وقال له: "ألم اقل لك ان الامور اصبحت على ما يرام، نحن بحاجة الى وقت فحسب"

لم افهم عمّا كان يقصد الطبيب، ولكنني انتهيت بأن كلامه كان متزامناً مع ما قالته الممرضة، اعتقد انه كان يقصد ان حالتي النفسية تحسنت بعد ما اعدوا لي الخاتم.

تجاهلت الامر، جلست لأتناول الافطار وهم يتبادلون الحوار، انهيت طعامي فألقى الجميع عليّ التحية وذهبوا، بقي (يعقوب) بقرب مني فقط ...

قال لي: عزيزتي، كيف حالكِ؟

ابتسمت وحركت رأسي لأشكره ....

قال: تكلمي، انتِ الان قادرة على الكلام، تكلمتُ معكِ ليلة امس وبادلتني الحديث بسلاسة، إلا تذكرين ذلك؟

كنت لا اذكر شيء سوى حبيبي (احمد)، لكنني خفت من ان اقول له انني لم اذكر فيظن ان حالتي سيئة، كذبتُ عليه كي يخرجني من هنا، انا بحاجة الى العودة الى منزلي.

قلت له: اذكر.

صلى للرب امامي، قال: ألم اقل لك انك الان افضل بكثير، انت تتكلمين بسلاسة.

لم اجد كلام لأشكره من خلاله، عانقته لأشكره ....

قال لي: لا تشكريني لشيء، ما افعله هو واجبي اتجاهك.

قام ليحلب لنا الشاي من الخارج، عاد بعد دقيقتين، جلس بقربي ...

قال لي: قمر، سنسافر يوم غد.

قلت: الى اين سنذهب؟

قال: الى لندن.

قلت: ماذا سنفعل هناك؟

قال: منذ ان علمتُ بمرضك وانا اجري العديد من الاتصالات مع اصدقاء لي هناك، ارسلت التقارير الخاصة بحالتك دون علمك، تواصلت معهم للبحث عن حلٍ ليبقيك قمرأً، بحثتُ وسط عشرات الاطباء، لم اتمكن من ان اتكلم معك بشأن الموضوع لسوء حالتك في الفترة الاخيرة، وطيلة فترة رقودك هنا وانا اعمل جاهداً على استحصال موعداً لك مع اشهر الاطباء واستحصال سمة دخول، تعلمين ان هذا ليس بالهين، قبل يومين، حجزتُ موعداً لك في المشفى وتذاكر الطيران، سنسافر غداً بعد منتصف الليل.

قلت: لا اريد ان اجري العملية، ارجوك، ما نفع العيش من دونه؟  
قال: لا خيار امامنا سوى السفر.

قلت: اتعبت نفسك، إلا تكفي كل هذه المساعدة التي تقدمها لي، كيف  
ستترك عملك واسرتك؟

قال: لن يتطلب الامر اكثر من ثلاثين يوم، لأننا قد لا نجري أي عملية.  
قفزت من مكاني فرحاً، التفت إليه بعدما كنت اتكأ على طرف المقعد ...  
قلت: كيف ذلك؟

قال: ابلغني احد الاطباء بأن لنا خيار غير اجراء عملية زرع الصمام الصناعي،  
وهو ان يمنحك ادوية تلتزمين بتناولها يومياً وبشكل منتظم لتستمر حياتك  
بالشكل المعتاد دون الحاجة الى اجراء أي عملية.

قلت: تستمر حياتي !! هل بأمكاني تحمل الالام الولادة؟

قال: طبعاً، ولكن الامر متوقف على عدة فحوصات واختبارات، وان لم يكون  
الامر كما نتوقع فسنجري العملية، ولن اقبل منك أي اعتراض، العملية  
ستكون هناك بضمانة كبيرة، لن تكوني بحاجة الى أي ادوية مع الصمام  
الجديد، ستعاودين الحياة كما كنتِ وليس كما قالوا لكِ هنا بأن الامر له  
احتمالات عدة.

خفتُ ان يُذكرني به شتاء (لندن)، تنفستُ الصعداء، تنفستُها مئة مرة لأنني  
على يقينٍ تام بأن الغفوة على صدره اجمل من مدن العالم بأسره.

وصلنا الى لندن، مكثنا يوماً واحداً، ذهبنا في اليوم التالي الى المشفى لأجراء الفحوصات، لم يكن الامر كما صورهُ لي، وانا انهض لارتداء ملابسني بعد ان اجريت كل الفحوصات ...

سمعت الطبيب يقول ليعقوب: you are late, so late  
ايقنْتُ وقتها بأني سأخضع للعملية لا محالة، ذهبتُ إليهم، جلستُ امام (يعقوب) ننصتُ لما سيقرره الطبيب، لم يكمل حديثه ...

قال هو يكتب: as we agreed

فأجابه (يعقوب): yes, of course

لم يكملا حديثهُما، خرجنا ولم يخبرني (يعقوب) عما قاله الطبيب.  
ونحن نسير في شارع (Harley Street) في مدينة (Westminster) كنتُ استمع لهُ وهو ينصحي بأجراء العملية، لم يكن بأمكناني الرفض، كيف ارفض وقد قطعنا كل هذه المسافة من اجل العلاج، لم يكن لي خيار اخر، قررتُ ان اجري العملية وانا بأمس الحاجة لرؤية وجه (احمد) قبل دخولها.  
اجريت العملية، لم افيق منها إلا بعد ساعات، فتحت عيني من شدة الضوء الذي فوق رأسي، وجدت الطبيب بالقرب مني ....

ابتسم وقال لي: you love him so much

لم اعيرهُ اهتمامي انشغلتُ بالشهيق والزفير، كنتُ اتنفس بصعوبة، كان كل شيء صعب دون حبيبي، وجدتُ (يعقوب) بالقرب مني كعادته، لم اتمكن من تمعن وجهه ولكن حنانه وعطفه الوافر اعطى لي هيئته التي اراه بها.

قلتُ له: ماذا قال الطبيب؟

قال: انتِ بخير، والعملية كانت على اتم وجه، تم منحك صماماً صناعياً ليمنحك العمر مديد، لا تحزني ستعودين لخطيبك، ستعودين لحياتك، سقط اليوم نظام الحكم في الوطن، ستعودين الى وظيفتك ايضاً. بعد ان كنت التفت الى جهة اليمين التي اراه فيها، نظرت امامي، لم يكن شيئاً اجمل من وجود الرب، صليت له، دعوته بأن ينجيني مما انا عليه، يصعب عليّ التنفس الان، كما يصعبُ علي العيش من دون (احمد).

هل سيتحقق ما قاله (يعقوب)؟ سيتحقق لو شاء الرب، لن يقف شيئاً ليعارض مشيئته، ايها الرب، حقق لي ما اتمناه وما انت تعلمه، ايها الرب انني بحاجة لرحمتك وعظمة قدرتك كي انجو من الحبال التي تلتف حول رقبتني الان، ومن الآت الحادة المحشوة في صدري.

مرت الايام، تعافيتُ بفضل الرب وعطف (يعقوب)، نجحت العملية وعاد النبض المُنتظم لقلبي، منح معي الطبيب وحذرنني من ان اعشق بقوة، لأنني نطقت اسم (احمد) في اللحظات الاولى من خروجي من العملية، لم يفهم ما كنت اقول، كان يظن انني بحاجة الى شيء، طلب من (يعقوب) الحضور الى صالة الافاق ليترجم له ما اقول فجاء واخبره بأنني اردد اسم حبيبي، ولذلك قال لي الطبيب عندما فتحت عيني لأول مرة بعد العملية "انت تحبينهُ جداً" انتهى ما كنت اخشاه، وبدأ ما اخشاه اكثر، كيف سألقاه بثياب ندم، بعد ان نجوت من الموت، او العيش كالأموات، كيف سأخبرهُ بالحقيقة وانياب الخذلان لا زالت في فمي؟ كيف سأعود له لأرى انعكاس الجرح في عينه؟

لم نتمكن من العودة الى الوطن، تم حظر الطيران من و الى الوطن للانفلات الامني الحاصل بسبب سقوط نظام الحكم، بعد ان توقفت كل مؤسسات الدولة عن العمل.

ظل غراب القلق جاثياً فوق تفكيري، ظلت ظنون السوء تحوم فوق آمالي، انا في اقامة جبرية وسط لندن، مرت فترة عصبية للغاية، كنت اريد العودة بأسرع وقت كي اراه واعتذر له، كنت ارفض اي فكرة تدعوني للقلق اتجاهه، كنت اتساءل عن موقفه في هذه الفوضى، هل هو بخير؟ هل هو بعيداً عمّا حدث ام كان من اوائل الثوار بحسب ما تملي عليه شجاعته وحبه لوطنه؟ هل فكر بي قبل ان يفعل شيئاً يضره؟ كيف يفكر بي وانا لم افكر به؟

في اعراف الحب، لا يسمح للظالم بأن يُمكث في الوجدان كثيراً تجنباً للذكرى. بعد مرور شهرين عادت خطوط النقل الجوي للعمل، رجعنا الى الوطن ونحن لا نعلم ان ظل (وطن)، ام ظل طريقه الى الحرية؟

ايام من الهدوء قضيتها في الفراش، كان يجب عليّ الابقاء على نفسي دون انفعالٍ او أي جهد يُبذل لفترة ما بعد العملية، بقاؤنا بانتظار السماح لنا بالسفر كان له الفضل الكبير لي ببقائي هادئة، تطلب الامر فترة من السكون.

قضيتُ ايام اخريات وانا اجوب الطرقات بحثاً عن (احمد)، ذهبت الى كل مكان جمعتني به ...

سألتُ عنه كل البشر

سألت عنه ازقة المُدن ومجرى النهر

بحثتُ عنه بين اوراق الشجر

بحث عن مخرج من ألم اشتياقي له

ولكن منه .. اين المفر؟

وحيدة جلستُ على الشاطئ، لم يكن حبيبي برفقتي، لم اعلم ما حل به،  
بحث عنه في كل الطرقات ولم اجده.

جلستُ على مقعدنا الاوحد والبحر امامي، جلستُ لأتذكر كل شيء، كل ما  
مضى كان بجعبة ذاكرتي، كان موج عال، يندفع بقوة من تحت اقدامي كما  
كنتُ اندفع نحو لقائه، ظل البحر يدفع بالذكريات ليقدمها الموج لي،  
ليختبرني إن كنت قد نسيت شيئاً ام لا، اخبرته بأنني لم ولن انسى شيء.

عندما كُنّا نجلس لم يكن الموج بهذا الغضب، عندما كُنّا نجلس كُنّا نرى  
امواجه على بُعد بعض الامتار عن اقدامنا، اليوم اجلس امامه والموج يصل  
ألي، كأنه يود ان يقول شيء، كأنه يعاتبني عما فعلت بحبيبي، من المؤكد انه  
غير راض عني.

كان الثاني من نيسان...

القمر حزيناً لهذه الذكرى، حزيناً لأنني بمفردي بنصف روح، ابحت عن  
نصف روحي الاخرى بخطوة من خجل وخطوة من ندم، اليوم تأريخُ ميلادنا،  
موعد لقائنا الاول، تاريخ الحُب الذي جمعنا، ذكرى الخاتم الذي بين اصابعي  
الان.



اعتلى موج البحر وانا احادثه، كان يمضغ ذكرياتي ويرميها على ساحله الثاني، بعيداً عني لأنني لا استحقها، لم احافظ عليها وهي واجبة التقديس، ذكرياتُ كانت الواقع الاجمل والحلم الاوحد.

طلبتُ من الموج ان يهدأ، اعتذرتُ عن ما قلت هنا قبل اقل من عام، حين تركته وحيداً كما انا الان، كان البحر شاهداً على كل الخذلان والجحود، يشهد عليّ القمر ايضاً، النسمات التي كانت تعبت بشعري ليعود ويصففه بيده، الموج كان يُذكرني كيف نكرت جميل ابياته، كان يتساءل عن إلحادي بعشقه، عشقه الذي كان واجب العبادة.

تكلمتُ بوافر الندم، اردد كلمات الاعتذار منذ ان مسك بيدي (يعقوب) وانا اذرف الدمع حال هبوط طائرنا على ارض الوطن، كنت اريد رؤيته بلهفة الخشية، بكيت من شدة ما اريد.

قال لي (يعقوب) وقتها: كوني قوية يا قمر.

قلت له: لا تُعاتبني على ما ليس لي ارادة فيه.

وانا على المدرج الطائرة أنزل لأرض الوطن، استنشقتُ عطره، كان عطره يجوب الوطن، تتناقله نسمات روجي التي تحوم حوله الان اينما كان.

استأجرنا سيارة اجرة لتنقلنا الى البيت، ونحن في الطريق مررنا بمركز المدينة رأيت صور (احمد) مُعلقة في اغلب الطرقات، اخبرت (يعقوب) ليراها لأنني كنت اخشى سراب وجهه من ان يظهر لي بسبب حُمي الاشتياق، خفت من ان يكون سراياً فيُعيدني (يعقوب) الى المصححة العقلية.

شاهدُهُ (يعقوب) ايضاً، كان الامر يقيناً، سألنا على الفور سائق الاجرة عن من يكون هذا الشخص، اخبرنا سائق الاجرة بأنه من اوائل الثوار الذي اقتحموا المقر الرئيس للحزب الحاكم واهزم النار فيه ليشتعل فتيل الثورة مع النار التي التهمت مقر الحزب وكل المقرات التي تعاقب الثوار على احراقها خلال ساعاتٍ قليلة، وفي اليوم التالي خرجت مظاهرات حاشدة لتستمر الى اعتصاماتٍ ادت الى شطر الجيش الى نصفين، النصف الاول تخلى عن سلاحه وانضم الى صفوف الثوار والنصف الثاني كان مع الحكومة لأنه لم يتمكن من عصيان اوامرها فقام بأعتقال المنشقين عنه وقمع قادة التظاهر ومن ضمنهم (احمد) الذي ظل مصيرُهُ مجهولاً ولم نعلم عنه شيء بعد اعتقاله.

صرخت بوجهه دون وعي ..

قلت : ماذا تقصد بأن مصيرُهُ مجهولاً ؟

التفت لي (يعقوب) وقال: هدي من روعك، سيكون كل شيء على ما يرام.

لم يَجِب السائق عن سؤالِي، نظر لي نظرة استغراب فحسب.

لم اعرف ما حل به، كنت اعلم انه سيكون من قادة هذه الثورة، لكنني كنت

رافضة للتفكير بالأمر، لي الف عذر وعذر لذلك، اريد رؤيته.

ذهبتُ الى بيته بعد ان تركني (يعقوب)، وجدته مُقفلاً وقد تم حرقه بالكامل،

وجدت اثار ادخنة النيران حول نوافذ البيت وابوابه، قلقت عليه كثيراً، أسأل

من عنه؟ كيف لي ان اعلم اخباره؟ اين هو الان وقد مضى على هذه الحادثة

اشهرٌ عدة ؟ لم قال لنا سائق الاجرة ان مصيرُهُ مجهول؟

ذهبت الى بيت (سارة) لأراها، احتضتني وانهارت باكية حين رأيتني، دعيتني للدخول بعد ان بكينا على الباب بقدر سنوات صداقتنا، قدمت (لقمر الصغيرة) دُمية ابتعتها لها من (لندن)، اخذتها من يدي وسارت بها وسقطت ارضاً، كانت فرحة بخطوات قدميها، جعلتني ابتسم بثغرٍ نادم، كانت الدُمية اكبر منها حجماً.

سألْتُها عن (احمد)، كان علمها كعلم سائق الاجرة، إلا انها اضافت بأن قوات عسكرية اعتقلته من منزله ثم اضرمت النار فيه، ومن تلك اللحظة بات مصيره مجهولاً.

كانت تعلم بمرضي، كانت تزورني في المصححة لتراني من خلال الزجاج فقط، منعها الطبيب حينها من رؤيتي، كانوا يزودوني بالمهدئات ويقولون عن حالي بأنها انهيار عصبي حاد من اثر صدمة، كان الطبيب يمنع عني كل شيء يذكرني بحياتي التي اعيشها ليخفف من اثر الصدمة، كان لا يعلم بأنني اعشقه لدرجة يُستحال فيها ان انساه، كنت اقدس اسمه فاذكره وقت صمتي، لم يكن اسمه على شفاهي بقدر الصلاة، كان اكثر منها.

كانت (سارة) على علمٍ بأنني سأسافر مع (يعقوب) الى (لندن) من اجل العلاج، اخبرها هو بذلك، اخبرها بأنني سأمرُّ بأوقات عصبية، لم يخبرني (يعقوب) عن ما قاله الطبيب، اخبرتني (سارة) بأنه اخبرها بأن العملية التي سأجرها ستكون لها خطر كبير على حياتي والسبب كان يكمن في الكحول والمخدرات التي اعتدتُ على تناولها لأشهر، لم يخبرني (يعقوب) بأي شيء من هذا القبيل ليخيفني.

وانا اجلس امامها ادركت عظمة (يعقوب) لولاه لما انا الان على قيد الحياة،  
ادركتُ ايضاً لما الطبيب لم يُكمل كلامه حين دخلت عليه وهو يحاور  
(يعقوب) ويقول له "كما اتفقنا"

ها انا اجلس على الشاطئ لأسرد للبحر ما بجعبي من اعذار لعله يغفر لي، لن  
اتوقف عن الكلام حتى يهدأ موجه، حتى يصدقني بأنني هجرته لأتجنب  
تضحيته.

ها انا اجلس بمفردتي وكل ما في داخلي مُظلم.

اين القدر والقمر؟

لبالي العشق والسحر

الموج ونسيم البحر

كل شيء لم يكن كما كان عليه، مكانه خالياً، مملوءاً بالذكريات، مغطى بوشاح  
الرحيل، لم اراه، لم نعد نلتقي، اشتقتُ له.

جلستُ وبين يدي عدة ابيات وجدتها على باب منزلي صباح اليوم، لم اعرف  
مصدرها، عند خروجي صباح اليوم وجدتها اسفل الباب، كل ما في داخلها  
يفوح بعطره رغم انها كانت تخلو من العطر، كانت الكلمات كلماته، اعرف  
طريقته عندما يكتب.

كانت فيها ابيات تعني كل ما يريد قوله، كُتب فيها ....

تركْتُ كل الكلمات حين تركتني

حين سكن الصمت بين الحبر والاوراق

هجرتني الفرحة حين هجرتني

تبتسّم الشِّفاه والدمع يُمكث الاحداق  
نقشْتُ رسمكِ على جدران عمري  
كما نقشْتُ على خصركِ اثار العناق  
بغضتُ حياتي بعدكِ كما بغضتها  
قبلكِ .. كبغض أمٍ لأبنها العاق  
إن التقينا لا تذكرني اسمي .. الى ان  
تعودين حبيبيتي .. حلم هذا أم نفاق ؟  
صدقتُ أغنيةً قديمةً لأكذب واقعي  
تُحرم الحب وتجلد القُبلات والاشواق  
اعلم انني اهذي ولا اكتب .. فهل  
تعلمين ان تنفس غيابك كم هو شاق  
خذي الغد و أعيدي لي الأمس خذي  
سِم جحودكِ واعطي لجسدي الترياق  
أحبكِ كما كنت وسأبقى احبكِ مهما  
قدمت السهد قُرباناً لأوثان الفراق  
موعد لقاؤنا ها قد أتى وانتِ لستِ  
انتِ .. وانا على العهد لا زلت باق  
اضحيْتُ بعدكِ كطفلٍ يجلسُ في حديقةٍ  
يُنظر لأطفالٍ تلهو امامه .. وهو معاق

تركها لي هو، انا مُتأكدة من ذلك، أين هو الان؟ ان كان هو المُرسَل فأنه لا يزال يعشقني، انا على اتم يقين بأنها كلماته.

في كل دقيقة تَمُر، يُنفذُ الشوق بحقي حكماً بالاعدام، يُنفذهُ بقطع الامل بمقصلة عصور الوسطى، كانت حادة بأبيات شعره، تلك التي كتبها لأجلي، تلك التي القاها لي بشفتين علمتني كيف يكون الاستلذاذ في وضح النهار، عندما كان موج البحر يتحرك مع القافية، كان اجمل من شعراء الجاهلية بالرغم من معلقاتهم السبعة على جدار الكعبة.

اشتقت لعطره، اشتقت لتلك الايام التي كنت اتقرب فيها من جسده خلسة لأرتشف القليل منه، القليل منه كان كالكثير من كل شيء، حين كان عطره يأخذني الى شاطئ (يافا) لأنصت الى القصائد الدرويشية على الحان (مارسيل خليفة).

افتقدتُ (زياد) ايضاً، سألت البحر عنه، هل لا زال يذكرني بعد شجارنا الاخير؟ هل هو راضٍ عني؟ لم امتلك الوقت الكافي لأبحث عنه هو الاخر، لم يسأل عني هو ايضاً، بكل تأكيد كان منشغلاً، لم اراه منذ تلك الليلة المشؤومة التي رأيتهُ فيها، لم اتجرأ على الذهاب الى منزله بسبب الحادثة الاخيرة، ذهبتُ الى المطعم فوجدتُ ان ادارتهُ قد تغيرت بالكامل، لم أسال عنه احد، اعتقدُ بأنه باع مطعمه وسافر تجنباً للفوضى التي حدثت مؤخراً.

تعبتُ من الذكرى، تعب الموج معي، لم يعد يقترب من اقدامي، اتعبتهُ الذكرى واتعبتني، كلانا غير قادر على نسيانه، نسيان جماله، سيجارته،

كلماته، نظراته، رجولته التي تبعث كياناً لو نظر لي، كان يعصُر كل قطرة انوثة  
احملها لو مسك ذراعي.

عدتُ ادراجي، عدتُ وانا اجر اذبال القلق، ما هو مصيره؟ اين هو الان؟  
اتجنب التفكير في ان يكون قد اصابهُ مكروه، اكاد احترق لو مَسهُ سوء، احترق  
كما يحترق الجرم السماوي عند دخوله الارض.

تمكن الجيش من السيطرة على الطرقات والمدن بعد ان انتشرت المظاهر  
المسلحة، نحن وكأي بلد عربي يلتجئ الى الاعراف العشائرية والقبلية في  
غياب القانون، غريزة التباهي بالشجاعة وتملك القرار وحياسة المصير متوافرة  
عند الجميع، هذه جينات تنبثق لتكون واضحة للعيان في كل منطقة تجمعها  
العشيرة الواحدة.

احياناً، نرى تمكّن الدولة من حصر السلاح والقرار والمصير بيدها في مركز  
العاصمة لعدم وجود اي تكتل عرقي او مذهبي او قبلي فيها عادةً، ولكننا نرى  
تمكّن زعيم القبيلة او العشيرة في المدن البعيدة عن انظار الدولة من نشر  
نفوذه، هي لم تكن بعيدة بالفعل عن انظار الدولة، ولكن الدولة انشغلت بما  
في العاصمة والمدن الحيوية من استثمارات وتركت اطراف الدولة للأعراف  
القبلية.

رأيتُ صنفاً من هؤلاء المُسلحين قد تم تشكيلهم بحسب الدين، حمل  
السلاح كل من كان بعمر الشباب بغية حماية مقدساته الدينية، كان قسماً  
منهم يحمي المساجد من الكنائس واخرين يحموا الكنائس من المساجد.

كانت الارض خصبة لأي متعصب ومتطرف ديني للخروج والهتاف، هتف وهو يخرج من جعبته عدة كُتب تُضمّن دخوله الجنة، وعلى الجميع من خارج ديانتته التزام الصمت والابتعاد عن دار عبادته المُكْتَظ بالسلاح.

اما بشأن الصنف الاخر فقد اغلق مدينته لأنها تابعة لقبيلة او عشيرة ما، كان كل من لا ينتمي لهم فهو مصدر شك، لذا سُمِح لهم بموجب ذلك حمل السلاح ايضاً والاشترك في المظاهر المسلحة التي عاثت في جمال الوطن فساداً واصبَحَت من سمات الرجولة ان يحمل كل سلاحاً.

عُدْتُ الى وظيفتي في الجامعة، بعد ان قدمت كل الوثائق التي تُدين رئيس الجامعة السابق وزمرته، خرجتُ انيقة في اول يومٍ أذهب فيه الى الوظيفة التي لطالما احببتها وهي القاء المُحاضرات في معبد العلم، عدتُ الى طلبتي الذين احبهم لمجرد انهم ينصتون لي بغض النظر عن دياناتهم وقومياتهم ومذاهبهم، عُدْتُ الى ما كنت استحق.

بعد ان تمكن الجيش من مسك زمام الامور، تم الاتفاق بين الاحزاب على تشكيل حكومة مؤقتة من اجل اجراء انتخابات تُمكن الشعب من اختيار حُكومةً تمثله، كان الامر صعب في بادئ الامر، ولكنه الان اصبح يسيراً لعودة فرض القانون من قبل الجيش ومصادرة كل الاسلحة التي تمت حيازتها خارج نطاق الجهات الامنية في الدولة، عاد الامان لمدينتنا وكل ارجاء الوطن، عادت تلك الحياة الطبيعية التي اعتدنا على رؤيتها، التزم كل ضالٍ حدوده التي فقدتها لأشهر قليلة، عاد الكل يخشى القانون ويتجنب مخالفة قواعد المرور.



ظهر تنظيم يعلن (الجهاد) على كل من رضي بالوضع الحالي، مستنداً الى عدم شرعية الانقلاب وخيانة الجيش لواجبه، استمدوا شرعيتهم من بعض رجال الدين الذي تضررت حساباتهم المصرفية من جراء سقوط النظام، افتوا بوجود الجهاد واستعادة الحكم والقصر الذين كانوا يتقاضون منه رواتبهم وهداياهم.

كان بالمقابل ايضاً وجود نصائح من اساقفة الكنائس بحرمة الانتماء للحزب الليبرالي او ما شابهه من تياراتٍ تحصر الدين في بيوت الدين وتستمد قوانينها من القوانين الوضعية، تلك القوانين التي تتكون من رحم المجتمع في كل زمان ومكان، لا قدسية لقراراتها إذا انتفت الحاجة منها، افتوا بحرمة تأييد هذا الفكر لأنه لم يتطرق الى التكفير والقتل.

عادت دوائر الدولة للعمل، عادت الحياة السياسية للمقاهي في العاصمة، انشغل الشعب بقراءة المستقبل من خلال الاشاعات التي تصدرها تلك المقاهي التي يرتادها الصحفيين والكتّاب والسياسيين الصامتين بالأمس، لم يفكر الشعب في كيفية التعامل مع انتخابات جديدة من دون اكرامه، كان يبحث عن الاشاعات من كل حزب بأنه هو الذي سيكون الحاكم في الايام المقبلة دون ان يفكر للحظات كيف يضع الضوابط اللازمة في دستور الدولة لكي يكون الرئيس ملزماً بما يقوله الشعب وليس العكس.

اعادة كتابة الدستور، كانت من اولى محاضراتي في كلية العلوم السياسية، بحثت مع طلبتي لساعات عدة، كيف يمكنهم توعية الشعب بأن اعادة كتابة الدستور اولى من التكهن بمستقبل الحكومة، كان من المفروض ان تُعاد

صياغة كل بند كَبَتَ الشعب وسرق قوته، كان الدستور السابق يقيض الشعب بأمواله مقابل حريته، كان مقصد كل بند فيه يقول للشعب "اعطنا حُرّيتك كي نمنحك العيش"

تداولت الحديث مع طلبتي كي امنحهم حق التفكير والبحث، ومن خلال الحديث ...

قال احد الطلبة: ارى بأن الحزب الليبرالي احق بالحكم، فالشعب ذاق المُر من الاحزاب الدينية، ولا سيما وانا رأينا كيف اكتظت الكنائس والمساجد بالسلاح حال سقوط النظام، الفترة القادمة تُقلقنا اكثر من السابقة، لأن في السابق كان الدين من اجل كسب ود الناس للحاكم الذي كان يحكم وفق مجلس يُشرع القوانين الوضعية مغطاة بالدين من اجل سرقة الشعب فحسب، اما الان، اذا حُكمت الاحزاب الدينية المتطرفة للدين فعلاً وكان تكوينها لأجل دين او مذهب معين فأنها ستحكم وفق كُتبتها ولن ترضى بالقانون الوضعي، حينها سيتوجب علينا الالتزام بكتبتها القديمة التي تنافي بعضها البعض وكل دين فيها يُكذب الدين الذي قبله والذي جاء بعده"

كان كلامه منطقياً، انه يقيس الظرف الحالي بالسابق، ان استمر تكتل لأفراد الشعب وفق الدين فأن الامر سيكون العن من الحكم السابق، ولكنه نسي ان يقول ان هذا الشيء بديهي، لأن في المجتمعات العربية يكون من المعيب ان يكون الانسان لوحده دون ان ينتمي لشيء يشعره بالقوة او العزة، هكذا نشأت المجتمعات العربية منذ قرون، ما ان يتفكك اي تكتل فيها بغض

النظر عن حيثيات تكوينه قبلية كانت او عشائرية او دينية او مذهبية او عرقية او قومية إلا ونجدهم يتبنون اسماً جديداً لتجمع جديد. خلال نقاشنا، ذكر احدهم اسم (احمد)، تحدث عن شجاعته في اشعال فتيل الثورة، وفي تحفيز كافة فئات الشعب على التظاهر في اليوم التالي، ذكرت طالبة اخرى بأنها كانت تراه في تجمعات الحزب الليبرالي، من خلال ذلك سألت الطالب الذي ذكر اسم (احمد) عن مصيره واين هو الان؟ اجابني بأن الكل لا يعلم.

فكرتُ إن كان مُعتقلاً في السجون السياسية فأن الجيش قد اخلى كل هذه السجون ولم يعد هنالك إلا من كانت عليه تهمة جنائية، ورغم ذلك امر القائد العام للجيش بالتريث بأحكام الاعدام لتدقيق كل الاحكام التي صدرت في الفترة الاخيرة والتي جاءت مُترامنة مع حملة الاعتقالات التي طالت كل المعارضين منذ بدء الانتخابات وصولاً الى شجاعته، وبالتالي، فمن المؤكد انه على قيد حياة، ولا يريد ان يظهر الان لأن السجون قد تم اخلاؤها خلال يومين بعد الانتفاضة بعد ان انهزم الرئيس ووزراؤه على متن طائرة واحدة للخلاص من انياب الشعب التي نوت اكل لحم جسده، ولكن اين يمكنني ايجاده؟

اشتقتُ لأجلس مع (سارة) في المقهى الذي اعتدنا على ارتياده منذ الصبا، بقينا نحن ولم يبقى هو، تم غلق المكان من قبل صاحبه دون أن نعلم السبب، حددنا مكان اخر والتقينا فيه، كنا سعداء جداً، كنا نلتقي نحن الاثنتين والان اصبحتنا ثلاثة، جلبتَ معها (قمر الصغيرة) لتلعب حولنا، تكلمنا

عن ما فاتنا من حديث، حدثتها عن ما مر بي، حدثتها عن كل الآلام واليأس الذي احاط بي، كنتُ على وشك الموت لولا (يعقوب) الذي وهبني السماء إياه.

جاء النادل وقدم لنا القهوة ..

سألني (سارة): أتذكرين قهوتك القديمة، كنت لا توافقين ان تسمى (قهوة) إلا ان كانت ذا مذاقٍ مُر، عدلتِ عن رأيك لأجل الحُب ؟

اغلقتُ عيني، استحضرتُ ذلك الموقف الذي لم يغيب عن خاطري ابداً، ما اجمل ذكرياتنا، ظلمتهُ كثيراً، كما احببتهُ كثيراً، انا بحاجتهُ الان، بحثتُ عنه والندم يُرافِقُنِي الى كل مكان، لم اسمع عنه سوى الإشاعات، لم اعرف لهُ طريقاً.

حين جاء النادل نظرتُ الى وجهه، ابدى وكأنهُ مألوفاً لي، قدم لنا القهوة وذهب، وانا اتبادل الحديث مع (سارة) تذكرتُ انه كان يعمل في مطعم (زياد)، رأيتُه هناك في اخر لقاءٍ لي مع (زياد)، هو الذي جلب القهوة الى (زياد) بعد ان اسكبها على الارض بسبب غضبه، حين كُنّا ننصت الى الاخبار العاجلة في التلفاز، انا متأكدة من ذلك.

ناديتهُ، وقف بالقرب من طاولتنا ويده خلفه ..

سألتهُ: متى باع السيد (زياد) مطعمه؟ هل تعلم الى اين سافر؟

اخبرني بأن (زياد) قد قُتل !!

لم اكن اتوقع ذلك، تألمتُ كثيراً، اخبرني بأن (زياد) قُتل وسط ظروف غامضة، كان عائداً الى منزله بعد منتصف الليل وقد اصطف بسيارته بالقرب

من منزله، سُمعت بعدها اصوات اطلاق نار، خرج الجميع فوجدوه يلتقط انفاسه الأخيرة، لم يتمكن من قول شيء.

لم يخبرني عن السبب، بل حتى انه اخبرني عن تفاصيل الحادث لأنه يعرفني ويعرف علاقتي الوطيدة (بزياد)، شاهدي اكثر من مرة وانا ازوره، اخبرني بأن كل من حولهم لا يتكلمون في تفاصيل الحادث لأن اسباب مقتله غامضة، وظل ذويه يتهمون اي شخص يتكلم عن تفاصيل الحادث، كانوا يتهمون كل من يملك معلومات حتى وإن كانت غير صحيحة لأنهم بحاجة الى (المتهم) يجيب على استفساراتهم.

منهم من قال ان سبب اغتياله هو كثر الوفود الحكومية التي كانت ترتاد مطعمه، وبسبب نجاحه في الآونة الاخيرة كثرت بحقه الاشاعات بأنه من احد الاعضاء المهمين في الحزب الحاكم، فأراد البعض قتله كما قتلوا الكثير من قياديي الحزب الذين لم يتمكنوا من الهرب بعد الانتفاضة، وقال البعض الاخر بأن الذي قتله هو من ذوي النادل الذي تشاجر معه (زياد) واتهمه بأنه سرقه للانتقام لأبنهم الذي تم الحكم عليه بالسجن لمدة سبع سنوات، اخبرني ايضاً بأن ذوي هذا النادل سبق وأن جاءوا إليه وقدموا له اموالاً بقدر ما ادعى انه سُرق منه، ولكنه رفض.

رحل (زياد) وانا كنت على امل ان القاه، ظننتُ انه رحل الى مدينة اخرى، ظننت انه ابتعد عن العاصمة بسبب الفوضى التي حلت بها، لم اظن انه رحل عن الارض بأكملها، كنت ابحث عنه على الارض والامر يتطلب فتح

ازرار السماء، حتى قبره لم يعد في العاصمة، اخبرني النادل بأن اقاربه اخذوه ودفنوه عند مسقط رأسه بعيداً عن العاصمة.  
صديقي العزيز، افتقدك وافتقد كل يوم قضيتك معك، لك رحمة الرب وغفرانه.

بعد ان استولى على مقر الحزب السابق، اصبح للحزب الليبرالي مقراً كبيراً وسط العاصمة، كنت ارتاد ندواته ذريعة لقاء بعض الاصدقاء لأبحث عن (احمد)، كان هنالك العديد من الصحفيين الذي كانوا يكتبون المقالات في الجريدة التي كنت اعمل بها في السابق، سألت عنه ولم يجيبني احد، الجميع كان يجيبني بأن لا احد يعلم عنه شيئاً.

البعض يقول بأنه اختفى لأن اتباع الحزب السابق يرومون لقتله ولاسيما وان لا زال لهم نفوذاً قوياً من خلال الاغتيالات ومحاولين العودة الى دفة الحكم، البعض الاخر كان يقول أنه قُتل وخفيت جثته، اخرون قالوا بأنه اختفى لحين اعلان موعد الانتخابات وان مسألة اختفائه ستزيد من التساؤلات حول موقفه وبالتالي سيزداد شهرة بالاضافة الى الشهرة التي اكتسبها حين اشعل لهيب الثورة، ليرشح نفسه في الانتخابات بقوة.

سعيًا للبحث عنه، قدمت طلباً للانتماء الى الحزب الليبرالي، بدأت احضر كل الاجتماعات والندوات التي ينظمها الحزب الليبرالي بعد ان انضوت تحت مبادئه كثيراً من الاحزاب حديثة التشكيل والمؤمنة بالعلمانية، كنت احضر الى كل ندوة قبل ساعة من بدء موعدها واغادر بعد ان تنتهي بساعة، لم يظهر (احمد)، كنت ابحت عنه بين حوارات الحاضرين، بين كلامهم لو

تشااوروا فيما بينهم، حتى وان تكلموا همساً فأني أهم بقراءة حركة شفاههم للبحث عنه.

رأيت ذات يوم رئيس تحرير الصحيفة التي كنت اعمل بها، القيت التحية عليه بلهفة اكراماً للدور الذي اهداه لي عند استقالي من العمل في تحرير الاخبار السياسية، تقبل تحيتي بكل حرارة، سألي عمّا مررت به بعد استقالي من الجريدة، حدثته عن ما جرى بشكل موجز.

كان لقاءنا قبل بدء الندوة بقليل، اضطررنا الى انهاءه على عجل ... وانا أضافه، قُلت له: انا بحاجة الى التكلم معك بشأن موضوع ما، يسعدني لو سمحت لي ببعض الدقائق بعد انتهاء الندوة.

اجابني: بكل سرور يا قمر، كوني بانتظاري.

التقيت به بعد انتهاء الندوة، تكلمنا في بادئ الامر عن اهداف الحزب وخطته المستقبلية ولا سيما وان الكل على اهب الاستعداد للانتخابات وعلى اهب الحيرة من المرشحين وكيف سيتم اختيارهم، طال الحديث بيننا حول المميزات والمساوى للتحالفات مع الاحزاب وما الاثار التي ستطرأ على استراتيجية الحزب بعد هذه التحالفات، وماهية الخطر بين تبنيهم للعلمانية الحقيقية و بين اتخاذها ذريعةً للترشيح الانتخابي، منتهزين فرصة بغض الشعب للأحزاب الدينية من جراء تجربتهم الاخيرة والذي اخذت من تاريخ الوطن المعاصر عشرات الاعوام.

كانت لدي بعض الخطط تكلمت معه بشأنها، اخبرته بأني اود ان اقدم للحزب بحوث مصغرة بصدد ما ذكرت، وبأمكان الحزب الاطلاع عليها كما

بأمكنني مناقشة الحلول التي وضعتها من اجل النهوض بالواقع الحالي طمعاً في مستقبل يخلو من الاخطاء.

هنالك العديد من الاخطاء ارتكبها ويرتكبها اعضاء الحزب حالياً وكأنهم واثقين من انهم سيكتسحون الانتخابات بأغلبية ساحقة، اكثرهم يحاولون كسب ود الشعب من خلال انتقادهم للأديان او السخط من اعتناقها، انهم يبتعدون كثيراً عن المنهج العلماني، هم الان يتحالفون ويقبلون عضوية أيّ كان ظناً بأن كثرة عددهم سيمنحهم اصواتاً في الانتخابات المقبلة، هذا الحزب قدم كثيراً من التضحيات على مدى سنوات، يجب على قياداته الان وضع الأسس الصحيحة لبناء دولة وليس الاتكال على الحقد بين التدين والكفر.

في الامس، رأيت احدهم يعتلي منبر الندوات ليقول: "ان من أسس الايمان بالليبرالية هو الكفر بكل الاديان" لكنه نسي انه يوجد هنالك ليبرالية مسيحية وليبرالية اسلامية وليبرالية يهودية ظهرت ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

وانا اتكلم معه لم تفارق الابتسامة وجهه، عند انتهائي من ما وددتُ قوله وضع يده على كتفي ..

قال لي: انا فخورٌ بك، تأكدتُ من انك مُتميزة منذ ان كُنت اطلع على نصوص الاخبار التي تُحررينها، تمتلكين العديد من مراكز قوة في مخيلتك السياسية، كانت وما زالت لك نظرة تحليلية منطقية في قراءة المستقبل السياسي، هل تعلمين منذ ان غادرتِ الصحيفة وانا احدث كل من شغل مكانك عنك؟ كنتُ أعلمهم الاقتداء بك، كنتُ اقول لهم دوماً ان الانسة (قمر) تتحرر الاخبار من



دون الانتماء، كانت تستقرأ الحدث لتنشره بشكل خبر دون الاعتماد على التأويل الاعلامي، ولكِ الفضل الكبير في زيادة مبيعاتنا رغم وجود القمع انذاك، بفضلكِ لم تتمكن الحكومة السابقة من اتهامنا بأننا نميل فكرياً الى المعارضة.

قلتُ له: قبل كل شيء انتَ استاذنا في العمل الصحفي، ولكنني ارى بأن العمل الصحفي يجب ان يكون خالياً من التفاؤل والتملق، كثيراً ما نرى التفاؤل يقتل الصدق في العديد من الاخبار، وكثيراً ما نرى عنصر التفاؤل يضع المواد المُخدرة في عقول الشعب، لأنه يُترجم الحدث او التصريح السياسي للمسؤولين في الحكومة بما يراه في مصلحة البلد، حتى وان كان الخبر عن انتاج مفاعل نووي وسط العاصمة، ما يلبث إلا وان يضيف في خبره ويقول "عسى وان يكون هذا يصب في مصلحة البلد في المستقبل" اما عن التملق فهو الاخر نشأ مع نشوء المحاصصة الصحفية، ومن خلاله اعتمد الكثير من الصحفيين على التملق من اجل اعلاء شأنهم، او لكسب الود الحكومي من اجل الهدايا المادية من جهة او لدرء مخاطر الاعتقال من جهة اخرى، في بلاد العرب يجب على الصحافة ان تأخذ دور الاشعة السينية في كشف الحقائق، ان يكون تحرير الخبر خالياً من الزيف، فالزيف في الخبر ذاته يكفي ليُخَيب امالنا.

قال لي: قمر، ارجو منك عدم الاعتراض لو تم ترشيحك من قبلي لترأس احدى اللجان الخاصة بالحزب، أننا بحاجة اليك ضمن قيادات الحزب، سُنحدد في القريب الاجل الاعضاء الجُدد للمجلس التنفيذي ورؤساء اللجان الخاصة

بالحزب، سأرشحك بنفسي لرئاسة اللجان الاعلامية، نحن بحاجة الى عقلية فذة كعقليتك، فضلاً عن كونك تستحقين ان تمثلي الحزب الذي بات اكبر حزب في بلاد، سيزداد عدد المنتمين لنا اضعاف لو انصتوا الى كلامك، تقبلي تحييتي، وآمل أن نلتقي في وقت قريب جداً.

وهو يضافحني ليذهب تشبثُ بكف يده، لم انفك عن مصافحته ...

قُلْتُ له: سيدي الفاضل كل املي منك ان تجيبني، اين (احمد)؟ ارجوك، لا تقل لي بأنك لا تعلم كعامة الناس، انت على علاقة شخصية به بالاضافة الى العلاقة المهنية التي تربط بينكما منذ ان كان ينشر مقالاته في صحيفتكم، انت من القيادين البارزين في الحزب، من المؤكد انك تعلم، اين هو؟

اجابني مبتسماً: لا تقلقي، هو على قيد الحياة وبصحة جيدة، وكل قيادات الحزب مهتمة به، إلا اننا نمنعه من الخروج حفاظاً على سلامته، في الحزب العديد من الوجوه الجديدة والعديد من الاحزاب التي تود الانضمام لنا، وانت ترين التحالفات على كل قدم وساق، نحن لا نعلم مصداقية المنضمين لنا لأننا لا زلنا في فترة الانتصار وانت تعلمين ان المُنتصر في بلاد العرب يُحاط بالاتباع بغض النظر عن ماهيته، الالتفاف الذي حولنا الان يخيفنا، (لأحمد) الفضل الكبير في هذا الانتصار، لولا شجاعته لما قامت الثورة، الكل يريد منه الانضمام إليه، اصبح (احمد) بطلاً ثورياً يستحق كل الاحترام والتقدير والشُّهرة، ولأننا نخاف عليه وضعنا عليه الحجر لنضمن سلامته الى ان يكون الحزب على بينة من تكتلاته الجديدة، ونعلم من كان يؤمن بتطبيق العلمانية ممن يدعيها، لا تقلقي، سيُخرج في الوقت القريب، سيكون رمزنا، ستعتلي

صوره شعاراتنا، (احمد) شجاع واثار وصادق في حبه لوطنه، لا من اجل مصالحه الشخصية، انت تعرفينه حين كان ينشر مقالاته في صحيفتنا انذاك، اعتقد بأنكما التقيتما مرة او مرتين، ولكنني متأكد بأنك ستعجبين به لو تحدثت معه، انه انسان يستحق التقدير.

يتمنى لي لقاءه !! لا يعلم بأنه رثي أيامي، لا يعلم بأنه لو دَلّني على مكانه الان فأني سأجثو على ركبتي من موقعي هذا لأذهب إليه ندماً، كان يظن بأنني ابحت عنه كثائر، لا يعلم بأنه (رفيق الروح).

قلتُ له: ألا تدلني على مكانه او رقم هاتفه؟

قال: سترينه يا قمر، لا تقلقي، يتطلب الامر بضعة ايام ليسترد صحته، سيكون وسطنا، بل سيكون قائدنا.

قلت: هل اصابه مكروه؟

قال: كلا، انه سليم ولكنه تعرض للاعتقال والسجن لأيام، تعرض منزله الى الاعتداء والحرق، اصابه بكدمات من جراء التعذيب، الجيش الذي انشق عن الحكومة احتاج الى ايام ليتمكن من الافراج عن السجناء السياسيين الذي قبعوا في سجون سرية كان من الاستحالة الوصول لها.

رن هاتفه المحمول، وهو يخرجهُ من جيبه ابتسم وحرك حاجبيه تعجباً..

قال: استأذُنك لدقائق، لدي اتصال مهم من (هشام) احد اهم الثائرين مع (احمد)، اكن له كُل الحب.

قلت له: هل تقصد (هشام ال حاج)؟

قال: نعم هو، أتعرفينه؟

قلت: نعم اعرفه.

اتصل (هشام) ليخبره بشيء، لم يتكلم به امامي، اجابه بكثرة بكلمة (نعم)، وقبل ان لا ينتهي الاتصال طلبت منه ان احادثه، اعطى لي الهاتفف.

قلت: كيف حالك يا (هشام)؟ حمداً للرب على سلامتكم.

قال لي: شكراً لك، من انت؟

قلت: انا (قمر).

قال: قمر!! كيف حالك؟

التفتُ قليلاً لأتكلم معه بصوتٍ منخفضٍ ودمعٍ عال ....

قلت: لستُ بخير، انا بحاجة الى رؤية (احمد)، اين هو الان؟ اعطني عنوانه؟

هل هو بخير؟

قال لي: لا تبكي، هو بخير الان، سأخبره بأنك تودين الاتصال به.

قلت: المهم ان يكون بخير، سأنتظره قدر ما استطعت، ارجوك اخبره بأنني

بأنتظاره.

قال: لما خذته يا قمر؟ ظل يهذي بأسمك في كل ليلة، ولكن لا تقلقي،

سيفرح كثيراً حين يعلم انك رجعت الى الوطن، وسيفرح اكثر حين اخبره بأنك

بأنتظاره.

قلت: هل يمكنني التحدث معه الان؟

قال: كلا، هو ليس بقربي الان، سأكلمك انا شخصياً، دوني رقم هاتفني الان.

اخرجتُ من حقيبتي اليدوية قصابة ورق وكتبتُ رقم هاتفه، اعدتُ كل شيء

الى حقيبتي حال ان انهيت اتصالي به.

فرحتُ جداً، هو على قيد الحياة، تلك الكلمة التي كانت تُخيف صحوي ومناهي، تخيف احلامي وتمنح لكوابيسي وقتاً كافياً لتسحق امنياتي للقائه، مر وقت مُر، كنت على وشك ان اعود الى المخدرات لولا ان الرب انقذني بهذا الخَبر، ها هو القدر يعيد لي الامل، ها هو يهبني الفرح، سأنتظره براحة الظن. انتظرتُ لأيام ثم اتصلتُ بالرقم الذي زودني به (هشام) لم يجيني احد، بقيت على قيد الانتظار بقلق اقل من السابق.

لم اتصل مجدداً شعرتُ بأنه لم يعد يريد لقائي كما لم تعد انوثتي كما كانت، لم يعد جمالي كما كان، انا بحاجة لأشعر بأنني أنثى، انا بحاجة الى كلمات غزلهُ ذات المقاصد الحادة وهي تنحت تفاصيل جسدي لأكون مثيرة.

كانت كلماته لا تفوق نظراته غزلاً، خصري بحاجة لنظراته، انا بحاجة الى تلك القشعريرة التي كانت تنتابني حين يلمسني، انا بحاجة الى الظنون التي كانت تساورني حين يقترب مني، حين كنتُ اتسأل، أترأه سيُقبلي أم لا؟

منذ ايام قلائل عدتُ انظر الى المرأة التي بغرفتي، مضي الكثير وانا لم انظر فيها، عدتُ اصنع الضفائر، عدتُ استذكره وانا اصنع ضفيرة ما قبل النوم، منذ ان علمت بأنه سيعود وان ارى ثيابي تتراقص فرحاً في خزنتها، منذ ان انتهت تلك العقاقير التي وجب علي تناولها بعد العملية، عدتُ اجمع مفاتيح جمالي بعد ان بعثرها القدر.

رفيق روجي .. متى ستعود؟

ارجع فالقلب بعدك ادمتهُ المواجه

ارجع فجسدي بعدك بات اسقَم

تطلب انتظاره ايام اكثر، استغرقتُها في اعداد الافكار التي نويت ان اقدمها للحزب، اجتهدتُ لساعات متواصلة، قررتُ عدم تقديمها إلا بعد ان ارى (احمد).

ذات ليلة، كانت روحه تُهيم من حولي، كنت كل بضعة دقائق التفت لكل شيء حولي، اشعر بأنه بقربي، وكأنه يضع يدهُ على كتفي لأعيره اهتمامي، لعله يعود لأنحر كل ما تبقى لي من ايام تحت اقدمه، حتى يُسامحني، انحرهُ لأتقرب من غفرانه كما يفعل المسلمون في عيدهم الاضحى.

اتصل بي (هشام) في وقت متأخر، تجاوز عندها الليل منتصفه بقليل، سألتني على عجل ان كنت استطيع الخروج، قال ان (احمد) بانتظاري عند الشاطئ، منحني من الوقت عدة دقائق للذهاب إليه، وإلا فإنه سيغادر لأنه على عجلة من امره.

من الخوف الممزوج بالفرح، لم اعد قادرةً على المشي، كان الموقف صادمًا، هممتُ بالخروج مُسرعة، امتلكتني الرعدة، لم اقوى على قيادة سيارتي، استأجرتُ سيارة أجرة.

توجهتُ باتجاه مقعدنا بخطوات تتعثر في بعضها البعض، رأيت (احمد) جالسًا، بدى غريب الهيئة، يرتدي نظارات كبيرة بعد منتصف الليل، كانت ثيابه سوداء اللون.

وقفْتُ خلفه ولم يلتفت لي ...

وقفْتُ خلفهُ ارتجفُ ندمًا، فرحًا، خوفًا، لم اعلم ماهيةُ المشاعر وقتها ...

قلت بصوتٍ مُنخفض: هل انت (احمد)؟

اجابني بصوتٍ هادئٍ: أنسيّتِ ليل لقائنا؟ ام تشابهت عليكِ الليالي؟  
لم اقوى على الوقوف امامه، جمعت كل التعب الذي انبني في غيابه لأصنع  
منهُ عكازاً وأتكأ عليه، جمعت كل غيوم الرجاء لتمطر العطف في طريقي،  
غزِلْتُ من خيوط الندم شالاً وارتيديته لأقف امامه.

تقدمتُ خطوات من خلفه، لأقف امامه ..

رأيتهُ بذقنٍ طويل و جسد نحيف جداً، لم يكن كهيئته السابقة ...

قلت: كيف حالك يا حبيب القلب والروح والجسد؟ اشتقت لك بحجم  
السماء، حمداً للرب لأنك معافي.

قال: لمّا تبحثين عني؟ هل تودين جرحي مرةً اخرى، جرحتي مرة وهذا كافٍ.

تقربتُ منه، لم يقف لأجلي، لم ينظر لي، التفتت الى جهة مجهولة، شرد  
بعينه بعيداً من عيني، رأيتهُ يضع على يده اليسرى ضماداً ....

جلستُ على يساره، قلت بتهيدة بكاء: حبيبي، ماذا حصل لك؟

قال بنبرة العتب: انتبهي لكلامك، انا غير لائقُ بكِ، انا مُسلم.

نبرة صوته وكلماته آلمت بي، كنتُ اتوقع انه لن يغفر لي.

جلستُ بقربه ونظرت امامي الى البحر، هجستُ له بأن يقول له عما افصحت  
عنه حين جلبني الوفاء إليه وحيدة ...

عُدْتُ والتفتُ له، قلت: انا بحاجة الى ان تفهمني، مررتُ بظروف قاسية،

انصت لي لدقائق وسأخبرك بكل ما حصل، لم اهجرك، كنت بحاجة الى ان

اجري عملية زرع صمام في القلب، كنت على شفى حفرة من الموت، كنت لا

اريد منك ان تضحي من اجلي.

التفت لي بدهشة، قال: لما لم تخبريني؟

انهمرت دموعي، بكيت لأنني لم اصدق انه سينصت لي، بكيتُ اكثر حين رأيتهُ يلتفت بصعوبة، كان غير قادراً على الحركة، التفت الي كما يلتفت شديداً والعوق.

قلت: احمد، ما الذي جرى لك؟ اخبرني؟ هل انت مُصاب؟ لم تضع نظارة على وجهك؟ هل تعرض وجهك لكدمات؟

قال: مررت بأيام صعبة، شهور من العذاب، عام مُر بلا الايام، لما هجرتني؟ هادئةً كالسُم وهو يحتاج جسد المغدور، اخبرته بما حصل، اخبرته كيف تعرفت على مرضي، كيف كانت وصايا الاطباء، هم منعوني منه وليس انا، حذروني من الحب، حجروا عليّ بين جدران اليأس، حدثته عن (يعقوب) وعن ما فعلهُ لأجلي، لولاه لما منح الاطباء لقلبي تراخيص العشق، حدثته عن السجن الذي قبعتُ به نفسي حين خذلته، حدثته عن ادماني على المخدرات، حدثته عن فترة علاجي في مستشفى الامراض النفسية، حدثته عن ألم الصدمات الكهربائية في الدماغ، حدثته عن ايشع انواع الانهيار، حدثته عن اعصار اليأس كيف ضرب احلامنا، حدثته حتى رأيت دمعة على وجنته، حدثته حتى صدقني.

قال: وعدتك بأنني لن اتخلى عنك، لما تخليت عني؟ اتفقنا على ان نحمل الفأس ونحطم كل الحواجز التي تعوق عشقنا، لما قلت لي ان الامر محال لأنني مسلم؟ كنتُ على وشك اعتناق دينك لو احببت.



كان على ظُهور كلماتي ان تنحني امام سوط عِتابه، وأن تتحمل الالم حد الغفران ..

اجبته: أنسيت كلامنا؟ أنسيت الليل الذي جمعنا هنا؟ انظر الى اثار غزلنا حول هذا المكان، انا على قيد حبك استمر بالحياة، لم اكن على قيد الحياة في غيابك، صدقني، لو أني قمت بزرع صمام قلبي الضعيف هُنا لما التقينا مُجددًا، جميع اطباء هنا قالوا لي من المحال ان انجب طفل، هممتُ على قتل نفسي عدة مرات بعقاقير الادمان لولا ان (يعقوب) انتشلني من الضياع ليُعيدني إليك، اعادني الى الحياة.

لم يجيبني بشيء، بدت ملامح الحزن على وجهه، كنت اراه بصعوبة بسبب كل غبار الألم الذي عليه ...

قُلت: ستغفر لي خطيئتي، أليس كذلك؟ صدقتني؟ مستعدةٌ لأن أُريك كل تقارير المرض خاصتي لأثبِت صحة كلامي، انا بحاجة إليك، انا على الارض لأنك تستنشق هواءها، انا احبك.

تحرك من جلسته لينهض، قال: عليّ الذهاب الان، تأخرتُ كثيرًا، رُفقاؤي بانتظاري.

مسكْتُ ساعد يده اليُسرى، قلت: لا ترحل، لا تتركني من دونك، انتظرتُك اكثر منهم، مضى اكثر من عام وانا ابحث عنك، لم انساك قط.

نظر الى يدي وهي تتشبث به، رأى الخاتم لا يزال في ذات الاصبع الذي وضعه لي، شعرتُ بأنه يتألم، كنت امسك يده بقوة وهي تؤلمه، كان عليها ضماداً سميك ..

قلتُ: اسفة، تسببت لك بالأذى.

قال: كلا، شعرتُ بقليل من الندم، لم اتوقع هذا الوفاء منك، لا زال الخاتم في يدك.

رفع يده اليمنى و مسك خِصلة شعري، نَظَرَ في عيني وانا لا ارى عينيه، احتضني، اخرج الروح من جسدي ووضعا على كتفه، عانقتهُ بكلتا يداي، تلمست صدره، شعرت بوجود ضماد اخر يلتف حول كتفه وصدره، شعرتُ به يتألم وانا اعانقه، هدأتُ من روعة عناقِي، هذا العناق الذي اعاد لي نشوة كأس الكحول عند السابعة صباحاً، كنت احرك رأسي لأستشعر ما يتسنى لي من كتفه، كنت على وشك ان اغفو، يا ليت ان يكون صدرهُ مثواي الاخير.

بعد ثوانٍ، سمعتهُ يتكلم مع شخصاً من على بُعد امتار، استغربت من وجود احداً بالقرب منا ولم نشعر به، رأيت عدة اشخاصٍ يحيطون بنا من مسافات بعيدة، اوعز له بأن يبقى بعيداً فلا شيء يدعو للقلق، سمعتهُ يقول (لأحمد) ان الوقت تأخر وان عليهم الذهاب، اخبرهُ بأنه بحاجة لمزيداً من الوقت وانهم سيعودون قبل طلوع الشمس.

ابتعدتُ عنه قبل ان اکتفي من عناقهِ، عُدت كما كنت اجلس ...

قلت: من هؤلاء؟

قال: لا تقلقي، هم برفقتي، يراقبونني من بعيد من اجل حمايتي، علينا ان نعود قبل طلوع الشمس، الحزب يمنعني من التكلّم مع احد او الظهور في الاماكن العامة لحين موعد الانتخابات، سيتم ترشيحي في الانتخابات لأمثل الحزب

الليبرالي بأكمله، بعدما كنت احلم بتشكيل جبهة صغيرة تضم اصدقائي ومن كان يتابع مقالتي فقط، الان اصبحت مشهوراً أكثر ما كنت اتوقع.

قلت: لما خاطرت بحياتك؟ كيف تجرأت على حرق مقر الحزب الحاكم؟

قال: حصلنا في الانتخابات الاخيرة على اصوات بنسبة اثنان بالمئة من مجموع اصوات الشعب بأكمله، في حين ان احصائيات جبهتنا لوحدها كانت تفوق هذه النسبة، فما بالك بأتباع الحزب الليبرالي بأكمله ونسبة غير المصوتين الذين عرفنا نسبتهم عند غلق مراكز الاقتراع، كانت نسبة المشاركة في الاقتراع لا تتجاوز الاربعين بالمئة، كان هنالك اجحاف بحقنا وبحق عموم الشعب في تشكيل الحكومة، بعد ايام من اعلان النتائج اعلنت الحكومة انفرادها بتشكيل حكومة وهي مُشكلة اساساً ولم يتغير فيها شيء، طلبتُ من الجبهة خصوصاً ومن الحزب عموماً بأعلان العصيان المدني في عموم البلاد من اجل ان تتوقف دوائر الدولة عن العمل وبذلك سيكون الطريق يسيراً من اجل اعلان الثورة، شهد الاسبوع الاول نزول الكثيرين الى الساحات العامة من اجل اعلانهم للعصيان المدني ولكن الامر لم يلبث ألا وان انتهى بحظرٍ للتجوال واعتقال كل من سعى لذلك، اخبروني خلال هذه الايام بأن الحكومة اصدرت اوامر بالاعتقال بحقي وبحق الكثيرين من قيادات الحزب، فكرت حينها بما تبقى لي من هذه الدنيا، رحلتِ انتِ وتركتني، خسرتُ اهدافي ولم اعد افكر في تحقيقها، عاد الشعب امام القمع ليمنح ثقته بالحكومة، قل عدد المنتمين لحزبنا، ايقنتُ بأن مصيري هو السجن، قمت بحرق مقر الحزب لينتفض الشعب، تناقل الامر سريعاً على شبكة الانترنت وما لبث

الامر إلا عدة ساعات وخرجت كل فئات الشعب الى وسط العاصمة، اغلقوا كل الطرق واجبروا الجيش على ترك السلاح.  
قلت: كيف تم اعتقالك؟ من حرق منزلك؟  
بقي ينظر الى البحر ويحادثني، لم ينظر لي ...

اكمل قائلاً: بعد ان ثارت الضجة ونزل الجميع الى الشارع اصبح امر اعتقالهم صعب على الشرطة، كنا قد اعلمنا اتباع الحزب من خلال الاتصالات الهاتفية والرسائل البريدية على وجوب النزول الى الشارع والتجمهر حول مقر الحزب في ساعة الصفر للعملية التي اعدنا لها، كان معي العشرات من رفقائي في الجبهة ولكنني كنت الوحيد الذي رميت الزجاجات المحترقة على الحزب، كان امر خروجي منه صعب، تم اعتقالي على الفور، بقيت في المعتقل، بادروا على تعذيبي كي اشي لهم بما يخطط له المخرين بحسب تسميتهم.  
توقف عن الكلام، شعرت بأنه يتألم كثيراً ...

قلت له: ألم يعتقلوك من المنزل؟ اكمل لما توقفت عن الكلام؟  
قال: كلا، بعد اعتقالي حرقوا منزلي، تعرضتُ لكثير من التعذيب، تألمت كثيراً، خسرتُ الكثير، لغاية الان ارقد في مشفى صغير في احدى المدن الشمالية لأتلقى العلاج، تمكن افراد الجيش بعد سقوط النظام من ايجادي بصعوبة، كنت في سجن تحت الارض، كنت انام على الارض السجن والحشرات تتغذى على اللحم المتهاالك على جسدي وانا غير قادر على ابعادها عني، سأجعلهم يدفعون الثمن غالباً.

قلت والخوف يكاد يخنقني: ماذا فعلوا بك؟

وكأنه نادماً ...

قال: النصر بحاجة الى تضحية تفوق وزنه وحجمه وانا ضحيت بالكثير، تمنيت ان يتم قتلي ليثور الشعب، اردت الموت لخسارتي الشديدة، ولكن، حصل ما حصل.

تألّمت معه، تألّمت عن كل كدمة طالت جسده، تألّمت بذات الالم حين عانقته، تمنيت لو انني اتمكن من انتشال كل ما يؤلمه لأضعه في جسدي حتى يعود لأناقته و وسامته وهيئته الاولى، كان عليّ ان اضع في خاطره كلمات لتهدون عليه، كيف وانا اتألم بقدره، لا بل انا عدت لا اتمالك دمعي، لم يتوقف دمعي منذ ان بدأ بالكلام.

قلت: لا تحزن، تضحياتك اصبحت مناراً ينير درب كل مُضطهد للأيام القادمة، الوطن وكل ما على هذه الارض لن ينسوا لك تضحياتك، ألم ترى صورك وهي تملأ مداخل الشوارع والساحات العامة؟ انا فخورة بك، فخورة بتضحياتك وشجاعتك كما الاخرين، حتى انني انتميت الى الحزب الليبرالي تيمناً بشجاعتك، اصبحت احضر كافة ندواتهم واجتماعاتهم، أعددت عدة برامج انتخابية وخطط سأعرضها على المجلس التنفيذي، لن اقدم أي شيء إلا من خلالك، سأطلعك عليها اولاً، لأنك انت عندي اول كل شيء واخره.

تنفس الصّعداء، قال: عليّ الذهاب، سألقاك في وقت قريب، بضعة اسابيع، سأشفى من اثار التعذيب فحسب، امامنا الكثير من العمل، شكراً لأنك ما زلت ترتدين خاتمي.

ظل جالساً، وقفت امامه لأودعه ..

قلت: تركتُك مرة وافهمتُك الاسباب، اعدك بأنها الاخيرة، اقسام لك بكل وجع رأيتُه في غيابك بأني لن اكرر ما فعلته، احبك، سأنتظر عودتك، سأرافُقك كل درب تسير فيه، اعدك بذلك.

ابتسم كذباً، هز رأسه ليثني على كلاحي ...

قلت له: شكراً على القصيدة التي تركتها لي في الثاني من نيسان الماضي.  
ابتسم ابتسامة حقيقية ..

قال: هذا التاريخ مهم لدي، ولدتُ فيه لأجل ان احبك، هذا التاريخ يشبهك، لا يُنسى ولن يتكرر مرة اخرى.

قلت: منذ ان جلست والى الان وانا انتظركُ تخلع النظارة كي ارى عينيك، لم تشرق الشمس بعد، الشاطئ لا يزال شبه مظلم، هنالك ضوء لأعمدة الانارة فقط ولا اعتقد ان احداً سيراك، ارجوك اخلع نظارتك، انا بحاجة لرؤية عينيك، اشتقت لهما كثيراً.

لم يجيبني، انحنى رأسه الى الأسفل ..

قال: دعي عيني وشأنها، سنلتقي مجدداً وسنتحدث عن الكثير.

شعرتُ بوجود شيء، توقعتُ وجود كدمات قوية على وجهه، لَمَا لا ينظر ألي؟  
انحنيت وانتكأتُ على رُكبتيه لأنظر الى وجهه، رفعت النظارة من عينيه ...

رأيتُه بعينٍ واحدة !!!

جثوت على ركبتي، لم اصدق ما اراه، لم يكن وجهه، اين عينه، لم تكن وجنتاه الجميلتين، لم تكن شفاهه، اين جماله الذي كان تقشعر له ابدان

الحسن!!

الموقف صادمًا للغاية، سرقوا عينه اليمنى من وجهه اثناء التعذيب، لم يتبقى منها سوى مكانها الفارغ ...

رفع يده لِينادي على احد رفاقه، احتاج لأن يتكأ على احدهم لينهض، رحل وتركي جاثية على ركبتَيّ، وضع يده على كتفي ليهون عليّ ...

قال بنبرة الغضب: أترين ما انا عليه؟ اصبحْتُ انا الان لا اصلحُ للزواج، لكنني جئتُ لكِ لأنني احبكِ ولا أريد التخلي عنكِ، سأمنحكِ حق الخيار ولكنني لن اتخلي عنكِ حتى بعد ان اصبح وجهي مُقزراً.

خَسِرَ احدى عينيه من اجل مبادئهِ، كان يتكلم بندم لأنه اراد ان يُقتل وليس ان يعيش بعوق، فهمت ذلك من كلامه، مَنْ عَذَبَهُ كان مُلمماً بأنواع العذاب، اراد ان يأخذ منه اهم شيء وهو النظر، كي يزرع فيه الندم بدل الموت لأنه اشعل فتيل الثروة.

حزنتُ كثيراً لأجله، ولكنني لم اراجع عن موافقي اتجاهه، لم تتغير تلك النظرة التي احببتُه بها، سيظل في عيني وسيماً كما كان، سأبقى انظر لوجهه وارى ذلك الجمال الذي تغزلتُ به في هاجسي، سأعشقه اكثر، سأطلب منه ان نتزوج بأقرب فرصة، لن اتخلي عنه، لن اعيش ما تبقى من العمر بدونهِ، سيظل مهما كان (رفيق روحي).

مرت ايام، ازداد نشاطي في الجامعة، بدأتُ بأعلاء صوتي وانا القي مُحاضراتي السياسية، انجزتُ المقترحات التي وددت تقديمها الى الحزب، عدلتُ عن كل مقترح سلمي كُنت قد كتبتَه، بعد ان رأيتهم سرقوا عين (احمد)، خططت لسرقة ما تبقى لهم من ايام.

برفقة رئيس تحرير الصحيفة التي كنت اعمل بها تقدمت للحزب بعدة مقترحات، كنتُ قد تحاورتُ بشأنها مع (احمد) عبر الهاتف بعد ان اتصل بي ذات ليلة ليطمئن عني، هونت عليه، اخبرتهُ بأنني لن اتخلى عنه رغم كل ما حدث، وعدتهُ بأنني سأتغزل به عند اول لقاء لنا، سأمنحه عيني لو شاء، وكيف لا، وانا ارى من خلاله وجهي في المرآة.

كانت مُخطاطي الارض الخصبة لما كان ينوي عليه (احمد)، كنت قد اعددتُ مضاداً حيويّاً يخلص البلد من ازلام النظام السابق مع ضمان عدم عودتهم.

طلبت من المجلس التنفيذي للحزب ان يكون لقاءنا سرياً لأعضاء المجلس التنفيذي فقط، تقدمت لهم بنبذة عني وعن عملي، طلبتُ منهم ان يغلقوا باب الاشتراك في عضوية الحزب فوراً، طلبت ايضاً ان لا يمنحوا اي منصب داخل الحزب الى اي عضو تم الاشتراك بعضوية الحزب بعد قيام الثورة واولهم انا، حتى لا يُرشحني مديري في الجريدة لرئاسة اللجنة الاعلامية كما وعدني، طلبت منهم ان يرشحوا في الانتخابات المقبلة الاعضاء الذين ناضلوا بالفعل من اجل التخلص من النظام السابق والاطاحة به وان يتم ابعاد اي عضو عن الترشيح لم يكن لهُ نضال سابق، طلبت ايضاً ان يتوقفوا عن بث الاشاعات بأن الحكومة القادمة ستتشكل وفق اسس التكنوقراط فحسب، طلبت ان يمنحوا حق التصويت للشعب واختيار من يمثله، ومن البديهي ان اسس التكنوقراط هي التي ستكون الفاصل بين المرشحين، طلبت منهم ان لا يمنحوا اشتراك الحزب السابق من الترشيح للانتخابات، سيرشح من كان منهم



مؤمناً بمبادئ ذلك الحزب اللعين حينها سيقدمون لنا اسماؤهم واسماء اتباعهم، بعدها نقدمهم للمُحاكمة بتهم جاهزة من الان .  
اعترض احد اعضاء المجلس التنفيذي بصدد كلامي، سبق كلامه بعبارة اجابته نيابة عني ..

قال مُستهزئاً: ألا تُلاحظين بأن هذه شروط تنطبق عليكِ قبل الجميع؟  
اجبته: وهذا يثبت مصداقيتي، انا كسبت عضوية الحزب قبل فترة قليلة، انا هنا من اجل مصلحة الشعب، لا من اجل مصلحة، انا لا اتي الى هنا للحصول على امتيازات، اتقدم بهذه المقترحات لكم وانا بعيدة كل البعد عن اي ترشيح في الانتخابات، لي وظيفتي ومكانتي في المجتمع، لا امل ان يضيف لي الحزب اي شيء، انا هنا من اجل كل دماء سالت من اجل زوال النظام السابق، من اجل كل من ضحى من اجل هذا الوطن، قد اقترفت خطأ كبير حين فتحت ابواب الترشيح للحزب على مصراعيها وتحالفتم مع كل الاطراف بغض النظر عن ماهيتهم، هل تأكدتم من النشاط السابق لأي حزب تحالفتم معه؟ هل قدرتم حجم تضحيات كل حزب تحالفتم معه؟ هل درستهم ماهية الكفاءات التي بحوزته ما ان رشح معكم في الانتخابات؟ هل تعرفون انكم بحاجة الى ما لا يقل خمس سنوات لكي يضمحل خوف الشعب من قمع الحزب الحاكم واعتقالاته وثأره الذي لم تخلو من قصصه كل المقاهي الشعبية في هذه الفترة؟

ساد السكون بعد اسئلتى هذه، لم يجيبني احد، نظر رئيس المجلس التنفيذي الى الاعضاء وطلب منهم التصويت الان من اجل اغلاق باب الانتماء الى الحزب، حاز على الاغلبية في التصويت.

نظر لي رئيس المجلس وقال: هل من اقتراحات اخرى؟

قلت: كلا، ولكن لدي اسئلة اوجهها لسيادتكم.

قال: تفضلي.

قلت: ما هي ضوابط الترشيح للانتخابات القادمة؟ ما هي الشروط الواجب

توافرها في كل مُرشح يترشح عن الحزب؟

قال: انتِ على علم بأن حزينا على مدى اعوام عديدة تعرض للاعتقالات

والقمع، خسرنا العديد من الكفاءات والعقول الفذة في السجون السرية

للنظام السابق، الان لدينا ما يؤهلنا للترشيح في الانتخابات، نحن الحزب

المُعارض الاكبر على الساحة، وكل ما حولنا فتات احزاب، لم يتجرأ احدهم

الاعتراض مسبقاً بخصوص ابسط قرار حكومي، لن يكون لأحد الحق الاكبر

بقدرنا.

قلت: نعم، انت محق في كل ما قلته، ولكنك الان تعتمد على كُره الشعب

للأحزاب الدينية بنسبة كبيرة للفوز في هذه الانتخابات، بالاضافة الى ان من

اشعل الثورة هو احد المنتمين الى هذا الحزب وبسبب ذلك اصبحت

تضحيتُهُ بأسم الحزب واصبح بموجبه الحزب هو صاحب الفضل على

الشعب وانه الاحق في كل شيء ولولاه لما سقط النظام الذي كتم انفاس

حريتنا لعشرات السنين وتسبب برفاهية البعض وشرذم البعض بحسب مزاجية

الانتماء له ودفعتنا لبغض دول الجوار لنا وسوء علاقاتنا الدولية بسبب سياساته الخارجية الحمقاء، هل تؤيد ذلك؟  
قال: بالطبع، هذه حقيقة.

قلت: هل لديكم علم بما يدور الان في الشارع من توجه رجال الدين بمنع انتخاب اي عضو من حزبكم؟ لأن ذلك يخالف العقائد والاحكام السماوية، هل تنصت لما يدور في الكنائس والمساجد؟ ستخسر الكثير ان لم تقدم برنامجاً انتخابياً مبنياً على اساس الاصلاح لما افسده الحزب، لما ندواتكم كلها انتقاداً للأديان؟ لما فحواها بغض الاديان وتجنب اتباعها؟ ألا تشعر بأن ذلك خطأ؟ لو اردنا تقييمهما، الاديان ليس لها علاقة بالمتدينين، علينا ان ننظر الى العصور المنصرمة برمتها وهذا ليس من شأننا الان، نحن نريد اعمار البلاد ومسك دفة الحكم من قبل المصلحين دون ان نسأل عنهم لأي دين ينتمون، اغلب الشعب الان وخاصة من الذين يرتادون دور العبادة للعمل وفق ما جاء بكتبتها بدأوا يبغضونكم، جعلتم الناس تنظر وكأن اول مشروع في برنامجكم الانتخابي هو القضاء على دور العبادة لكافة الاديان، وطننا له أكثر من دين وأكثر من مذهب وأكثر من قومية، علينا اتباع الحياد في التعامل، والتعامل الاول هو اساس كل شيء قادم، وكل ما جاء بندواتكم السابقة جاء لانتقاد الاديان، لم ينتقد احداً منكم في ندوة واحدة سياسية الحزب السابق، الحزب بحاجة الى الاصلاح، بحاجة الى اعادة هيكلية للعقول التي تتكلم بأسمه، نحن بحاجة الى وضع استراتيجية يلتزم بها كل الاعضاء وخصوصاً من سيتم ترشيحهم لتمثيل الحزب.

التفت رئيس المجلس الى الاعضاء من على يمينه ويساره ...  
قال: يتوجب علينا دراسة المرشحين مرةً اخرى، كنت افكر في ان كل  
الاصوات التي سيحصلها كل المرشحين ستصب في مصلحة الحزب، وان كل  
ما ازداد عددهم سيزيد من نفوذ الحزب، الان انا على يقين، لو خطأ احدهم  
فأن الحزب بأكمله سيدفع سمعته فدية لهذا الخطأ.

انتهى النقاش، تقدمت لهم بالشكر الجزيل لترحيبهم بي وعلى الوقت الذي  
انصبتوا به لمقترحاتي، طلبت منهم ان يلغوا عضويتي في الحزب لو تتطلب امر  
تنفيذ كل اقتراحتي وانني سأكتفي بحضور الندوات، او الابقاء عليها دون  
منحي ومنح اقراني من الذي انضموا الى الحزب بعد الثورة من مسك اي  
منصب يمكنهم من خلاله اعطاء القرار.

كنت قد استلهمت كل هذه الافكار من كتاب (كفاحي) للقائد النازي (ادولف  
هتلر) الذي وضع فيه عدة افكار ومبادئ سياسية مهمة في وقت كالوقت  
الذي نمُرُ به الان، بغض النظر عن حكمه الفاشي إلا انه وضع هذه النظريات  
عام ١٩٢٣ خلال فترة مُكوّته في سجن (لانديسبرج) بعد محاولته للقيام  
بانقلاب (بير هول) او كما يسمى بالألمانية (Hitlerputsch) ، اي قبل ان  
يمحي الابتسامة من وجه (برلين).

لم اظن انني سأرى الحزب على هذه الشاكلة التي رأيتُه بها،، ايقنت بأن الشأن  
السياسي يحتوي في الغالب على ذئابٍ وديعة تنظر الى دفة الحكم، كان  
الأغلب يرتقب المناصب السيادية واعتلاء الوزارات الانتاجية وليس النظر الى  
مصلحة الشعب.

كان الحزب الليبرالي يضم هو الآخر الكثير من الخونة، لم اكن اعلم ذلك، رأيتهم وانا اتحدث إليهم، ينتظرون الانتخابات بفارغ الصبر كي يتسنى لهم قتل الشعب وسرقته كما فعلت الاحزاب الدينية، ايقنت وانا اتتبع نظراتهم انهم لم يجدوا الفرصة من قبل لسرقة الشعب في ظل الحزب السابق فوجدوا هذا الحزب ليكون الملجأ لطموحاتهم، كما بات الملجأ لكل من ينفر من الاحزاب الدينية، كنت اكاد ان اجزم بأن الفرصة لو سنحت لهم مسبقاً في ارتداء الزي الاسلامي او المسيحي لأرتدوه من اجل ان يكون لهم منزلاً دافئاً في الشتاء واخر يطل على الساحل في الصيف من اجل الاستجمام.

ندمتُ لانتمائي للحزب الليبرالي، اكتشفتُ بأنني كنتُ مخطئة، ظنوني به مبنيةً على عدة شخصيات وعلى رأسهم رئيس تحرير الجريدة التي كنت اعمل بها، كان اهم من اراه عن الليبراليين، كنتُ كثيرة الحوار معه في الشأن السياسي، كنت ملهمةً بكل مبدأ يتبناه، كنت اظن ان الكل على شاكلته، ومن الممكن انهم كانوا كذلك قبل ان لا يقوم (احمد) بالثورة ويمنحهم النصر على طبقٍ من عينه التي فقدها من اجل الوطن، وانتهى الامر ليكون من اجلهم.

عاد (احمد) الى العاصمة، عاد الربيع الى فصول السنة، عادت اناقتي، عادت انوثتي، عاد موج البحر هائجاً ينتظر لقائنا، عادت الشمس تشرق، عاد الامل لي في اصلاح ما أفسده القدر في لحظة حقد، سأنتظره ليطلب يدي للزواج مُجدداً.

في اول اجتماع له في الحزب، اعطى (احمد) اسباباً عديدة لكل قيادي الحزب لمن كان يريد بغضه على ان يبغضه اكثر، ازدادت شعبيته بين فئات الكادحين

والمضطهدين فقط، صاروا رهن اشارته، لشخصه وليس لحزبه، اصبح الامر اكثر خطورة، لم اكن اريد لكل ذلك ان يحصل.

في اول ندوةٍ له، طلب ان يقوم الحزب بأخلاء المقر الذي يسكنه بدلاً عن الحزب السابق، مستنداً الى انه من مُلكية الشعب وان على كل حزب ان يمول نفسه من اموال اعضاءه لا ان يستولي على اموال الشعب بحكم القوة، طلب ان يكون هذا اخر اجتماع له بعد ان اعتلى المنبر بكل وسامة، لولا تلك النظارات الغامقة التي باتت لا تفارق وجهه.

في ذلك اليوم حضرت كل فئات الشعب، كل اديانه ومذاهبه، كل قومياته وألوانه، من اجل ان ينصتوا له، صار عظيماً كما كان يحلم، وكما كنت اتمنى له، صار قائداً ثورياً يستحق كل الاجلال، صار رمزاً يُقتدى به بعد ان دفع ضريبة هذه المكانة العظيمة ثمناً غالياً.

انهى كلامه فهتف كل الحاضرين بحياته، اضحى املاً لكل من اراد حياة كريمة، صار بطلاً وعلى كل الذين يحيطون به التخلص منه، شعرت بالخوف الشديد ازاء كل ما قال لأنني سبق وان عرفت ماهية من حوله، هم بانتظار الوصول لاتفاق يتيح لكل المرشحين من الحزب تقاسم خزينة الدولة، وهو يطالب بأن يستلم الشعب مقاليد خزنته.

بعد ان رفض كل ما تم منحه إياه من اموال طائلة ومنازل فخمة من اجل اتباع نهج محدد، عاد الى منزله الصغير، رفض الجمع، بدأ العُزلة عن الحزب الليبرالي، وعن كل الاحزاب البقية، لم يحضر لهم اي اجتماع او ندوة او مؤتمر

بعد ذلك، بعد ان رفضوا كل ما تقدم به من مبادئ تُشابه مبادئ (المهاتما غاندي) وهو في اوج عدالته.

اقتربت الانتخابات، لم يرشح (احمد) نفسه عن الحزب، لم يشترك ضمن قوائم المرشحين عن اي حزب اخر، اثار قضية عدة تساؤلات، اثار هذا التساؤل العديد من الاشاعات، لم تتمكن اي وسيلة من وسائل الاعلام في العاصمة من التحدث معه، بدء الجميع بأستقراء المستقبل من افواه الجالسين في المقاهي الشعبية طوال النهار.

لم اتمكن من التكلم معه طيلة هذه الفترة لوجود قوة عسكرية تحرسه طوال الوقت، ابتعد عني، لم اريد لكل ذلك ان يحصل.

منحي القدر ابتسامة نصر...

ذات صباح، وانا اقرأ احدى الصحف، ومن خلال الصدفة، بعد ان جلست لشرب فنجان من القهوة وسط الاستراحة التي كنت امتلكها لشرب القهوة بين اوقات عملي في الجامعة، رأيتُ صحيفة على احدى الطاولات، كان خبراً ما يتوسط الصحيفة الاولى، مسكتُ الصحيفة لأقرأ الخبر، اعلنت فيه الجهات القضائية عن اعلان موعد محاكمة افراد جماعات مُتطرفة قاموا بأعمال تخريبٍ واغتيالات في عدة مناطق سياحية في العاصمة من اجل زعزعة الامن.

كانت البُشرى التي اهداها لي القدر في ذلك اليوم هو وجود اسماء هؤلاء المجرمين اسفل الخبر، كان اسم (صالح) من ضمنهم، شعرتُ بفرح الشديد،

نال جزاءه العادل لأنه مُتطرف، شعرتُ بالفخر الشديد لأنني لم اظلمهُ حين حكمتُ عليه، وها هو الخبر يثبت صحة كلامي.

انهيت قهوتي وانا ابتسم، استمرت ابتسامتي الى ان حضرتُ الى قاعة المحكمة، جئتُ قبل ساعة من بدء المحاكمة لأجلس بالقرب من قضبان الاتهام، جلستُ بالقرب من ذلك الحيز المملوء بالقضبان والندم، جلست لأنظر له وهو ينتظر الحكم عليه، جلست لأقول له ان الرب منحني هذه اللحظة اكراماً لتلك الدموع وذلك الوجع الذي تسببتُ به لي، جلست لأنتظر تلك الفرصة التي اتمكن فيها من التقرب منه وان اقول له "رفضتُ الزواج منك لأنني اعلم بأنك ستصبح مجرمًا ذا يوم، انا ادري بكتبُ دينك منك" استمرت محاكمتهم لساعات، ساعات وانا أطرب على انين بكاءه وتوسله واستغاثته، حكمت المحكمة عليه وعلى من كان بصحبته بالسجن المؤبد. وقفتُ لأنظر له وهو ينهار، رأيتُهُ ينظر لي، كان قد شاهدني جالسة قبل دقائق من النطق بالحكم، وقفت ولم أقل شيئاً، ابتسمت فحسب.





## حَمْرُ الذِّكْرِيَّاتِ

ماذا ستقولين لو طرق الحنين بابك؟

هل ستذكريني وتساألين من للباب طَرق؟

ستجدين حنيني حانقاً بهيئةَ بشر

يصافح يُدِكِ و الدمع في عيناه ألق

يسألكِ حائراً .. هل نسيتِ ما كان؟

هل الألم في ايامي على ايامك أنطبق؟

هل تشعرين بالمي؟ بمأساتي؟ بوحدتي؟

أنا مثلكِ انسان .. مثلكِ خُلقت من علق

هل سهرتِ الليل؟ هل تحدثتِ مع طيفي؟

هل بدأ ليلكِ من الفَجْرِ الى العَسَق؟

هل ذاك الاحساس لا زال يَغْمُرنا؟

انا نحيب الشوق في تقوى ايامي فَسَق

بأناقتكِ صباحاً هل لا زلتِ تَدُكُريني؟

أم العَزْلُ والشعر امسى حبراً على ورق؟

حَمْر ذِكْرَاكِ أثمل أيامي .. وعطركِ

لا زال يَعْرِفُ في رأسي حتى أنفلق

عودي يا حلماً يقطن وجداني .. عودي

فاليأس و وعودك يتقامرون معي بأحاجٍ من قلق



## الفصل السادس

كالذي اقتنَعَ بالإلحاد، استيقظتُ بقميصٍ بلا ازرار، تهشمتُ بين يديه ليلة  
امس كبلورةً سقطت من يد طفلٍ كان يمرحُ بها، انهمرت مشاعرنا على سريرِ ذا  
اغطية حمراء، فعلنا ما لم اكن اتوقعه، حدث ما كنت أفكرُ به وانا أوضبُ  
اغطيتي قبل مجيئه.

استيقظتُ كالمُلحد في ساعاته الاولى، يشعر بشيء لم يشعر به من قبل،  
يشعر بالانتصار والخوف معاً، يشعر بالراحة الممزوجة بالندم، يشعر وكأنه  
اوقد الشمع في عتمة كهف ليمضي في طريقٍ يخاف نهايته، فرِحُ لأنه يمشي  
فيما الكل نيام، فرِحُ لأنه يتفكر فيما الكل خائف، فرِحُ لأنه هادئ فيما الكل  
مُتعصب لإنتماءٍ ما.

لأول مرة، اعلم بأن هنالك القصائد تُكتب على الجسد، لأول مرة اسمع  
قصائد لا تُقال، لأول مرة في حياتي ارى شيء غير مرئي.

جُل ما اذكركه انه فك ضفائري بعد كأسنا الأخير، وانا مستلقية على سريري، فتحتُ عيني وَاغمضْتُها، شعرتُ بأن رأسي ليس على وسادته، كنتُ قد توسدتُ يده اليُسرى وهو بالقرب مني، استيقظتُ وهو لا يزال نائم، التفتُ إليه ببطء حتى لا يستيقظ ويخرجني من جنته، اردت تمعُن وجهه، كان وسيماً كما عرفتهُ واحببته، كانت عينهُ المفقودة تراودني عن نفسها، كانت في مكانها، كنتُ لا اراه كريم العين، كُنت اراه بكلتا عينيه الجميلتين.

نظرتُ الى جسدي فوجدتهُ خالياً من بصمات يده، طال الامر ازرار قميصي فحسب، جمعتُ اطراف قميصي لأُخبئ ما املكُ من قُبَل، بدأتُ استذكر ليلة الالمس، تذكرت في البدء كيف كنت اجلس بين احضانه، كيف جمع شعري وفكهُ الاف المرات، كيف تَغزل بي وهو يُفرق خصلاتي لثلاث خُصل ليصنع لي صَفيرة من الشَّعر والشَّعر.

كنت اتنفس الهواء بهدوءٍ حتى لا ازعجه، كنت انظر لوجهه ببطء وابتسم، بدأتُ استذكر كل ما حصل بالتفصيل وأبتسم.

في الأمس، كانت خُلاصةً لدموع فرح أحلام اليقظة خاصتي، كانت ترجمَةً لكل لحظة استلذاذ حَسُعتُ بها، شهدَ سريري سيولاً من القُبَل بعد ان جَدَب من شحتها.

كان صباح جميل، صباحٌ ابتلت فيه عروقي بعطر جسده وتكحلت عيناى برؤيته، غنَّت لي صغار العصافير كي افيق قبله، كي اشعر بالانتصار على سريري، كيف تغير الحال من التمني الى الحقيقة، بغض النظر عن السنين التي تطلبت لذلك.

اجمل شيء في الوجود انك تُحقق ما كنت تستحيل تمنيه، في ذلك الوقت  
سُترسَم على وجهك ابتسامة تمنحك الفخر، ستجعلك تنثني على كل لحظة  
اصرار قَدَمُهَا لأحلامك، ستجعلك تهاب نظرة عينك لو دققت في المرآة  
لثوان.

بقيت اتمعن وجهه الطاهر لدقائق عديدة، حدثته بذات الطريقة التي كنت  
احدثه بها في ايام لقاؤنا الاول، حين دخل مكنتي فجأة لألتقيه اول مرة، حينما  
كنت اكلمه بصوت الصمت، ذلك الصوت الذي يخرج من حجرة الروح عند  
الهيام.

كم تمنيت لقاؤي هذا، كم حلمت به وهو يعانقني، لم اظن انه قادراً على  
العبت بروحي كما يعبت المشعوذ بعقول الجهلاء ليثير اندهاشهم بأبسط  
الامور، تذكرت زجاجة النبيذ التي شربناها ليلة امس، بعد ان اعددت له  
طاولة لشخصين، عليها من الشمع ما تشتهي تأملاتنا ونبيذٌ وقُبلتين، ابتسم  
حين رأى ما اعددت له، كيف رحبت بقدومه، رحبتُ به بِقُبلة عدا تلك  
القُبلتين اللتان على الطاولة، كنتُ سعيدةً لفوزه الساحق في الانتخابات.

جاء لبيتي خلسة، لم يعد امر لقاؤنا طبيعياً، اصبح مُحاط بكمٍ من العسكر  
ومُراقب من كل الجهات الاعلامية، ورغم كل ذلك، كان يعلم بأنني اقرب من  
كل الناس له، انا احقهم بالاحتفال معه بذلك الفوز الساحق لكل من خذله  
مسبقاً.

حصل (احمد) على اكثر اصوات الناخبين ضمن نطاق الحزب الليبرالي وحصل الحزب بالمقابل على اغلبية كبيرة من اصوات الناخبين في عموم البلاد، فيما تمكنت الاحزاب المتبقية من الحصول على اصوات ضئيلة. اصبح (لأحمد) الان مركزاً قوياً للغاية ولكن تأييده في الحزب بات ضعيفاً، اشتدت الخلافات بينه وبين اعضاء الحزب في الفترة الاخيرة حتى انهم أُجبروا على ترشيحه.

انتظرتُهُ لما بعد منتصف الليل، دخل البيت بخطوات مسائية وعانقني، وضعتُ كلتا يداي حول رقبته حتى ارتفعت عن الارض، لم تعد قدي على الارض، دُرنا حول أنفسنا عدة مرات من شدة الفرح، دُرنا حتى بعثرنا الكواكب خارج مجموعتها الشمسية، ايهما كان السبب، لم يعد الامر مهماً، كان ظاهرننا فرح الفوز في الانتخابات، اما باطن الامر كان فرحهُ اللقاء الذي يجمعنا، اختلط علينا الامر ونحن ندور حول أنفسنا.

حين انتهى دوراننا لم انفك من حول رقبته، كنت اسير على تلك الحلقات التي خلقها الرب من الغبار والجليد حول كوكب (زُحل)، كنت اسير هناك وانظر الى بقية الكواكب، كان عددها احد عشر كوكباً، رأيت ذكرياتي على متن تسعٍ منها، كنت اسير حول كوكب (زُحل) لأقضي ليلتي العاشرة، وارى كوكباً واحداً بعيداً لم تكن لي فيه ذكرى بعد.

جلس على الطاولة التي كانت بانتظاره، جلس فالتفتت إليه رُجاجة النبيذ التي على الطاولة، التفتت من شدة جماله، كان وسيماً جداً، الكأسين اللذان على

الطاولة تشاجرا فيما بينهما، كل كأس اراد التقرب منه لكي يختاره ليسكب فيه شرابه، كؤوس النبيذ رفضت مذاق النبيذ امام مذاق شفاهه.  
جلستُ بقربه، جلست على يساره، لم اجلس امامه حتى لا يظن انني استغرب النظر في وجهه لو اطلت النظر لوجهه كما اعتدت، ظننتُ أنه سيفكر بأنني انظر لعينه المفقودة بغرابة، لأنني لم اجلس امامه يوماً إلا وكنتُ جاحظةً العينين، جلست في زاوية كي اكون ضمن حدود نظر عينه الوحيدة.

ما اجمل اللقاء بعد الفراق، يكون فيه لكل شيء طعمه الاول، حتى لمسة اليد تكون اشبه باللمسة الاولى، اشتقت له كثيراً، والان يجلس امامي، غمرني الفرح حتى اصبحت قلبي ميسور الحال.

تحدثنا ونحن نشرب النبيذ، لم تفارق الابتسامة وجه (احمد) إلا في تلك اللحظة الذي توقف فيها عن الكلام وانا انصت له ويدي متكاتفين على الطاولة، حين سألته عن سبب صمته ..

قال لي: كنتُ امتلك عينين ولم اتمكن من احتواء جمالك، الان لا املك إلا عين واحدة وهي متعبة من تصفيقة شعرك فقط، ماذا سأفعل بما تبقى من جمالك.

هونتُ عليه، كنت لا اريده له ان يحزن وسط هذا الفرح العارم الذي يجتاح مُقلتنا ..



قلت له: انظر لما حولك من نجاح، انظر الى صورتك وهي تملأ جدران التاريخ، انظر الى التلفاز والمذياع وحوارات المُنتديات والمقاهي، انت الراح الاكبر بعد الوطن، تتغنى كل فئات الشعب بأسمك، ألا يسعدك ذلك؟ قال: نعم، يسعدني كل شيء إلا رؤية وجهي في المرأة، واستذكار وظيفتي السابقة، اشتقتُ لتلك الايام الهادئة.

مسكْتُ كف يده، وابتسمت، سألته لأخذه بعيداً عن الألم ...  
قُلْتُ: كيف استطعت ان تسعدني في ذكرى ميلادنا؟ او بالاحرى ميلاد حُبنا، كيف وضعت القصيدة على باب منزلي وانت لم تَكُن في العاصمة؟  
قال: قولي ذكرى (عشقنا) وليس (حُبنا)، نحن تجاوزنا (الحُب) منذ قُبلتنا الاولى، كنت قد كتبتها في السجن مع قصيدةٍ اخرى، قبل ذلك اليوم كان قد زارني بعض اصدقائي وانا في المشفى بعد ان خرجت من المعتقل بأيام، اوصيت احدهم ان يضعها على باب منزلك في وقتٍ مُتأخرٍ من الليل دون ان يشعر به احد، بعد ان زودتهُ بالعنوان، كان غالب الظن لدي انك لن تقرئها في وقتها المُحدد، بعد ان مضى على وداعنا الاول الكثير من الليالي.  
سحبْتُ يدي منه خائفةً ...

قلت: وداعنا الاول !!! لماذا اسميتهُ الاول؟ هل سنودع بعضنا مرة اخرى؟  
لم يُجيبني، شرب كأسه، اكملهُ على عجل، استمر بالصمت دون ان ينظُر في عيني.

احتسيت القليل من النبيذ وانا انظرُ إليه ...

قال: الامور تجري كما لم أخطط لها، انصدمت في الواقع كثيراً، لا اعلم ما تُخبأه لي الايام القادمة.

قلت: ارجوك ان تنتبه لنفسك، مر زمان وانا اتجنب تحذيرك من الواقع السياسي الذي يدور حولك، انظر الى حجم المصالح التي تُحاربها وانظر الى السلاح الذي يحملة ذوو هذه المصالح، عليك ان تنتبه، لو كان الامر بيدي لطلبت منك ان نذهب للعيش في قريبتكم، ان نعود الى منزلك القديم بعيداً عن كل هذه المخاطر، عن ضوضاء الغدر التي تحيط بنا، بَنَيْت مسيرتك وشهرتك على الحزب الليبرالي والان بُتُ تحاربه، ألا يكفي عدائك مع الحزب السابق؟

قال: سيكون كل شيء بخير، لا تقلقي.

تغاضيت عن كل الشكوك التي تساورني، هممتُ بالبحث عن شريطٍ احببته جداً، كان يحتوي على مقاطع موسيقية للعازف الالمانى (باخ)، احتفظتُ به لأنه يُعيدني الى تلك اللحظة التي وضع فيها (احمد) يدهُ على القمر واطفاً ضياءه وقبلني قبلتي الاولى، اردت لهذه المشاعر ان تعيش لا ان تُكَبَّت، اردتُ من موسيقى القرن الثامن عشر ان تتزامن مع زمن قُبَلتِي الاولى.

بَعَثتُ موسيقى (باخ) وسط ارجاء غرفتنا، حذرُنْها من ان تتعدى حدود طاولتنا، حدود ثمانتنا، بعثُنْها لتسمو ارواحنا من غرفة الجلوس الى غرفة المنام، لتتوحد بجسدين ضد الهجر، اردت ان اصلح ما افسدهُ قلبي.

رجعتُ الى طاولتي، نظرتُ إليه من جديد، ابتسم لي ولم يقل شيئاً، كان من المفترض ان يقول لي في هذه اللحظة "احبك"

سألته: لما تبتسم كذباً؟

قال: هل سنعود كما كنا؟

قلت له: ولما لا؟

قال: انتابني شعورٌ يُدْغرنِي بِكُلِّ ألم تغلغل جسدي عند هجرك، كتبت عدة

ابيات اتساءل فيها عنك، اين انت؟ بماذا تشعرين؟ هل تتذكريني؟ هل

الدموع من عينيك تنهمر على الوسادة مثلي؟

لم اتكلم بشيء، لم اجيبه، شعرت بأنه لا يزال يعشقني، ولكنه يعشقني لما

قبل فراقنا، ايقنت بأن كل اعتباراته الحالية مبينة على الجرح الذي تسببت به

له.

شربنا كأسين معاً، طلبتُ منه ان يروي لي ابيات قصيدته الاخرى التي كتبها في

السجن.

انشدها لي، انشدها بوافرٍ من الألم، ولكنني اعشقه، اعشقه لأنه يكتب، ولأنه

يكتب لأجلي اعشقه، لا ضير لو تألمت لطالما انه بالقرب مني ..

سمعتها برغم ما احتوته من ألم، كانت الموسيقى سبابة لأن تنصتُ له،

اجتمع كل شيء من حولي لينصت له، كل شيء في منزلي كان يعشقه، اجتمعنا

سويًا للأنصت له، جلسنا كالاطفال وهم يستمعون لقصةٍ من جدتهم، النبيل

والشمع وانا، ولكنني جلست في الصفوف الاخيرة خوفاً من اللوم.

ارتشف من كأسه، ثم بكل وسامة .. قال:

يا أمية المشاعر أصغي ألي

يا كومة أحجارٍ .. يا زُمرد الحجر

يا أمية الاحساس تهجي حروفي  
تلفظي ما كتبت لك من دون البشر  
يا عشق العمر يا قيثارة أحزاني  
يا ليلى المظلم يا ضوء القمر  
يا كافرة بما أو من .. يا ملحدة  
بأحلام لعنها وشتم أبويها القدر  
اعتذر لانفعالي و لغضبي، فهذا  
ما تسبب به عطرك عندما هجر  
النوم والوسادة بعدك تؤلمني  
ويذبح عيني لغير جمالك النظر  
وانت كيف تمضي ساعات ايامك  
لا أعلم لا أقتع لا أفقه أن اوقاتك تمر  
أحفي لي من أنوثتك بعض الشيء  
وابعثيه لي مع تنهيدة من ليالي السهر  
لم أرى كأنوثتك ولن أرى كمثلك امرأة  
نعومتها وروحها كالضفاف والنهر  
ذكرياتك تملئ غيابك وانت لم تدعي  
ذكرى إلا وكنت فيها بالعلانية والجهر  
عودي يا ضحكة أيامي يا جناتي  
الخضراء يا سمائي والارض والبحر

لِمَا أُرِيدُكَ وَأَتَجَاهَلُ كِرَامَتِي؟ وَأَلْعُنُ  
وَأَرْجُمُ كِبْرِيَاءِي لَوْ لَجُودِكَ ذَكَرُ  
مَاذَا أَفْعَلُ لِأَقْنَعُ بِأَنَّكَ لَنْ تَعُودِينَ  
سَأَبْتُرُ قَدَمِي لَوْ الشَّوْقُ لَكَ أَنْفَجَرَ  
حَتَّى لَا أَعُودَ لَجَنَّتِكَ جَمِيلًا فَأَنَا  
بِهَجْرِكَ شَبَهَ أَنْسَانَ أَنَامُ لِيَلِي عِنْدَ السَّحْرِ  
يَا حَبِيبَتِي سَامِحِينِي عَنِ مَا قُلْتُ  
فَالْحَنِينَ طَعَى وَعَلَى الصَّبْرِ أَنْتَصِرُ  
شَتَانُ بَيْنَ مَا كَتَبْتُ وَمَا أُرِيدُ .. أُرِيدُ  
أَنْ لَا أُرِيدُكَ فَخَلَصِينِي مِنْ هَذَا الْقَهْرِ  
أَعْطِفِي عَلَيَّ فَإِنَّتِ بِالْحُبِّ رَعَيْتَنِي  
كَالَّذِي أَنْتَشَلُ يَتِيمًا رَبِّي بَيْنَ الْعَجَرِ

لأول مرة أقابل ابياته بالدموع، لطالما كانت ابتسامتي هي الرد الامثل لما  
يَكْتُبُ من اجلي.

انهمرت دموعي بقدر الألم الذي رأيته في غيابه، كان يظن انني كنت سعيدة  
الضمير حين ودعته، لم يراني وانا بتلك الثياب البيضاء الخاصة بالمجانين.  
اقترب مني ومسح دمعي، اخبرته بأني افرح كثيراً حين يكتب من اجلي، اعلم  
قيمة ذلك جيداً، وبالرغم من انه كتب ليعاتبني ويُعاقبني لكنني سعيدة  
بلقائه، اخبرته بأن الدمع الذي يحيط بوجهي ما هو الى استذكار لهذا المكان

الذي يجمعنا الان، كيف تغير، الان يتنعم بحضوره والشمع والقصائد بعد ان كان بُرْكة من الحبوب المُخدرة.

وجدتُ فُرصة جيدة لأبوح عن كل ما مر بي في غيابه، لم افصح له عن الكثير، ساعدني كأسى الثالث على التكلم في كل شيء، تكلمت حتى توقفت موسيقى (باخ)، تكلمتُ حتى انتهت رُجاجتنا، حتى احتضني ليهوّن عليّ، حتى صنع لي ضفيرة، حتى استلقينا سوياً على السرير الذي كان يعرفه قبل ان يراه، وسادتي كانت تعرفه ايضاً، كل شيء كان كما هو، النوافذ فقط من تغيرت، كانت تطل على انتظاره ليخرج من منزله عند كل الصباح، الان قد تغير الامر بفضل الحُب، اصبحت رؤيته لا تُكلفني سوى ان لا أطبق اجفاني على بعضها.

همستُ بأذنه "احبك" حتى استيقظ، استيقظ مبتسماً فسألتُه عن لون ابتسامته، ابتسم اكثر ولم يجيبني، فكرت في ان لو لأبتسامته لوناً، لكنك صنعت ثياباً تشبهُها.

استيقظ لينشغل بأموره السياسية ويتركني حائرةً ما بين الوجل مما سيحدث وما بين سلامته وسط الذئاب التي كانت بانتظاره.

خرج مسرعاً وهو يرتدي قُبعة كبيرة ليخفي ملامح وجهه، تمنيت ان لا يتركني كدعاء امي لي، ولكنه تركني، صليت لأجل ان يبقى في حماية الرب، وسأصلي من اجل ان يترك الشأن السياسي، من اجل ان يترك السراق وشأنهم.

ابحرت بقارب الفرح الى شواطئ الاحلام المُحققة، انا سعيدة جداً لما حققت، حققت ما كنت احلم به، وما حلمت به هو نتاج طبيعي لكل انثى

وهي على قيد حبها الاول، لطالما كان الحب الاول لكل امرأة هو بمثابة اقتناء  
رُجاجة عطر ثمين، في كل استعمال له لن يكون كأستعماله الاول.

الحُب الاول لا يقبل القسمة على الايام، نريده في يومٍ واحد، على سريرٍ واحد،  
لنكون كتلة واحدة، كتلة لا ينطبق عليها (قانون نيوتن الاول) حين ادعى بأن  
(الجسم يظل في حالته الساكنة ما لم تؤثر عليه قوة تغير من هذا الحالة).

في ليلة الامس، لم ينطبق علينا هذا القانون، حين كان ساكناً جالساً على  
الطاولة تأثرت بقواه، وحين تحرك لم اتمكن انا من الحراك، كما لم اتمكن من  
المقاومة، كانت انفاسه تثبت لي حقيقة التنويم المغناطيسي الذي يتبعه  
السحرة، كنت لا اصدقهم حين اراهم ولكن حين تنفست من انفاسه ايقنت  
وجود ذلك، ايقنت ايضاً ان كتّم الانفاس من لوازم القُبَل.

اغلب النساء قد يندمن في صباح اليوم فيما لو كن على فراشي ليلة الامس، انا  
لم ينتابني الندم ولو للحظة، مرت بخاطري تلك اللحظات التي كنت اأمله  
فيها من خلف النوافذ، تلك اللحظات التي كنت اراقب فيها كل ملامحه وهو  
يتكلم معي في كل لقاء، تذكرت كل لحظة حُب خالصة في حبها، تأكدت من  
كل لمساته لجسدي بأنه مخلص معي بروحه، لم يكن يود إيذائي بقدر  
سعادته لأنه بقربي، لم يلمسني إلا وابتسمت، كنت لن امنعه حتى لو اراد ان  
يقبض روحي، فالفرق واضح بين انواع النساء في العشق، هن ثلاث، من  
تعشق بروحها فقط تعرف ما حدث ليلة امس، تعرف ان الفرق شاسع ما بين  
عُشاق الجِنس و جِنس العُشاق.

في السنوات الماضية، كنت دائماً اجعل من نفسي كبالون مملوءٍ بالهيليوم، لا اتمسك بأي انسان، من ارادني يتوجب عليه ان يمسكني وان يكون حذراً في كيفية الاحتفاظ بي، انفجر في وجهه لو مارس أي ضغوطٍ، وارتفع عالياً لو تركني، او مجرد انه قد يحاول، كنت امرأة ارتفع عالياً ان لم يحتفظ بي احد. بعد الحب، نكون كالذي اعتنق ديناً رأى منه مُعجزة، يكون غير قابلاً للنقاش او الجدل، نحب فيه ما كان عليه وما سيكون، لن نكثر ابدأً، لأن كل عاشقٍ ليس له شُبهه، ولا يقبل القياس على من حوله.

بعد الحب تتغير كل مفاهيمنا عن الحياة، نفهم كل شيء كنا نقرأه في الكتب او نشاهده في السينما، كنا وبكل بساطة ننتقد كل عاشق على تصرف ما، في رواية او قصة او في حادثة مشهودة، قد نقول ان تصرفه كان طائش، او يدل على سذاجته، نحكم دون ان نعلم ما يدور في ليله، نحكم عليه دون ادنى علم عن ما تحمله ذكرياته من لحظات لا تتكرر، نحكم دون ان نعلم انه قد عاش ايام عشق ايقن فيها ان الارض تدور من اجل حبهما فقط.

انا لا اُفرق عن باقي البشر، مجرد اني كنت اعتقد ولا زلت بأن فصل الربيع لا يأتي إلا و(احمد) على سطح هذا الكوكب، رأيت بأمر احساسي كيف ينبثق الربيع من الارض بعدما يمشي عليها، حين تمشي اقدمه بالتعاقب ارى حين يرفع قدمه ليقدمها الى الامام تنبت وردة من تحته، حين يتكلم يبعث الهواء النقي من انفاسه وكأنه شجرة كبيرة تمنح الاوكسيجين الى الحياة من دون مقابل، رأيت ايضاً موج البحر وهو يرتفع مع حركة يده، حين القى لي الشعر في تلك الليلة الجميلة.



لو قُدرَ للحب الاول ان ينتهي، فانه سيكون اشبه بأنزال الستار على ابطال مسرحية جمعهمُ الحُب في الواقع قبل التمثيل، لم يسمح لهما القدر بتبادل الغزل فيما بينهم، كلماتهم كانت كأسرى حرب، يتوجب تناقلها وجود اتفاقيات كبيرة لها عدة شروط وعليها كثير من الالتزامات، بعد استدال الستار، تبدأ العُربة من جديد، لن يسمح لهما الواقع بالكلام، سيذهب كل منهما وشأنه، سيترك كلتا عينيه مع من يحب ويذهب اعمى البصر عميق البصيرة.

الحب الاول لو قُدر له ان ينتهي فإنه لن ينتهي، هو كنبات البردي، خُلِق ليكون كائناً حياً يعيش لحيزٍ زمني معين، بعدها يموت ويتفسخ، لكنه عاش لألاف السنين، خلافاً لكل شيء يشبهه، بعد ان كتب عليه الفراعنة تاريخهم، اصبح عظيم الشأن و كبير القيمة بعد ان كان مجرد نباتاً، الحب الاول هو ذلك الاحساس الذي يصم اذانه بأصابعه لو سمع احد يقول "لقد فات الاوان"

قبل خوض الانتخابات، اشترط (احمد) على الحزب عدة شروط من اجل ترشيحه، هددهم بأنه سيخوض الانتخابات من خلال جبهته مُنفصلاً عن الحزب، قد يكون ذلك مستحيلاً لوجود فارق كبير بين حزبه له تاريخ كبير وبين جبهة لم يمضي على تشكيلها الكثير، كان هذا الامر مستحيلاً ولكنه هددهم به.

كانت قيادات الحزب قد بدأت تقسيم المناصب السيادية فيما بينهم، سمعهم وهم يجمعون نواياهم لمنع الصلاة في أي دارٍ للعبادة، بغض النظر

عن كل الاديان المتوافرة، كانت نواياهم في تأسيس دولة تتخلى عن هويتها العربية والدينية.

كان هذا الامر ، وفي هذا التوقيت تحديداً، له اثره الخاص في ثورة الشعب من جديد، لم تكن قيادات الحزب الليبرالي كما كانت عليه في السابق، ظهرت روحهم العدائية بغية الانتقام من كبتهم وقمعهم طيلة السنوات المنصرمة. كان توجه الاحزاب في الغالب هو الانتقام من الشعب، هذا الشعب الذي اصبح شريكاً هو الاخر فيما يجري من تحولات جذرية في نظام الحكم، بدأ الشعب كما بدأ في السابق بمنح الصفة الالوهية لقيادات الاحزاب الحالية كما فعلها بالأمس مع الاحزاب الدينية، اصبح لكل حزب قاعدة شعبية مبنية على تكتل ما، ولكن اغلب التكتلات في هذه الفترة ارتدت ثوب العلمانية.

اشتركت في الانتخابات العديد من الاحزاب والشخصيات، ممن كان لها ماضي مُشرق مع هذا الشعب او مظلم، لم يكن الامر مُهماً لطالما تم ترشيحهُ من خلال الزعيم، زعيم عشائري او ديني.

انتشرت الافكار العلمانية بشكل سريع، اصبح من المعتاد ان تفهم العلمانية بأنها (بغضُ للأديان السماوية فحسب)، كان هذا المفهوم في الاصل صعب التفسير، فكيف سيكون تقبلهُ اتجاه شعب تقوقع داخل قوقعة الدين لسنوات طويلة، ويضاف الى ذلك ان هذا الشعب عربي، والعربي من مميزاتة غير القابلة للنقاش هي ان يتبع ولي الامر في دينه كأتباعه لدينه، بمجرد انه ولد عليه.

العلمانية لم تكن ابدأً بديلة لدين او عقيدة، العلمانية هي اسلوب لأدارة دولة او مؤسسة او حتى تجمع صغير، هي ان تنظر لفحوى الشيء قبل ظاهره، ان تطلب الانجاز في العمل دون ان تعرف هوية المُنجز، هي ان تُعامل الكل سواسية في الشأن الذي اجتمعوا لأجله وان لا تكون افكارك مبنية على لون او دين او قومية او عرق، هي ان تحاسب الجاني مهما كانت شرعيته من حجج واحكام دينية ومهما كان نُسبهُ يعود الى الصالحين، هي ان تضع الكفوء في المنصب المُتطلب له حتى لو كان لقيطاً.

تجبرك العلمانية على احترام كل الاديان، واولهم دينك ومعتقداتك، العلمانية لا تسمح لك بأن تستخرج احكاماً من كتبك تثير غضب من حولك، هي تعطيك الحق في ان تقرأ كُتُبك وان تأخذ منها ما يخص شأنك، ولكن الاله هو ان تدع دين الناس يؤدي بهم حيثما يشاءوا، ان كان في جنة او في نار فأن الامر لا يمس مقعدك الذي حجزته لك ادعيتك لما بعد الصلاة في النعيم، لن يضرك امرهم ولن ينفحك.

العلمانية هي نظام وليست ديانة، كما هي ليست انكاراً للتدين، تكون العلمانية واجبة التطبيق لو كان بلد ما يحتوي على عدة اديان او عدة قوميات او عدة اعراق انحدرت من منبع واحد وتفرقت فيما بعد بسبب تطبيقها، مما جعل كل فئة منها ان تبغض الفئة الاخرى وتستبيح قتلها، فكيف سيجمعهم وطن وارض ومصالحة مشتركة واحدة وقد فرقهم الدين؟ من الجدير بالذكر ان الدين اسمى كل الروابط انفة الذكر لدى العرب.

ارى بأن هنالك عدة اسباب وجدت لتنشأ العلمانية، لم تكن وليدة الصدفة، لا شك بأنها ولدت من رحم الحاجة، وان من اهم هذه الاسباب هو (ان ما يُفرقه الدين لا يجمعه وطن).

وما ان طُبقت العلمانية ستجد ان الكل مُتعايشٍ بسلام، كل مواطن له دينه ومقدساته واوقات اعياده دون ان يعترض عليها احد، لأن من يعترض لن يجد حاكماً او مرؤوساً من ابناء جلدته يُقدم لهُ اعتراضه ليثير حفيظته بأقوال من كتابه المقدس او اقوال لولي امرِ المُتوفي قبل الآف السنين، سيلتجأ للحاكم فيراه يُطبق قانوناً وضعياً يتكفل بحماية الكل قبل الفرد، وضعياً لأنه سُرعَ وفقاً للوضع الراهن وليس وفق الزمن الذي أُزِلت فيه الاديان، لأن مستوى التفكير يتغير جيلاً بعد جيل، وانه ليس بالامكان الحُكم على مبادئ ما دون الرجوع الى مكان وزمان نشؤها.

فكيف نُريد من أحكام الدين المُنزلة قبل الآف السنين ان تحُكم ظروف حياة اليوم!! ان تحُكم العبادات فهذا شيء ممكن، اما ان تحُكم المُعاملات فهذا الشيء مستحيل.

لا شك في ان المُشكلة الاكبر تكمن في الشعب العربي، مشكلة حب التجمهر والاتباع لشخصٍ والخشوع لأقواله لمجرد ان نَسَبَهُ يحتوي على اسماءٍ لها قُدية، مشكلة الشعب العربي هو انه يخشى كل شيء يحته للخروج عن المسار الذي ولد من اجل اتباعه، يخشى من كل شيء يتطلب فيه التفكير والانفراد في اخذ القرار، شعبنا لطالما شعر بالارتياح وهو ينصت للمُنجمين قبل نهاية كل عام، شعبٌ يهتم في تفسير الاحلام اكثر من السعي لتحقيقها.

اغلب الشعوب العربية مؤمنة بفكرة (الطوطم)، فكرة وحدة الصف من اجل الخنوع، فكرة تعطي لمُتبع القطيع سبباً ليؤمن بأتباعه، كان أول من استعملها هو الرحالة (ج.لونك) عام (١٧٩١) إذ استعملها في كتابه (رحلات مُترجم هندي وأسفاره)، وهي فكرة تدعي وجود روابط ما تربط بين مجموعة من البشر، كأن يكون هذا الرابط انساناً او حيواناً او جماداً، واقرب مثالٍ للعرب بصدد هذه النظرية هو قبيلة (قُريش)، حيث كان لكل فئة منها او لكل قبيلة صنم على هيئة بشر واجب العبادة ولا يجوز لأي قبيلة المساس بهذا الرمز او اهانتها، ولا تشترك قبيلتان في عبادة الصنم ذاته لأن لكل فئة منهم ما يُميزها عن غيرها، وهنا تتجلى فكرة التكتل من اجل الشعور بالامان، وان اعظم خوفاً ينتابهم هو حين يفكرون في الخروج عن اتباع هذا (الطوطم) او بالاحرى الخروج عن ما وجدوا عليه اباؤهم واجدادهم.

كل ذلك كان سبباً في اعادة هيكلية الشعب وفق الأسس الجديدة المعتمدة، كان الجميع يسعى الى دفعة الحكم بشتى انواعها وبأبسط صورها، مُتدين الأمس في الحزب السابق اصبح ليبرالياً من اجل ان يبقى بمنصبه قدر المستطاع، والذي كان مُشاغباً في سلطات الامن سابقاً وادى الى هلاك الكثير من المعارضين اصبح اليوم يرتدي ثياب الدين كي يثبت وداعته وتواضعه. تمت اعادة كل المُسميات من اجل ان تبقى تلك الطبقة جاثيةً على صدور الشعب من جديد لتسرق قوته، تلك الطبقة التي اصبحت اشبه (بالبروليتاريا الدينية) تستمد قوتها من خنوع الشعب فكراً والذي ادى بدوره الى احتكاره بالرأسمالية الفكرية قبل المالية.

عاد أئمة المساجد ذات القباب الثمينة واساقفة الكنائس الذين يتكئون على صُلبان من الذهب الخالص الى ترشيح ما يمثلهم من سياسيين بحسب الحاجة المفروضة، قالوا عنهم انهم من الكفاء وذوو شهادات عالية، هم كانوا فقط بحاجةٍ للترشيح عن طريق رجال الدين من اجل توجيه الشعب الحائر عند الانتخابات، كان الشعب لا يُريد الاقتراع دون ان يعرف من ولي امره أياً من المرشحين سيُسهم في دخوله الجنة.

كنت اعلم بأن (احمد) سيواجه كل ذلك، اسقاط الحكم لوحده لا يعني الخلاص من رموز الفساد والسرقة في البلاد، عليه ان يعلم بأن تطبيق مبادئ (تشي جيفارا) و (نيلسون مانديلا) في بلاد العرب باتت شبه مستحيلة، لأن من اراد احتلال بلاد العرب فكَرَّ في بادئ الامر بتشويه كل صور الثائرين والمجاهدين الحقيقيين الحاليين والذين سيظهروا في المُستقبل تجنباً للثورات المؤدية الى الاستقلال، بعد ان احتلوا ما شاؤوا من اراضي سواء كان احتلالها بالقوة او باتفاقات دولية وقِعت بأقلامٍ ترتجف خوفاً كما هو حال دول الخليج العربي.

ارى ان الخطوة الاولى للتخلص من ظهور الثائرين كانت بالايعاز للعملاء السريين العلنيين كلُّ من (عبد الله عزام) و(اسامة ابن لادن) لأفتتاح مكتب خدمات في (بيشاور) في (باكستان) عام (١٩٨٤)، ومنذُ عام (١٩٨٦) اصبح هذا المكتب شبكةً للتجنيد في الولايات المتحدة الامريكية من خلال افتتاح مركز (كفاح) للاجئين في مسجد (الفاروق) في شارع الأطلسي في (بروكلين) احدى احياء مدينة نيويورك الامريكية، ليعطوا بموجب ذلك العصا السحرية

للولايات المتحدة الأمريكية في ان تُطلق تسمية (ارهابي) على كُلِّ نائرٍ سيظهر، حتى سمحوا لهم في نهاية المطاف بأخذ ملاذٍ امن في (افغانستان) فبادروا بأسقاط الجمهورية الديمقراطية الأفغانية المدعومة من قبل الاتحاد السوفيتي عام (١٩٩٢)، ليتمكنوا من تأسيس (حركة طالبان) عام (١٩٩٦) ثم (تنظيم القاعدة) ثم الى العديد من المنظمات التي ستظهر مُقابل كُلِّ حركةٍ ستظهر مُحاولةً اعادة اسس الدين الصحيح لعقول العرب.

كان خلاف (احمد) مع الحزب يتمحور حول منهجية الحكم لما بعد تشكيل الحكومة، اراد ان يضع خطوطٍ حمراء لا يتخطاها احد، اراد من الحزب ان يوثق تواقيع مجلسه التنفيذي على ان تُلغى كل الامتيازات الممنوحة للمناصب المهمة في الدولة وعلى ان يكون الراتب الذي يتقاضاه أي وزير او عضو في المجلس التشريعي في الحكومة المشكلة من الحزب الليبرالي لا يتجاوز راتب عامل النظافة في وسط العاصمة، وان لا يزيد راتبه عن اعلى راتب ضمن قوانين الدولة الخاصة بالموظفين العموميين، اراد ايضاً ان لا يشغل الحزب أياً من المباني الحكومية العائدة ملكيتها الى الشعب، اراد ان يكون الرئيس المُنتخب ووزراءه ومجلسه التشريعي خدم بكل ما تحمل الكلمة من معنى، كيف يتم ذلك ولنا في تأريخنا (محاكم التفتيش) واجدادنا امويون!! بعد تبادل التهديدات، توصل الحزب مع (احمد) لأتفاقٍ كاذب بالقبول لكل ما اراده ان يكون بعد تشكيل الحكومة، ارادوا ان ينالوا رضاه ليرشح نفسه عن الحزب، ليس حباً به، وانما خوفاً على الاصوات التي ستنتخبه لئلا تكون من نصيب حزبي غير الحزب الليبرالي المُتأهب لسرقة اموال الشعب.

لم يكسب (احمد) قبول الشعب بأكمله، كان هنالك العديد من المعارضين له، نصفهم كان من الحزب السابق وهذا من طبيعي، والنصف الاخر كان قد حمّله وزر كل الشغب الذي حصل بعد الثورة، حيث انطلقت العديد من الاشاعات تشير الى ان (احمد) وجبهته من المخربين، ارادوا للشهداء الذين سقطوا في وقت الفوضى التي تلت الثورة وانقسامات الجيش ان يستشهدوا، انطلقت العديد من الاشاعات تقول بأنه مدفوع من دول الغرب للقضاء على الهوية العربية والاساءة للأديان، قالو عنه انه (مسلم) وقال اخرون بأنه (مسيحي) وقالوا عنه انه (يهودي) من ابوين إسرائيليين... الخ من التهم المتداولة بين العرب.

بدأت انظر الى الخاتم الذي في يدي وكأنه مجرد هدية، صار شيء لا يعني (الأحمد) شيئاً، شيء انتهى مفعوله، لم يعد له معنى، خطوبتنا اصبحت في خبر كان، انا من دمر كل شيء، كم انا نادمة لأنني خذته في تلك الليلة. منذ ان عادت علاقتنا وهو لا يتطرق لموضوع خطوبتنا، لم يسأل عن مستقبلنا، كيف سنكون، كنا لا نخلو من الاحلام اطلاقاً، لم يعد كذلك، اصبح يقضي يومه فحسب، حتى اصبحت بعض ايامه خالية مني. وصلت لمرحلة لطالما خشيتها طوال حياتي، وهي الملل في الحب، كنت اخاف هذا الشعور حد الموت، كنت قد منعت نفسي من كل اعجاب يتطرق الى خاطر كل بنت في عمر المراهقة من اجل ان اصل الى الملل، منعت نفسي من كل حب يجب ان يطرق ابواب الانثى ايام الجامعة.



زرتُ الشاطئ عدة مرات، جلستُ لوحدي، لم اخبرهُ بأنني انتظره، في كل مرة وانا اتخيل مجيئه من خلفي ليهمس بأذني كما اعتاد، لم يأتي، تركني بمفردي واهتم بالسياسة، لم اعد اراه إلا من خلال شاشات التلفاز.

الى متى سأنتظره يكررها .... "هل تقبلين الزواج بي؟"

صرتُ لا اريد العيش، اريد ان ارتدي ثوبي الابيض فحسب وبعدها فليكن ما يكن، لم يتبقى لي من الدنيا شيء جميل، سوى (يعقوب)، ظل يسأل عني بين الحين والآخر، يطمئن عني كما كان (زيد) له الرحمة والمغفرة، هو الذي لم ينساني قط، لم يتخلى عني الى هذه اللحظة، حدثهُ عن (احمد) وعن كل ما جرى له، سألتُهُ "هل سيعود لي؟" قال لي "مشاعرك اتجاههُ وفيرة الوفاء، تأكدي من انه يحبك بقدر ما تحبينهُ، ولكن احذري لئلا يكون خيط دخان" ظلت هذه الكلمات في خاطري طوال هذه الفترة، هل الوم نفسي؟ ام الومه؟ ام الوم القدر واشتمهُ بأبويه؟

بقيت أروض الحزن في داخلي كي لا انهار، متمسكة به رغم اهماله، افكر في انه لن يقبل الزواج مني بسبب اعاقته، وضعهُ القدر في الموقف الذي وضعني به مسبقاً، ولكن هل لي ان اعذره؟ وان عذرتهُ؟ فلما لم اعذر نفسي عن ما فعلت؟ انا في حيرة من الهم.

بعد ظهيرة يوم، اتصلتُ بهِ باكيةً، غفوت لبضع دقائق فزارني طيفهُ في منامي، حلمتُ به وهو يقتطع الطعام بشوكتهُ ويطعمني، كذلك اللقاء الصباحي، حين تناولنا فطورنا سوياً بالقرب من مكان عمله على انغام فيروز، قال لي ما قالهُ حرفياً "كانت على شفاهك اغنية حمراء كنت اتوق لسماعها"

طلبت منه ان القاه، كنت على بعد خطوتين من الانهيار، قال لي بأنه سيأتي لرؤيتي غداً، كان صوته متعباً جداً، اتخذت من صوته المتعب الف حجة لأعذره، كنت قاسية معه في الكلام، قلت له بانني سأذهب لانتظاره في البيت، صمت قليلاً وقال لي "انا في المنزل، سأنتظرك"

ذهبتُ الى منزله، ذات المنزل الذي زرته مسبقاً، لم يقبل تغييره او امتلاك اياً من المنازل الفخمة لسياسي الحزب السابق، لم يكن احداً في داخله، بعد ان سمح لي الحرس الماكث على الدوام في بابه بالمرور، دخلت وتذكرت حين وقفنا هنا بسبب المطر، كم كان المطر لطيفاً وقتها، كنت افكر في حجة للبقاء معه لولا تأخر الوقت ليلاً، منحني المطر حينها ليلة لن انساها، دخلت منزله وانا اتعثر بكل ذكرياتنا التي كانت فيه، رأيتُ كل شيء مجدداً وكأنه بالأمس.

دخلت الى غرفة الجلوس، وجدته جالساً على الطاولة يتناول الكحول، كادت الرُجاجة التي امامه ان تخلو لولا مجيئي، سحبت الكرسي الذي امامه وجلست، نظر لي ولم يتكلم، حتى لم يُرحب بقدومي، كانت اثار التعب واضحة على وجهه، لاحظت امامه علبة متوسطة الحجم، يحركها بأصابعه قليلاً الى اليمين والى الشمال، كان يفكر فيها او في شيء في داخلها.

قلت: هل جئت في وقت غير مناسب؟

قال وهو متعكر المزاج: لما طلبتي رؤيتي على عجل؟

قلت: هل صار لقاؤي يزعجك؟

قال: كلا.

شعرتُ بأنه بحاجةٍ الى البكاء ..

قلت: ما بك؟

قال: لم انم منذ فترة طويلة، احلم بشيء يمنحني راحة البال، اليوم حققته.  
تمنيت ان يكون حلماً كحلّمي به، صليت همساً بأن يعود كما كان، صليت لأن  
يتكلم عن زواجنا بشيء.

قلت: شيءٌ جيد، لم انت متعب إذأ بهذا القدر لطالما حققت ما كنت تروم  
إليه؟

بدأ يفتح غطاء العلبه الصغيره التي امامه بأحد اصابعه ويغلقها، وكأنه يتفكر  
في شيءٍ ما بداخلها ...

قال: اعتذر لك، حين اتصلتِ بي كنت خارجاً، عدتُ مسرعاً الى هنا لكي القالكِ،  
كنتُ اريد الجلوس مع كحولي فقط كي اتمتع بطعم الانتقام الذي انتهيت منه  
للتو، انتِ الان تشاركييني إياه الان.

قلت: ماذا يوجد في هذه العلبه التي امامك؟

قال: أتودين رؤيتها؟

دفعها نحوي وهي مُغلقة، فتحَّتها ثُمَّ غلَّقتها بسرعة، كدتُ أتقياً، ركضت الى  
دورة المياه بسرعة، لم احتمل بشاعة المنظر، كانت في داخل العلبه ثلاث

اعينٌ بشرية !!!

رجعتُ الى غرفة الجلوس ووجدته واقفاً ينتظر عودتي بقلق ...

صرخت بوجهه: ما هذا ؟ لمن هذه الاعين؟

قال: لأولئك الذين سرقوا عيني.

جلسْتُ متعبة على الطاولة، لم اتمكن من الوقوف مجدداً، اخذ (احمد) كل شيء كان على الطاولة، جلسنا ولم نتبادل الحديث، كنت انظر الى الارض وهو ينظر لي ...

قلت: لما فعلت ذلك؟

قال: لأنام الليل.

قلت: هل تُريد ان تَظلم كما ظلمت؟

قال: هذه عدالة، سيعيشون كما اردوا لي ان اعيش، سيشاهدون العالم كما اشاهده انا الان، سيتلمسون أعينهم المفقودة في اول اسبوعٍ لهم ثم يعتادوا على فقدانها، سيصحون عند الفجر من شدة الالم، سيكرهون وجوههم في المرأة، سينظرون بخجل الى مَنْ يكلمهم لئلا ينتبه بأنهم بعين واحدة.

قلت له: لا تقل كذلك، ما زال كل العمر امامك، عينك المفقودة لن تمنعك من مواصلة مسيرتك السياسية، انظر لما اصبحت عليه الان، انظر كيف يتحدث عنك كل العالم، انت لم تخسر شيء، انظر لي كم انا احبك.

قال: عذرتك، وسامحتك على هجرك لي في المرة السابقة، تفهمت صعوبة الامر، اعطيتك الحق في ان تتركيني، ما ذنب الحبيب في ان يُضحى بمستقبله من اجل حبيبه، فالحبيب له مطلق الحرية في اختيار مستقبله فلا توجد قيود في ذلك، اصبحت بمثل موقفك الان، انا لن اتمكن من الانجاب!!

اندهشتُ كثيراً، تلعثمتُ بالكلام ...

سألته: ما السبب؟

مُلأت وجنتيه بالدمع ....

قال: لن يتمكن أي طفل من النظر الى وجهي صباحاً، داعبت بالأمس طفلاً صغيراً استوقفني في ازقة المدينة فأصبتُهُ بالفرع، أستطيعين ان تقولي لي لِمَا لا احد ينظر الى وجهي؟ أستطيعين اعلامي السبب؟

لم اجيبهُ بشيء، يعلم قيمتهُ لديّ، يعلم منذ ان كنتُ استيقظ في ذلك الصباح لأتمعن وجهه، يعلم انه وسيماً في عيني ولكنهُ خائفٌ عليّ، على تضحيتي، اعلم ما في داخله جيداً، يشعر بنيرانٍ كنت اسمع حسيستها بالقرب من تفكيري كل صباح.

رأيتُ انتقامهُ منصفاً من شدة الدمع الذي رافقها، كان يتألم كثيراً، كان في حال لم اراه فيها من قبل، حدثني عنهم، كانوا ثلاثة اشخاص، تناوبوا على تعذيبه وهو معصوب العينين، اخبرني بأنه كان في حبساً انفرادياً.

بعد ساعات من اعتقاله دخل عليه الرئيس السابق بنفسه، شاهدهُ مستلقياً على الارض من قوة التعذيب، سألهُ عن اسبابِ ضرمةِ النار وسط مقر الحزب، سألهُ عن الجهة التي تمولهُ، لم يجيبهُ بشيء، فك احد افراد حمايته الوثاق من عينه وفمه فسحب سكين حادةٍ من جيبه واقتلع عينه ليرضي الرئيس، لم يمنعهُ احد، ركلهُ الجميع وهو ينزف الدم من وجهه، سألته عن اسم هذا الشخص وقال لي بأن اسمه لم يعد مهماً، المهم وجهه.

كان (احمد) يعرفهُ جيداً لأنه شديد الالتصاق بالرئيس ويظهر معه في كل لقاءاته، سألته عن الاعين المتبقية لمن، اخبرني بأنه اقتلع اعين شخصين اخرين ساعدوا ذلك المجرم في عمله، كان قد طلب من اصدقائه في قوى الامن البحث عنه، وما ان تم القبض عليهم اتصلوا به، إلا انه لم يتمكن من

الانتقام منه إلا بعد ان أُودع في سجن لما قبل المحاكمة، كان (لهشام) الدور المهم في دخول (احمد) للسجن والانتقام منه.

حدثني عن كل ذلك وهو يتكأ على كتفي، احتضنته بكل ما املك من حنان، عطفت عليه كثيراً، شعرتُ بأنني امه لدقائق، تمنيتُ بأن كل ما كان يبعده عني قد زال.

هو يستلقي على وجداني وددتُ ان أسأله، هل ستعود كما كنت؟

هل تسمع نحيب احلامي؟

وددت ان همس لهُ بأذنه وهو على كتفي .. "ارجوك، لا تكُن حكايةً من الوهم

ارويها يوماً لغريب"

اصبح (احمد) رئيساً للمجلس التشريعي، اراد الحزب لهُ ذلك كي يبتعد عن الحكومة وما يتقاضاهُ وزراءها، منحوه شرف اعتلاء هذا المنصب نضيراً لتضحيتهُ التي قدمها للوطن، اصبح رقيباً لكل ما تقوم به السلطة التنفيذية، اثبت جدارته خلال اسابيع قليلة ومن ثم ازداد حبهُ لدى الشعب، اصبحتُ اراه من خلال شاشات التلفاز وهو يمثل الوطن بأكمله، انا فخورة بهِ جداً، صرتُ اقرأ عنه يومياً في الصحف.

اثار جدلاً واسعاً حين نفذ الخُطة التي كنتُ قد اقترحتها على الحزب فُقبل الانتخابات، تم التصويت على حظر الحزب الحاكم سابقاً وحظر الانتماء له، تم اعتقال ممثلين الحزب من داخل المجلس بعد ان صوّتت كل الاحزاب بالأغلبية على حظر وجود الحزب، تمت احالة ممثلين الحزب الذين وقعوا في

مصيدة الانتخابات من اجل ان ينتخب اتباع الحزب ما تبقى من ازماله من الذين لم يهربوا مع الرئيس السابق وزيانيته.

مرت الايام ولقاؤنا لم يتجدد، انشغل عني ثم اعتاد على ذلك، عدت الى المربع الاول، وكان القدر يعاقبني على خُدلائي له، عدتُ اشتاق له وهو بعيد عني، عادت عيني تتأملهُ وهو خلف الشاشات، كالنوافذ في السابق، رجعت اقف لأتأملهُ يظهر كما كان يخرج انيقاً من بيته، وكأنني بدأت قصة حيي معه من جديد.

وانا اعدُ ضفيري، تذكرتُ انامله حين صففت شعري، اتذكر تلك الليلة التي لا املك سواها، كانت اجمل من ما مضى، كل الليالي التي سبقتها كانت لذبة كالعنب، إلا تلك الليلة، كانت عُصارتها من النبيذ، كانت اشهأهن، كانت اروعهُن، كانت أذهُن، كانت افاسهُن حُسناً.

بعد ان شفى القدر غليلهُ مني، بدأ اليأس يتغلغل عروق امنياتي، طال غيابه، زاد اهماله، اعتقدتُ بأنه يريد انهاء علاقتنا كما اردتها انا قبله ولكن بطريقة ابسط، حين تسببت لهُ بجرح كبير ولم يكرهني، ظل عاشقاً الى ان عدت له، اعتقدتُ بأنه يريد مني ان اكرههُ، لاهمالهُ لي، يريدني ان انساه شيئاً فشيئاً، ان يحتل الملل ايامي، يحاربني بالبرود، لكم اكره برود المشاعر، لم اره بليد اللقاء اطلاقاً، ولكنني سأنتظرهُ ليتذكر موعد ولادتنا، ميعاد عشقنا، لن يطول الامر كثيراً.

الثاني من شهر نيسان..

يوم ولادتنا معاً، لم يتذكره ولم يتذكرني، بعثتُ له برسالة لأطلب منه ان القاه في نفس الزمان والمكان المعتاد، ظننته سيتذكر هذا اليوم لكنه لم يجيبي، لم يرد على رسالتي إلا بعد ساعات، اخبرني بأنه على موعد سفر، عرفت ايضاً ان الوقت قد حان.

ذهبتُ الى الشاطئ وانا اجر اذيال الامل، ذهبتُ من دونه، كنتُ اريد المجيء الى هنا منذ اسابيع طويلة ولكنني منحتهُ اكبر قدر مستطاع من الصمت، التزمتُ الصمت كثيراً، انتظرتهُ اكثر، انشغل عني ولم يعد يأبه لي، ايقنتُ بأن الشهرة مرض ليس بالهين اكتشاف مصلاً لها، لم يكلمني منذ اسابيع، لم اكلمه انا ايضاً، ضجرت من الواقع.

تركتُ سيارتي عن قرب وجئتُ الى الشاطئ، مشياً على الاحلام، جئتُ سيراً لأدوس الارض بكل حلٍ حلمتهُ هنا، جئتُ لأتخذ قرار يمنحني العزلة، يمنحني الامان بعد الخوف، يمنحني الندم، الندم الذي أنكرتُ وجوده وانا ألفتُ قميصي من حولي وهو بلا ازرار، يمنحني ضمان الصمت بالعقاقير المهدئة، يمنحني الذكرى، وخرم الذكرى.

وقفتُ على الشاطئ والموج يكاد ان يقترب من قدمي، وقفتُ كما وقفتُ نادماً بالأمس، حين جئتُ الى البحر والموج يركل قدمي غضباً، كنتُ قد قدمت له العديد من الاعذار من اجل ان يسامحني (احمد)، حقق لي ما اريد، تمكنت من لقاءهُ في ذات المكان، التقيتهُ (احمد) ولم القاهُ (رفيق الروح).



من يعيش مُتكنناً على الماضي يعيشُ كالميت سريرياً، ولأجل ذلك جئت، لا اريد ان اعيش على فتات الماضي، كل ما اريده الان ثمة قصيدة أكفُنُ بها قلبي، يا ليتهُ مات قبل ان يشهد هذا الموقف، يا ليت قلبي لم ينبض بعد التدخل الجراحي، كم تمنيت الموت على تكرار هذا المشهد.

لم يقترب موج البحر من قدي هذه المرة، اذاً لن يسمعي ...  
تحدثتُ معه بنقاء قلب، ولكنه صَمَّ امواجهُ عني، لا يريد سماعي، لم اعاود الكلام، اوقفت نزيف الذكريات، اخبرتهُ بأنني سأعود للقائه في وقت اخر، حين يود سماع قراري بالابتعاد عنه، لا اريد ان اعيش وانا اتنفس الرجاء، لا اريد انصاف الحب، اردتهُ عشقاً كما عشقتهُ، لا اريد منه ان يكون صندوقيّ الاسود ليحتفظ بأثار الحب بين طيات القُبل بعد ان تنتهي.

هممتُ بالرحيل، على امل ان القاه في وقتٍ اخر، وقتٌ ليس بالبعيد، سأشد العزم واعاود الكرة، يجب عليّ ان اتخذ قراراً، لأنني تعبت، تعبت ولن يطول الامر اكثر.

استنشقتُ الهواء المخلوط برذاذ الندم

تحسستُ روجي بالألم ..

كانت تنهيدة لا تقوى على الصبر

لم اتحرك من مكاني بعد، وانا لا زلت واقفة، سمعتُ صوتاً من خلفي، لم التفت، تمنيت ان يكون هو ....

قال: هل اشتقت لي؟

قلت: ليس كثيراً، انا اشتاق لك حين اتنفس فقط.

التفتتُ فرأيتُهُ انيقاً جداً، ارتدى بدلة سوداء، عاد الى تصفيقة شعره القديمة، ذات التصفيقة التي رأيتُهُ بها في المكتب، عاد لعطره، لوسامته، جاء ليحتفل معي في ذكرى عِشقنا، جاء وبمعيتِهِ باقة ورد تغار من جماله.

التفتُ إليه، التزمتُ الصمت قليلاً من هول المفاجأة، لم اتوقع قدومه، اخبرني بأنه سيسافر خارج البلاد لبضعة ايام ..

لما اتى بهذه الوسامة؟ لما الان تحديداً؟ لما هو مبتسم؟ اين حزنه؟ اين اليأس الذي كان يمتطيه حصاناً؟

عدتُ والتفتُ الى البحر، علمت لما لم ينصت لي، لما لم يوافقني الرأي، لم يكن يريدني ان اتخذ قراراً، كان على عِلْمٍ بمجيئه.

اقترب (احمد)، نظر في عيني فرأى غيوم الحزن ترحل عن مقلتي، شاهد شمس الامل وهي تشرق على وجنتي، نظر بعيني حتى غرقتُ على ارض اليابسة، وقفنا كوقفتنا الاولى، نتأمل ما تقول العين، فهو يعرفني .. عيني في القاء لساني.

قدم لي باقة الورد، ابتسم ...

قال لي: هل تقبلين الزواج بي؟

ارتعشتُ من الفرح، اغمضتُ عيني وفتحتُها، كدت لا اصدق الموقف، لامس موج البحر قدمي وانا واقفة، يريد مني الاجابة، لن اجعله ينتظرني كما حدث سابقاً، لامسني الموج مسرعاً أكثر من مرة ....

قلت: انتظرتُ هذه اللحظة منذ سنوات، تزكتكُ مرة واقسم لك بأنني لن أكرها.

قال: انا اعرف اجابتك، فقد وقفنا سابقاً كمثل هذه الوقفة، ولكن الان يتوجب عليّ اعادة صياغة السؤال، الامر تغير، عليك التفكير ملياً، انا قضيت هذه الفترة في التفكير، قررت ليلة امس بأن اتي اليك مهما كانت العواقب، قررت الارتباط بك مهما يكن الثمن، ولكن، سأمنحك وقتاً للتفكير بسؤالي الذي يجب ان يكون بالصيغة التالية (هل تقبلين الزواج بي رغم اعاقتي؟).

قلت له: تأتي لي بهذه الوسامة، وتحملُ باقة ورد، بعطرك وتصفيقة شعرك، وبهذا الكم الذي اعشقتك به، وتسألني هل ارفضك !! لا امتلك من الكبت ما يكفي للأمتناع عنك.

خلع نظارته وسألني: انت متأكدة؟ انتِ على وشك الارتباط بهذا الوجه لما تبقى لكِ من العمر.

قلت: أفسمُ لك، لو أنني اتمكن من جعل عيوني أرجلاً، لجعلتها أرجلاً لأركض بها فرحاً على وجهك.

عانقني، عانقني حتى سقطت باقة الورد منّا على الارض، انا لست بحاجة الى الورد وانا على ابواب جنة الخضراء.

عاد (رفيق روجي)، عُدنا الى مقعدنا لنجلس بكل الحب، جلسَ بالقرب مني، دفع بيده كل الأمنيات المستحيلة جانباً ليفسح المجال لمستقبلنا القادم، سنعيش سوياً بعد ان انتظرتُه عمراً يفوق عُمر الجنائن المُعلقة.

بعد ان حقق احلامه في تخلص والانتقام من ازام الحزب السابق، والانتقام ممن اقتلع عينه وعامله بالمثل، قرر ان يترك العمل السياسي ويسافر خارج الوطن، سيأخذني معه، بعد ان اكون زوجته.

حدثني عن ما كان يروم إليه طيلة الفترة السابقة، عاتبته لأهماله لي، عاتبته حتى بكيت، اخبرته بأن الاهمال يُقتلني ببطء، وعذني بأن القادم افضل. كانت نظراته غريبة، لم اعلم ما السبب، لم تفارق عينه عيني ابدأ، هل السبب لأنه اشتاق لي؟ ام لأنني لم اتمعن وجهه منذ فترة طوية؟ ام التغيير الذي طرأ على وجهه جعلني استغرب نظراته؟

كان ينظر لي بلهفة، يتحدث وانا انصت له خاشعة من جمال شفاه، كم اتوق لتذوقها، كم انا مرغمة على التريث بحسنه.

حدثني عن قرارته، حدثني عن ندمه، كان قد شَعَرَ بما شعرتُ به مسبقاً، راودته ذات الاوجاع التي راودتني، الحيرة بين القلب والعقل، بين ما نملكه من مشاعر واجبة التضحية وبين ما يفرضه الواقع تحت سوط القدر.

كلانا رأى عدالة القدر، وضعنا في ذات الموقف، نعشق لنقف مكتوفي التمني، ليس بالحب حيلة بعد ان يأخذ منك القدر شيئاً ثميناً يتعلق بمن تحب.

عدالة القدر هنا جاءت لمصلحتي، بعد ان عَدِلَ عن قراره برفضه للزواج، كيف يرفض وانا لم اخلع الخاتم منذ ان وضعه بيدي، انا متمسكة به رغم كل شيء، حتى انني كنت كاذبة حين اتيت الى هنا لأفكر بقرار الابتعاد عنه، الشوق صَنَعَ مني حمقاء صامته.

سألته كيف يمكن لنا ان نتزوج هنا؟ ومتى؟ حدثته عن كمية الخوف الذي بداخلي من كل المخاطر التي تحوم حوله، اخبرني بما لم اصدقهُ، قال لي انه سيقدم استقالته من المنصب يوم غد، لن يبقى في منصبه، سيعقد مؤتمراً يوم غد ليعلن استقالته، سيكون المؤتمر افضل من تقديم الاستقالة لوحدها

منعاً لانتشار الاشاعات ولا سيما وانه قد قدم طلباً يوم امس الى رئيس المجلس التنفيذي للحزب الليبرالي بغية الاستقالة من الحزب، ولكن الاخير حشد ما يتمكن من شخصيات سياسية لها اثرها على ارض الواقع من اجل التوصل الى توافق بين مبادئ (احمد) وسياسية افراد الحزب السراق المنتشرين في مفاصل الدولة.

كان قد طلب منهم بأن لا تكون سياسة حكمهم كالحزب السابق وان تختلف عنه بالبذخ والرفاهية والترف، كان ينظر الى حجم الفقراء ويعد احصائيات حقيقية عن عدد الفقراء والعاطلين ومن هم بلا مأوى، ولكنه كان في جهة تشريعية ولا يمكنه إلا اعطاء التوجيهات من خلال سن القوانين، وبالمقابل لا يسمع توجيهاته احد، قرر بعد ذلك الانفصال عنهم كي لا يكون من ضمنهم او شريكاً لهم، الفرق كان واضحاً فهو يتقاضى عشر ما يتقاضوه ولكن الامر لم يكن بهذه البساطة، كان يظن بأنهم افضل من الحزب السابق، ولكنه وجد الفرق بالمُسميات والملابس فحسب.

لم تشهد البلاد أي تغيير بعد الانتخابات، تغيرت الوجوه فحسب، عاد الاغنياء الى دورهم وشركاتهم، وعاد المُخادعين الدجالين الى وزاراتهم ومناصبهم، عادت قوات الامن الى ثكناتها العسكرية لتحمي سراق المال العام في بيوتهم ومكان عملهم، عاد الفقراء الى فُتات خبزهم، عاد العاطلين عن العمل الى التسول، تمرد الحزب اكثر واكثر، حتى بدأ يصادر اموال من كان منتمياً للحزب السابق ويشرد عائلته، بدأ التهجير شبه القسري للمتدينين الى المدن المجاورة، اضحت الكنائس خالية يوم الاحد وحُلت المساجد ايضاً،

انتشرت المظاهر غير الاخلاقية في الشارع لأستغلال السُيَاح، اصبحوا على هذا الوجه من جراء ما كان مكبوتاً ومُحرماً بالأمس تحت هدف (الحرية) الذي دعا الى تحقيقه الحزب الليبرالي بناءً على كُرهه الدَفين للأديان، اكتشفنا ان جميع الكفاءات التي بداخله كانت كفؤةً بسياسة الانتقاد فحسب.

تكلمت معه بألف موضوع وبألف ذريعة حتى تصاعدت ادخنة الامل من احلامي، ستتحقق جميعها، ستتحقق واكون زوجته، سنمزج الحب بالغزل ونضعهما في زجاجةِ النشوة، سنحتسي منها ما نشاء من ليالي.

لم اريد للقائنا ان ينتهي، ولكن الوقت قد حان، ولا سيما وانهُ جاء مُتخفياً بسيارةٍ صغيرة برفقة (هشام)، رحل وترك سحر عينيه في خاطري.

منذُ ان عرفته ولغاية الان، لأول مرة الاحظ الغرابة في نظرة عينه، طوال اللقاء وهو ينظر لي دون ان يلتفت او ترمش عينه، لم ارى نظراتهُ بلهفة كهذه من قبل.

يوم غد فقط من يفصّلنا عن العناق، تمنيت ان لا يكون صدى كلماته في المؤتمر مؤثراً على قرارته، لكنني مُتأكدة من انه سيترك عمله السياسي من اجلي، ايقنت مسبقاً بأنه جدير بالتضحية، انا اغلى ما يملك، وانا لا املك في الدُنيا سواه.

افترقنا، بعد ان كان لقاؤنا جميلٌ ومميز، كان جميلاً لدرجة ان أي حديث يُفسده.

ابتعد عني بخطوات وهو لا يزال ينظر لي، يبتسم وكأنهُ يُريد ان يقول شيئاً، رغم ذلك كان شديد الفرح مثلي، لعلهُ يُفكر في قرار يوم غد، هل سينجح كما

خطط له في ان يكشف فساد الحزب الليبرالي؟ ام انه سنعكس سلباً على تاريخ نضاله؟

عُدت على امل ان القاهُ غداً، انتظرت كثيراً ولم يأت الصباح، لم تشرق الشمس، انا في فراشي لغاية الان، لم يمضي من الوقت إلا نصف ساعة فقط. تأملت ما سأكون عليه وانا اتشبث بيده من شدة الفراق، احتويه من كثرة فقدان الذي طرأ على حياتي، انا لم اكن طفلة سعيدة لأكون فرحةً بالشكل المعتاد لتحقيق احلامي، لي حكايات مع القدر لا يقوى الظلم على سماعها، سعيدة انا الان وحجم سعادتني اقل بقليل من حجم السماء، سعيدة لأني سأكون منه وفيه وإليه، لم اتمكن من النوم، ظل يتقلب وسط قلبي كثيراً.

في صباح، وجدت نفسي مستيقظة، اجلس القُرفصاء، نمْتُ لبرهة من الزمن وحلُمْتُ بالخوف، لم انم بعدها، بقيت جالسة الى ان شرقت الشمس.

حلُمْتُ بأنني امشي خلف جنازة ابي مجدداً، شعورٌ اخافني كثيراً، قاومتهُ بكل ما اوتيت من امل، خفت من الحُزن مجدداً، شعور انتابني فحسب، بعد ان تتمم شيطان في عقلي وهو يحمل ازهارٍ سوداء، انتابني شعور يجذب الشياطين في وضح الصلاة، كل الدنيا لا تعلم مقدار الشياطين الذين يجولون في خاطر امرأة عندما تحزن.

كنتُ على حق، كنت اشعر بروحه وهي تعانق السماء، كنت اشعر بألمه وهو يتلقى رصاصات الحزب في صدره.

اغْتيل (احمد) في الصباح الباكر عند خروجه من منزله، اطلق عليه شخص يضع لثام الحقد على وجهه عدة رصاصات من على دراجة نارية، القي القبض

عليه فوراً لأنه اضطر ان يطلق رصاصته من على مقربة منه كي يتجاوز  
العسكر الذين يحيطونه.

آن الاوان بان نفترق، هكذا اراد القدر، رحل (رفيق روحي) واصبحت وحيدة،  
كيف لي ان اصدق خبر وفاته وهو حيّ يزرق في احلامي، امنياتي لا زالت  
صامتة مثلي، كنا نريد الرحيل عن ارض الوطن، نترك ارض العفن، كنت اشك  
في ان امراً كهذا سيحدث ولكنني كنت اخاف التفكير فيه، وطننا لم يمتلئ من  
دماء شهدائنا بعد، اشتهى دماءه فأخذه مني.

ألم يكتفي بعينه؟

ألم يكتفي بتعذيب جسده؟

ألم يكتفي بكل تضحياته السابقة؟

وطنٌ اضحى لا يستحق ان يُذكر بعد الان، لا يستحق سوى ان نبصق بوجه  
آثاره.

في هذا الصباح قاتم اللون، انتهى كل شيء يستحق العيش، انتهى كل امل  
سقيته منذُ الامس، ماتت كل الحواس التي امتلكها مع موته، لا اريد التفوه  
بهذا.

هو لم يُمّت ...

ذهب الى مكان بعيد عن ضوضاء الحياة ليكون بانتظاري

هو الان بانتظاري

لن أتأخر عليه



قوة الصدمة التي تَلْقِيْهَا جعلتني على قيد الافاقه، لم اغيب عن الواقع، وقعت روحي فقط مَغْمِيَةً عليها، اما جسدي ظل صامداً، فقدت النُطق مجدداً، لم اعد اقوى على الكلام إلا همساً، ولكن لمنَ اهُمَس؟ كنتُ اهمس لحبيبي فقط، اعتدتُ على الهمس بأذنه وهو يتوسد كتفي، لم اشرك بحبه مخلوقاً، لا حبيب إلا هو.

وسط الفوضى التي حدثت في المدينة بحثت عنه، اسير في الطُرقات واتذكر خطواتنا ونحن نخرج صباحاً الى العمل، حين كُنَّا هادئين، حين كُنَّا لا نكثر لسياسة البلد، لا تهمنا تلك القُمامة التي تُسمى (وطن)، اللعنة على ارض الوطن.

حاولت الاتصال (بهشام) ولكنني لم اتمكن من الكلام، بعثت له عشرات الرسائل ولم يجدي الامر نفعاً، كنت اسير كالمجنونة وسط الزحام، كنت اردد اسمه وارتعش، اريد ان اراه، اريد ان اتمعن وسامته قبل ان تُوارى الثرى، كنت لا اعلم ما افعل.

استمررت اجوب الشوارع ولم اتمكن من معرفة مكانه، سمعت بأن (هشام) تعرض الى بعض الرصاصات ولكنه لم يمُت، لَمَّا مات (احمد) لوحده؟ سألت القدر لألف مرة .. لما مات (احمد)؟

لم احضر جنازته، تعرضت لضربٍ مبرح اصابني بجروح كثيرة، مكثتُ لأيام على اثره في المشفى.

سمعت عند غروب الشمس بأن نعشه سيكون في وسط المدينة، يحتفلون بمقتله لأنه حاربهم، لأنه كان ثائراً خالصاً بكل ما يمتلك من مبادئ سامية،

سيحتفلون بمقتله ثم يدفنوه تحت التراب، سيعودون الى نزواتهم وسرقاتهم، الحزب الليبرالي هو الذي غدر به دون ادنى شك، كان على وشك فضح امرهم، لم يتمكن بسبب رصاصاتهم.

وقفت عند تجمهر الناس وهم بانتظار نعشه، كنت احمل علم الوطن بيدي، لم اتمكن من كبت جماح الحقد الذي بداخلي، اعتليت ارصفاً الساحة ليراني كل الناس، اثرت انتباه غالبيتهم، التفتُ الى كل الاتجاهات من حولي، انتظر وصول نعشه، تأخر ولم اقوى على الانتظار، عليه ان يأتي بسرعة، ثوبي الابيض لا زال في خزانة البستي ينتظرنني، تمنيت لو اني اقوى على الكلام لأنادي بأسمه، لأقول لهُ بأنني ابحت عنك، كما بحثت عنك وسط تلك السنين، لأرتجيه بلطف أن يعود بي قبل ان لا اعرفه ثم يرحل.

(رفيق روحي)، سألعن الوطن بما يملك من شعبٍ وارض وحضارات، اخرجت العلم وحرقتهُ وسط الحشود، تمنيت ان اتفوه بالشتائم وانا ادوس على العلم المُحترق بحذائي، لم اتمكن من الكلام، اخذ الموت صوتي.

انهالت عليّ الحشود بالضرب، عرف البعض بان الحزن دفعني الى ذلك، كنت اسمعهم يتحدثون من حولي، ضربني البعض ودافع عني البعض الاخر بجسده، سمعت اطلاقات نارية فوق رأسي، تمنيتها ان تكون في صدري لتأخذني معه، لأتوسد معه نعشه، اردت عناقه لنذهب الى القبر سوياً.

كانت هذه الاطلاقات النارية لتفريق من حولي، اخذني احدهم الى المشفى، لم اعلم من هو، تلقيت عدة ضربات في الرأس وكدمات على الوجه، جعلتني اصحو بعد يومين من الحادث، خرجت من المشفى دون علمهم، ظننت ان

المشفى للعلاج الامراض النفسية، الاضاعة التي كانت امام وجهي وانا انظر الى الاعلى كانت تشبه تلك الاضاعة، كنت خائفة من فراق (احمد)، تشابه الموقف عليّ وانهاالت عليّ الالم.

ذهبت الى بيت (سارة)، اعتنت بي لثلاثة ايام، الى ان تمكنتُ من زيارة قبره، صبرت كثيراً على فراقه، منذُ ثلاثة ايام وهو في القبر لوحده.

يا تُرى هل هو جائع؟

هل يشعر بالعطش؟

هل القبر مظلم؟

ام تضحيتهُ انارت فراشه التراي؟

هل يتذكرني؟

هل لا زال يعشقني؟

متى سيكتب لي الشعر مجدداً؟

اخر قصيدة دونتها كما الاخريات على جدران وجداني، حفظتها عن ظُهر قلب، قبل ان ينكسر ظهر قلبي في غيابه، تساءلت كل هذه الاسئلة وانا في طريقي إليه.

وقفت على قبره ارى كل الايام التي عشناها سوياً، كان كومة تراب، وقفت امامهُ ابحتُ عن كلماته، عن وجههُ البهي، عن شفاهه التي كانت تنطبق لتسكب العسل، بحثت عن عطره، بحثت عن مستقبلنا، ماذا حل به! كنا على وشك السفر، كان سيترك كل شيء من اجلي، كنا بحاجة الى بعض الوقت لنرحل ونترك لهم الوطن بأكمله، بما يحمله من ثروات، هم ارادوه وطناً ذا

ثروات وليس ذا ثورات فقتلوا (احمد) لأنه ثائر، كنا بحاجة الى ليومٍ واحد من دون خيانة وغدر، من دون رصاصات منبثقة من اجتماعات حزبية، كنا بحاجة الى بصيصٍ من الشرف.

وقفت امامه لساعتين، لم اقوى على البكاء، لم اذرف دمعة واحدة، صدمة فراقه جعلت مني دُمية بكماء، كنت اخاف من البكاء كي لا انهار، كي لا يعودوا بي الى مستشفى الامراض العقلية، انا امامي الكثير غير حرق العلم وشمم الوطن.

الفراق .. هو كالذي يفتح نافذة غرفته وهو موعودٌ بالموت بعد ايام، لا يرى املاً، ينتظر الموت، يأتيه متأنياً وهو على عجلة من بؤسه.

الفراق يعلمنا الصمت، نصمت لنعد ما حَسِرناه بسببه، نحتاج الى هدوءٍ تام لتأمل الألم المرافق له، نخاف من كل لحظة تأتي بعد اللحظة التي نأخذ فيها الشهيق والزفير، نتأمل ملامح الفراق مجدداً، نتأمل ان يكون ما نحن عليه حلماً وسينتهي بعد ان نفتح اعيننا، نغلق اعيننا ونفتحها، نجد الفراق حقيقية وعلينا تصديقها، نكذبهُ الف مرة ونجده كما هو، الفُراق حقيقةٌ واجبة التصديق.

شroud التعب وهو يمزق تفكيري جعلني مخلصاً للبؤس، لن يكون القادم قادماً دون حبيبي، لن اجعله يقدم على عمر جديد.

طلبت مني (سارة) ان نرحل، لم يتبقى على غروب الشمس شيء، تكلمت بعض الكلمات، لا زلت لا اقوى على التحدث بجملته مكتملة، توسلت إليها ان تركني هنا، لم اتلقى استحسانها، تشاجرنا، تركتني وذهبت، اوصيتها بأن لا

تخبر احداً بمكاني، ترجيتها لأبقى معه هذه الليلة فهو يستحقُ مني كل الوفاء، يستحق لأنه لم يقسو عليّ إلا في عنائي.

تذكرت كل الليالي التي التقينا بها، كيف تبادلنا الكلام في الرسائل منذُ اول ليلة، عند اولى خطواتنا في طريق العشق، في (الثاني من شهر نَيْسان)، عندما وجدتهُ بين ملايين السنين، يقف على ناصية احلامي وهو ينظر الى ساعته، عندما كان ينتظر قدومي عند كل موعد، مر الليل ليس كسائر الليالي السابقة، لم نجلس سوياً هذه المرة، حال الموت بيني وبينه.

شرقت الشمس على غفلة كما شرقت علينا من قبل، لم اشعر بوجودها، رفعت رأسي بعد ان اتكأْتُ به على يدي وانا اجلس القرفصاء، شاهدت القبور من حولي تنظر الي بدهشة، حدثت الجميع عني وعنه، اخبرتهم كيف كانت لقاءاتنا، كيف كنا نعشق بالنظر، كيف بدأنا وكيف انتهى الامر بنا، عرفتهم بنفسي، فلم يتبق إلا القليل واكون برفقتهم، لن اقوى على العيش بنصف روح، رقيق روحي تحت الثرى، سأتوسد يدهُ مهما كان الثمن.

مرت ايام قليلة، بدأتُ اقوى على الحديث بصوت منخفض، ولكن اجفان عيني لم تغمض، باتت وكأنها اقصر من ان تنطبق على بعضها، عاد الليل والنهار يتشابهان كما فراقنا الاول، كنت اشعر احياناً بخصلات شعري تتحرك لوحدها، كنت اشعر به، اشعر بروحهُ حولي، اشعر بأنه يراني، اشعر به بين اركان احلامي، حين يتحرك شعري بنسمة خفية كنت التفت فجأةُ لعلي اراه خلفي، كنت على امل ان القاه كما كنت على امل اللقاء بذلك القاتل الذي القى رصاصاته على صدر (احمد) سمعتُ كثيراً من الاحاديث عن مقتله ولكن

الجميع اجمعوا على انه تلقى تلك الرصاصات في صدره، كنت انتظر رؤيته، في الصباح ستتم محاكمته، صبرْتُ لأيام الى ان القاه، تعجلتُ بساعات الليل كثيراً، اريد ان انفذ ما على عاتقي من انتقام لأنني على موعد مع (احمد).  
جلسْتُ برفقة (هشام) في قاعة المحكمة، نظرت الى قفص الاتهام وهو فارغ، كنت بانتظاره، اخبرني بأن الامر لا يتعلق بالحزب الليبرالي لأن القاتل ينتمي الى الحزب الحاكم سابقاً ومن المُتشددين.

بدأت محاكمته، كنت انظر الى وجهه طوال الوقت، كان قصير القامة وله ذقن طويل، يتراوح عمره بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، ادلى بأفادته بأنه غير مُذنب وان ما قام به يعتبر جهاد في سبيل الرب بحسب ما جاء بأقواله واقوال فقه دينه، وأن (المغدور) خرج عن طاعة الحاكم وتوجب قتله .

انتهت مُحاكمته بعد ان حكمت عليه المحكمة بالاعدام، كان قراراً غير منصف، كان من المفروض ان يتم الحكم عليه بالسجن المؤبد، لا بالاعدام، لا اعلم كيف يتم اعتبار عقوبة الموت اقسى من عقوبة العيش في غرفة مظلمة مدى الحياة، ارى بأن العذاب الذي سيجنيه المجرم بالسجن المؤبد اقسى من الاعدام، ألا يعلم من وضع هاتين العقوبتين بأن الموت راحة لا يستحقها المجرمين .

بعد ان خرج الجميع من قاعة المحكمة، سألت (هشام) عن موعد تنفيذ حكم الاعدام بحق هذا المجرم، اخبرني بأن الامر لن يطول كثيراً، سيتم تمييز قرار الحكم لدى المحكمة العليا لينال درجته القطعية ثم يتم تنفيذه، لن يتطلب الامر اكثر من شهر واحد ...

ثم استدرك (هشام) قائلاً: يمكنني الدخول الى السجن وفعل به ما يحلو لي، ولكنني مهما فعلت به فلن اربعة بقدر تلك الخطوات التي سيسير بها الى مشنقة الاعدام، سأتركه يتعذب ببطء.

سألته: وكيف ذلك؟

اجابني: الم يُخبرك (احمد) مَن ساعده في الدخول الى السجن واقتلاع اعين أولئك المُجرمين؟ لي سُلطة واسعة على ادارات السجون كافة، يمكنني قبض روحه متى ما شئت، ولكنني سأتركه يذوق الموت قبل ان يموت.

فكرت في لقاء (احمد) ...

هل سأأخر عليه طوال هذه الفترة؟

هل سأتركه يقضي الليل بمفرده؟

منحت هذا التفكير قليلاً من الوقت، تركت (هشام) لأخرج مسرعاً خارج المحكمة، قلت له في نهاية حديثنا "انا سأجعله يتذوق الموت دون ان يموت"

تتبع خطى امرأة مُسنة ومعها امرأة تضع النقاب على وجهها وطفلين، كانوا على مقربة من قفص الاتهام، سمعتهم يتحدثون مع المجرم، انصت لهم حتى تأكدت من ان هذه المرأة المُسنة هي امه وما تبقى زوجته واطفاله.

طلبتُ من سائق سيارة الاجرة اللحاق بهم، تتبعتهم الى ان استديت عن مكان سُكناهم، كانوا يقطنون في حي ناء في اطراف المدينة، كان لهم منزلاً صغير، وسط حي شعبي، سيكون لي موعداً معهم بعد ايام.

راقبت منزلهم لعدة ايام، اخترت الطريقة المناسبة لقتل هذا المجرم دون ان يموت ..

كان له طفلان، احدهما له سبعة اعوام واخر له اربع، يخرجون للعب في عَرَصَة البيت تارة، ويتعدون قليلاً عنها تارةً اخرى برفقة اطفال الحي، كانوا يخرجون ما بين الساعة التاسعة والعاشره صباحاً، ويستغرقون ما يُقارب ساعتين او ثلاث ليعودوا ادراجهم دون ان يفصلهم شيء عن اللعب.

ذهبت إليهم ذات صباح، جلبت معي كاميرا فوتوغرافية ووقفت على ناصية الشارع لأراقب خروجهم، خرجوا في وقتهم المحدد، ناديتهم لأخذ الحلوى، منحتهم قطعتين من الحلوى مَحشوةً كل منها بثلاثة غرامات من اقراص (فوسفيد الالمنيوم)، اجبرتهم على تناولها لأن طعمها غريب ولها رائحة تشبه رائحة البيض الفاسد.

كنتُ قد سرقت هذه المادة من مختبرات الجامعة، كنتُ مجبرةً فهي لا تُباع في الاسواق، سرقتها بعد ان قرأت عنها وعن مفعولها السحري في قتل الاطفال، كانت ثلاثة غرامات منها كفيلاً بأن تؤدي لتعطيل حركة الكريات الحمراء في الدم ، بحيث تتحوّل هذه الكريات لمادة تبدو شبه صلبة، تتخثر بسبب تفاعل كيميائي، وبالتالي تؤدي إلى عجز هذه الكريات عن تأدية وظيفتها بنقل الأوكسجين إلى كافة أنحاء الجسم، فتتجمد وتسبب التجلط، فتؤدي الى الوفاة.



تناولوا حلواهم ثم ذهبوا لاستئناف مرحهم الاخير، سيدفعون ثمن خطأ غيرهم، اباهم من كان السبب ولست انا، انا مجبراً على الانتقام، وإلا كيف سألقى (احمد) دون ان ابتسم.

تطلب الانتظار أكثر من ساعتين، راوحتُ بين الاختباء والذهاب والاياب كي لا الفت انتباه احد، بدأوا يشعرون بالغثيان، وهذه اولى علامات التسمم، تقربت منهم وهو يجثون على الارض، تقلبوا من شدة الالم، ثم ماتوا هادئين. تقربت منهم بخطوات لم تؤلمني احداها، كان الامر طبيعياً، كان يجب ان يكون ذلك من دون ادنى لوم، عليه ان يدفع الثمن مهما كان طفلاً.

وقفت امامهم، رأيتهم يلتقطون انفاسهم بصعوبة، كان المنظر مؤلماً ولكنني لم اشعر بشيء، بقيت انظر إليهم براحة ضمير، لم تأخذني الرأفة حين دسّت على يد احدهم وهو يحاول الاستنجاد بطرف ثوبي.

توقفوا عن التنفس، فارقوا الحياة قبل ان يكونوا على قيدها، بقيت اعين احدهم مفتوحة من شدة الالم، كان ينظر لي وهو في اخر ثوانٍ له على هذه الارض، الاخر كان قد انقلب على وجهه وترك التنفس، اصبحا جثتين هامدتين.

التقطتُ لهم صوراً رائعة، كانا جثتين شهيتين، كنت اود تقطيعهم الى اجزاء ولكن الوقت لا يسمح، بئُ اخاف من ان يخرج احداً من ذوبهم ويكتشف الامر، وانا على عجلة من امري، لدي موعد مع (احمد).

احدى الجثث كانت تنام على وجهها، قلبتها بقدمي، خرق عيني بصيص ضوء صور لي (احمد) وهو يمد يده ليشعل الشمع قبل ان يقدم لي خاتم زفافي.

كان وجهه الجثة مائلاً لا يتجه صوب كامرتي، خرق عيني بصيص ضوء اخر  
يصور لي (احمد) حين اطفأ القمر بكف يديه قبلي اول مرة.  
صفعت وجه الجثة بقدمي لينظر لي، التقطت الكثير من الصور، التقطت  
المزيد ولم اروي من الظماً.

انتهى الامر، هربت مُسرعة دون ان يُشاهدني احد، وان شاهديني احد المارة  
فأني ارتدي ما اعتاد عليه سُكان هذا الحي من حجاب وعباءة لا تثير الانتباه،  
رجعت الى البيت لأنجز الصور، لأجعلها جاهزة لأن تقتل اباهم بدم بارد،  
كانت تحتاج الى بعض الوقت لتنضم الى سهرتي الجميلة لهذا اليوم.

استغرق النظر إليها زجاجة كحول كاملة، كنت انظر إليهم واسمع بكأؤهم،  
كانت صورهم صامتة لكنني كنت اسمعهم جيداً، كان نحيبهم شديداً لكنني  
لم اكرث لأمرهم، سيعتادون على العالم الاخر شيئاً فشيئاً.

لانتقام لذة تمنحك النوم الهائى، ولكن سرعان ما يطلب منك ضميرك  
التراجع عن فعل ذلك، ما عليك سوى ان تتناول المُخدرات او الكحول،  
ستمحك القوة لفعل أي شيء، ستسعد كثيراً حين تنتقم، ستسعد لوقت  
محدد، ثم تعود لحياتك الطبيعية، ربما يأتيك الندم وربما لا يأتيك.

تشعر بشعور غريب حين تقتل، ترتجف يدك مرة او مرتين تلقائياً في اليوم،  
تنظر إليك كل رعشة منها لتأمل مشاعرك، هل انت خائف ام لا؟

إن كنت خائف فأنها ستجعلك ترى صور فتيلك كلما اغمضت عينك،  
ستمعلك تخاف من الظلام لئلا تراه حياً، ستمحك نبرة صوته وسط الزحام  
لتقول لك بأنه يلاحقك.

اما ان قبضت على يدك واستذكرت ألم الفراق، فأن الرعشة ستتوقف عن التفكير بك، عليك ان تكون غاضباً في وقت فراغك، عليك ان تَقْتُلَ ضميرك برصاصات النصر، عليك ان لا تنظر في المرآة طويلاً، عليك ان لا تظن بأن بعد فعلتك هذا ستتمكن من الابتسام، ستعود البراءة ادراجها، ستضعف لديك حاستا التذوق والشم بنسبة ملحوظة ثم تعود إليك تدريجياً. ذهبْتُ الى الكنيسة لأول مرة منذ ان تفكرتُ في ديني، منذ ان قررت ان افقه ديني قبل ان اورثه، وقفتُ على ابوابها افكر في الدخول.

ممن سأطلب الغفران؟

من الرب أم من مَنْ يتقمص شخصيته؟

كيف سأطلبهُ والرب ليس لهُ بيت؟

الرب اكبر من ان يكون بناءً شاهقاً وصلبان؟

نظرتُ الى يدي فرأيتُ اثار دماء الطفلين عليها، رجعتُ خطوتين الى الوراء ونظرتُ الى بناء الكنيسة، نظرتُ الى السماء لأخجل من الرياء الذي انا عليه، لما اطلب الغفران وانا لم اندم عمّا فعلت الى الان؟ لما اطلب الغفران وانا لن اندم على ما سأفعله هذه الليلة؟

ايقنتُ ان الرب في السماء وان مَنْ في الداخل قد اصبح من اسقفة الكنيسة لأن اباه كان كذلك، لن يضرني رضاه ولن ينفعني، رضاهُ لن يعني لي مغفرة الرب، مغفرة الرب لا تكون إلا لحبيس الندم ومُرتجي التوبة، مغفرة الرب ليست بالأدعية، ايقنتُ بأن مغفرة الرب اسمى من قُداسهم والترانيم.

لم يتبقى لي شيء، تأخرت، لدي موعدٌ مع (احمد)، ولكن عليه ان ينتظرني قليلاً، انا لم اجعل فُستاني الابيض جاهزاً الى الان، لم امنحه قياس جسدي، مرت سنواتٍ وقُبل على خياطته، لم اعدُه للقاءِ، يتوجب على ان اكون انيقة عند لُقياه، انا اعشقهُ.

اردتُ ان ارى (سارة) للمرة الاخيرة، كان عليّ ان اودعها دون ان تعلم، هي صديقة العمر، صديقتي منذ ان كانت ضفائري خاوية، قبل ان تقوّمها اصابع حبيبي، عليّ ان القي عليها كلمات الوداع، وان لم اتمكن فعليّ توديعها بالنظرات، سأشتاق لها الى حين ان تأتي الينا، هناك، انا و(احمد) ولا شيء سوانا غير السُكون.

اعطيت صور الطفلين الى (هشام) بظرفٍ مُحكم الاغلاق، اوصيتهُ بأن يُلقبها في زنزانة المُجرم دون علمه، وعدني بأنه سيفعل ذلك خلال الساعات القادمة دون ان يستمر بسؤالِ عن مُحتوى الظرف.

عند اول الليل التقيتُ (بسارة)، قبلتها الفأً وعانقتُها الفين، كانت تظن بأنني مُتعبة لأنني من دون مُهدئات، كانت تنظر لي وكأنني بنصف عقل، سامحُتها لأنها لا تعلم حجم الفرح الذي يغمرنى الان، لي موعدٌ مع (احمد).

اعطيْتُها حقيبة صغيرة، اوصيتها بأن تصلها الى (يعقوب)، كانت رؤيتهُ صعبة طيلة هذه الفترة، كنت اتفقدُه عبر الهاتف لكثرة سفره، زارني اكثر من مرة بعد وفاة (احمد) كانت نظراته تترقب تصرفاتي، كان يظن بأنني بحاجة الى الرقود في المشفى، ولكنني حاولتُ قدر الامكان بأن ابقى هادئة، وأن اصور لهُ بأنني مُتقبلةٌ للأمر، وانني لن افعل ما فعلتهُ في السابق، كان على عاتقي الكثير من

الالتزامات وليس لدي وقتٌ للأنيهار، اعطيْتُها اياها بعد ان وعدتني بأنها لن تفتحها قبل شروق شمس الغد.

لم يتبق لي من الوقت كثيراً، اليوم يوم زفافي، عليّ ان استعد للقاءه عند الشاطئ، علي ان اكون انيقة ليتغزل بي، ارتديت فُستاني الابيض بعد كل هذا العمر، لم اهتم لتجاعيد وجهي الجديدة، فكرت به كيف سيتغزل بي حين يراني، كم سيكون سعيداً بذلك، لا سيما وانه تغزل بي كثيراً قبل ان يراه، قال لي ذات مرة: "حين تأتين يوم زفافنا بالثوب الابيض، سأجثو على ركبتني واقبل يدك كما تُقبل ايدي الاميرات" قالها وسيفعلها، (رفيق الروح) لم يخلف وعدهُ ابداً.

كان القمر مُحافاً، كانت ليلةٌ مُعتمة، تَدَلَّت عناقيد الاحلام امامي كالقناديل لأقطف منها ما شاء، اضحي كل شيء مباح، لم يعد هنالك قيدٌ او شرط، الان سيمنحني القدر حريقي، لن اكون تحت امطار ظلمة وندى إِنْصافه، لن اخضع بعد الان لعدالتة العرجاء، لن التفت إليه وانا مُتجهٌ الى مقعدنا على الشاطئ. وقفتُ بعيداً، احمل بيدي اكليل ورد، وضعتُ احمر الشفاه الذي كان يشتهيهِ دائماً، وضعت ذات اللون الذي قال عنه وكأنه اغنية يتوقُ لسماعها، حين وضعتهُ نطقتُ بأسمه.

ثوب زفافٍ ارتدي مع خاتمه الذي اهداني اياه، صففتُ شعري كما كان يحب، لم اغير لونهُ ابداً، لم يوافق حين طلبت منه ذلك، قال لي حينها: "لا تعبثي بأشياي"

امرأةٌ وثنية انا الان، اتصل به بعلاقة العبادة، لم اعشقه فحسب، انا اعبده ..

حبيبي هل تسمعني؟

لم يَعد لي على الارض سواك

انا الان اطوف حولك

اتوق لقدسيتك

لا مناص للخروج عن طاعتك

لا رجاء إلا رضاك

خذ القربان الذي تشاء

خذ العمر

خذ الاحلام

خذ ما تشاء من شفاه تعضُ بعضها كلما تراك

خذني اليك ...

سرتُ بخطوات فَرِحَةٍ، ابتسمت لهُ، كان وجههُ بحجم السماء، مد يدهُ لي،

طلب مني ان اسير نحوه، كان انيقاً كعادته، عادت لهُ عينهُ المفقودة وكأنهُ لم

يفقدها، اراه انا جيداً، لم يكن سراياً، انهُ حقيقة حتى انني استنشقتُ عطرهُ.

بدأت اسير بخطوات اسرع، وصلت الى مقعدنا وما يحيطهُ من ذكرى، وقفْتُ

في ذات المكان الذي قَبَلني فيه، نظرت الى الاعلى فرأيت وجهه، سمعت

صوته.

هو يراني

يسمعني

انهُ قريب مني

كل شيء فيه جميلاً مع ثغره الباسم.

كان الموج هائجاً، وكأنه يود الافصح عن شيء، لا اود سماعه، لا اريد سماع شيء غير قصائده، ابيات شعره التي يقشعُر لها سطح البحر، اراه امامي يمدُّ لي يده ليصطحبني معه، انا آتية إليك، هذا يوم زفافنا، سنتجاوز اليوم حدود العشق، سنكون على قيد الهيام فيما الكُلُّ عُشاق، سنكون اجمل ما على الارض من بشر.

عصف الموج بأقدامي، كان يريد دفعي الى الخلف، لن يمنعي من رؤية حبيبي، لن اسمح له بأن يقف حاجزاً امامي، اليوم يوم زفافي.

هذه الليلة ستكفُّ كل الاحلام عن الحلم، بمن سأحلم و(رفيق روجي) اغني عني سريري واغطيبي والوسادة، بماذا سأحلم ويده من الان وسادتي.

تقدمتُ الى الامام لأتمكن من الامساك بيده، لا زال يمدُّ لي يده، عليّ ان اتقدم بعض الخطوات، غَمَرَ الماء حذائي الابيض، تبللت اطراف فُستاني الابيض، لم اشعر سوى بنشوةٍ اعادت لي الثاني من شهر نيسان، (ليلتي الاولى)، حين التقيته يوم ميلادنا، حين كتب لي اجمل كلمات، كلماته التي تُطرب ولا تُسمع، حين افصحنا عمّا في قلوبنا من حبٍ يُكتب ولا يُكتب.

تقدمتُ اكثر، تقدمتُ والموج يغمرني اكثر، بدأت ارى تلك الورقة التي كتبها لي على طاولة المطعم الذي جمعني به في (ليلتي الثانية)، حين تغزل بي بقلمٍ انيق مثله، عندما طلب مني ان تجمعنا علاقة لأنه يود رؤيتي كل يوم، قالها وهو لا يعلم عدد الساعات التي كُنت اقف فيها امام النافذة لأنتلع جماله الخلاب.

تقدمتُ أكثر، كاد الموج يصل منتصف ساقِي، توقفت كما توقفت عند بابه، حين التقيتهُ في منزله، توقفت كما توقفت عند الخروج من منزله، حين منعني المطر حينها من العودة الى البيت، عندما قضيتُ (ليلتي الثالثة)، حين لمسني للمرة الاولى واتكأ على كتفي، حين تحدثنا واجفأنا مغلقة، وقتما تبادلنا ارواحنا الحديث ونحن صامتَيْن.

ارتفع الموج البحر اكثر، صار صوت تقلبه عالياً، اراد مني التراجع ولكنه لن يتمكن من اصدار الضجيج الكافي ليمحي من مسامعي فصائد حبيبي، لن يتمكن من ايقافي، حبيبي هُناك بانتظاري، اراه امامي الان، اشعر بقبلتهُ الاولى كما شعرتُ بها في (ليلتي الرابعة)، حين فقدت روجي عذريتها على شفثيه. تقدمتُ أكثر، تقدمتُ لأنال ذات السعادة التي نلتها حين غفوت على صدره، عندما ماتت امي وزارني ليحل محلها، كانت لهُ سِمات الام عند العناق، تقدمتُ اكثر لكي تكون الليالي القادمة كهذه الليلة، اتوسد صدره وانا لا اعلم كم الساعة وفي أي يوم نحن وفي أي سنة، يتوقف الزمن بالقرب منه، دقائق قلبه كانت تعني لي دقائق الساعة، حركة احداق عينيه وهو ينظر لجسدي كانت عقارب ساعتِي، هذه (ليلتي الخامسة)، توقيتها بحسب نبض قلبه ومكانها بين اضلعه.

نظرتُ الى كف يدي، لا زال خاتم الزفاف بأصبعِي، رأيت تلك الليلة بأدق تفاصيلها، كيف اوقد الشمع، كيف طلبني للزواج، سمعت تصفيق الحاضرين من حولي جيداً ولكنني التفت ولم ارى احداً منهم، رأيت وسامتهُ في ذلك



اليوم، وجهه الجميل، ربطة عنقه، عطره، لمسةً يده وهو يمنحني هذا الخاتم، يَمْنَحُنِي ليلة تُضَاف الى تلك الليالي التي تساعدني الان على مسك يده، هي (ليلتي السادسة)، اذكُرُها وهو لا يزال يقف امامي ويده ممدودة لي، احتاج الى المزيد من الخطوات كي اصل إليه.

التفتتُ الى الشاطئ، رأيتُ مقعدنا قد اصبح بعيداً عني، تركتُ مقعدنا كما تركتهُ في تلك الليلة، عندما غادرت قلبه المُتيم بي، هكذا قالها لي حين ابتعدتُ عنه قبل السفر، اذكُرُه حين قال "أ تودين العُزلة وانا مُتيمٌ بك؟"، لا زالت نظراته تجول في خاطري وانا اخذله، ظلمتهُ كثيراً وقتها، ظلمتُ نفسي اكثر منه، لم يعلم وقتها ما قد حدث لي، كانت شهور قبيحة الايام، ولكنها ورغم كُل شيءٍ كانت جميلة الذكرى لأن هواؤها كان مخلوطاً بأنفاسه، هي (ليلتي السابعة).

لوى الموج يدي، فقدتُ باقة الورد التي احملها، اخذها مني ليرميها بعيداً، اعتلى الماء، صرتُ لا اتمكن من رفع يدي، كان الموج اعلى من حُصري ولا زالت يدهُ بعيدة، لم اتمكن الى الان من لمسها، يتطلب الامر مزيداً من الخُطى ومزيداً من الذكريات، وقفت مُجدداً لأحزن من دون بكاء، لأبكي من دون دمع، تذكرتُ (ليلتي الثامنة)، تذكرت دموع الندم التي سَكَبَتْها عيني على هذا الشاطئ، حين اتيت نادمةً على فراقه، حين ادمت مقلتي شهور الفراق، حين قبلت رأس اللوم كي انال رضاه.

بدأتُ احرك يدي داخل الماء كي لا افقد توازني، اسير على الذكريات لألقاه، انا لستُ كمثل بقية نساء الارض، انا لم اكن طفلة سعيدة، لم اكن صببية تعرف

التباهي، لم اكن امرأة لها حياة مثالية، اردتُ ان اكون امرأة من نسج الخيال، لم اكن كباقي النساء، لم اسمع الموسيقى ليلة زفافي، ها انا اسير في ليل زفافي على الذكريات، خسرتُ الكثير وانا في طريقي الى الحياة، لم انال تلك الحياة التي رسمتها في مخيلتي وانا اصنع ضفائر شعري، كان عليّ ان استسلم منذ الطفولة، منذ ان كنتُ اعمل في تنظيف الصحون، حينما كنتُ اخجل من كل شخص يُصافح يدي ويلاحظها بأنها تفوق عُمرِي خشونة.

خسرتُ كما خسر (احمد) عينه، اراد ان يُصلح ما افسدته الاحزاب، خسر عينه حين كشف رياء الاحزاب الدينية، وخسر حياته حين اكتشف سرقة الاحزاب الليبرالية، كان عليه ان يكتشف امرهم مبكراً، منذ انتمائه لهم وليس قبيل الثورة، كان عليه ان يكون حذراً كي لا نحزن، كي لا اراه كما رأيتُه بعين واحدة، تلك الليلة العصية على النسيان، حين التقيته في (ليلتي التاسعة) بعد طول انتظار، حينما فقدته قبل ان اخسره، كنت على امل ان القاه فالتقيته، ولكن لقاؤنا بما فيه من ألم، كان غير قابلاً للنقد.

صرتُ قريبة منه، لم يتبق لي إلا القليل واكون على قيد حياته، سئمتُ حياتي من بعده، اريد ان اعيش حياتي معه، في ذلك العالم الهادي الذي لا يتخلله سوى النور.

اعتلى الماء جسدي اكثر، غطى ما كنتُ أخبأه عنه، رأيتُ تلك الليلة التي خَشيتُ فيها من ان يرى ذلك الجرح الذي يتوسط صدري، ذلك الارث الذي تركه لي ابي ليمنحني البؤس، ذلك الجرح الذي يشبه جرح فراق له، بعد ان نهشتُ وفاءه بأنياب الخُذلان.

(ليلتي العاشرة)، فيها كان قريبي بالجُرح، حين استيقظتُ وانا بلا قيد، فتحت له قميصي ففتح لي باباً من ابواب جنته، بعد ان تَمَرَّقَت ازراره عِشْقاً، تمزقت شغفاً، لا بل شوقاً، حين شرقت الشمس وانا لا ازالُ على قيد الليل، تغاضبتُ عن شروق الشمس لروعة الليل الذي سبقه، حين قَبِلَ شَفَتِي لساعاتٍ أُخَذني فيها الى شواطئ البحر الكاريبي لأرى اروع منظرٍ لغروب الشمس.

لم تُعَد اقدامي تَلْمَس قاع البحر، اخذني الموج إليه، قُطِعَت انفاس احلامي، غمرني الموج كلياً، لم اخرج هامتي لأستغيث، لِمَن أستغيث من بعده، لن استغيث وانا اهوى لقاءه هذا، سيراني (رفيق الروح) وسياًخذ بيدي، يدي التي لوحث له منذ الليلة الاولى، لن يتزكني، سياًخذ بيدي، سيأتي إلي قبل ان اغرق، سيأتي إلي حاملاً بيده اليمنى باقة وردٍ كالتى سرفها الموج مني، كما اتى إلي في (ليلتي الحادية عشر) انيقاً ليطلب الزواج مني، سألقاه بعد قليل، لن يتطلب امر لقاءه أكثر، ها هي الروح تنفصلُ عن الجسد.



يا لائماً لآمني في حُبهم سَفهاً  
كُفّ الملام فلو احببت لم تُلِم  
ابن الفارض

## الفصل السابع

أَمَّا قَبْلُ ...

لا شيء اجمل مما كان قَبْلُ، حيثُ الوفاء والاخلاص، حيثُ المشاعر الصادقة والامنيات الخالصة، حيثُ ما كانت تروم له عَيْنِهَا وهي تَنْظُرُ إِلَيْهِ، حيثُ قَلْبُهَا أَحَادِيَّ الحُبِّ، حيثُ مساماتُ يديها النقية من الخيانة، حيثُ روحها التي لم تقبل القسمة على غير (رفيق روحها).

قَبْلُ .. حين كان كُلُّ شيءٍ جميل، منذُ ان كانت تراه خِلْسَةً من خلف نوافذها في كُلِّ صباح لتقول له "جَمَالُكَ مُزْمِن، وكل جمالٌ بَعْدَكَ لا يلفتُ النظر"،

منذ ان كانت تتمنى لُقياها، حتى دَفَعَت عُمُرها رِشوةً لتلقاه، كُل ذلك كان قَبْل، قَبْل ان ترحل (قمر).

دخلت (سارة) الى منزل (قمر) بعد ظهيرة اليوم التالي، لم تجدها، طرقت الباب فوجدته مفتوحاً، نادت بأسمها ولم يُجيبها احد.

دخلت الى البيت، بحثت عن (قمر) ولم تجدها، كان المنزل خالياً، لم تجد غير صدى صوتها وهي تنادي بأسمها، جلست خائفةً تُخمن ما قد حدث لها، جلست وهي تحمل بيدها الحقيبة الصغيرة التي اعطتها اياها (قمر) ليلة الامس واوصتها بأن لا تفتحها إلا في اليوم التالي.

لم تفتحها (سارة)، كانت خائفةً من ان تجد فيها خيراً سيئاً عنها، كانت تتصل بها طوال ليلة الامس وفجر اليوم ولم تُجيب على اتصالها، جاءت في وقتٍ متأخرٍ من ليلة الامس ولم تجد احد في المنزل، كانت تنتظر شروق الشمس لتستعلم عنها، كانت تُفكر في ان تسأل عنها كُل شيء عدا ما يوجد في الحقيبة، كانت خائفةً منها جداً، كانت تعلم ان في داخلها ما يُشير الى الوداع.

سَمِعَت صوت مُحرك سيارة في الخارج، حَرَجَت فشاهدت سيارة (قمر) عند الباب، ظنت بأنها هي، ولكن كان (يعقوب) يقودها.

دخل الى المنزل، القى التحية على (سارة) وجلس امامها ....

سألها: اين (قمر)؟

اجابتهُ باكيةً: لا اعلم، هل حدث لها شيئاً؟

لم يجيب على سؤالها، اخرج عُلبة سجائره واشعل سيجارة، جلس هادئاً ينظر الى الارض، ويتأمل ما حدث.

ترجتهُ (سارة) بأن يخبرها عمّا حدث، اخبرها بأنه لا يعلم شيئاً، يبحث عنها هو ايضاً.

كان قد اتصل شخصاً (بيعقوب) يسأله عن معرفتهُ بأوصاف سيارةٍ تُشابه سيارة (قمر)، أستفسر منه عن ارقام لوحاتها ولونها فتأكد (يعقوب) من أنها سيارة (قمر)، كانت قد تركت رقم هاتفه على الزجاج الامامي للسيارة، اتصل هذا الشخص ليسأل عن اسباب ترك السيارة عند الشاطيء، ظن (يعقوب) بأن (قمر) أصيبت بوعكة صحية مفاجئة ونُقلت الى المشفى فأضطرت على ترك سيارتها.

سأل عنها كل مستشفيات المدينة ومراكزها الامنية، لم يجد لها اثر، عاد بالسيارة الى منزلها، عاد وهو يمهل نفسه اكبر وقتٍ لأيجاد افكارٍ تقنعه بأنها لم تذهب باتجاه الشاطيء.

لم يتكلم عمّا يجول في خاطره من ظن، سألته (سارة) عن اسباب حيازتهُ للسيارة فأخبرها بأن (قمر) قد تركتها بحوزته ليلة امس، وأنه لا يعلم شيء عنها، لم يخبرها بأنه وجدها عند الشاطيء.

غلب الصمت على الموقف، لم تتكلم سوى ظنونهم ...

ما الذي حل (لقمر)؟

لما تركت سيارتها في ذلك المكان؟

اين هي الان؟

اطفاً (يعقوب) سيجارتهُ وصعد الى الطابق العلوي في منزلها، فتح كل ادراج مكتبها ليرى بين اوراقها عن شيء يساعده في الظن بأنها سافرت، سمع



شخصاً يطرق الباب، وجد ما كان يبحث عنه ثم نزل الى الطابق السفلي فوجد (هشام) يسأل عن (قمر) هو الاخر.

سأل عنها ولم يجبه احد، اخبره الجميع بأنهم لا يعلمون عنها شيء، التزموا الهدوء جميعهم مُجدداً، بدأ القلق شيئاً فشيئاً يغلب على افكارهم، مضى وقت كثير ولم تأتي (قمر).

جلس (هشام) يُفكر في مصيرها هو ايضاً، جاء ليخبرها بأن المُجرم الذي قتل (احمد) انتحر صباح اليوم بعد ان جمع اغطية سريره ليشنق نفسه فيها عبر قُضبان نافذة دورة المياه في السجن، شنق نفسه بعد ان رمى (هشام) الصور في زنزانته ليلة الامس.

عَلِمَ (هشام) من مدير السجن بأن المُجرم انتحر بعد ان شَنِقَ نفسه عند الفجر، عَلِمَ ايضاً بأن الصور هي التي كانت السبب، حين ذهب ليرى جثته أعطى مدير السجن له الصور واخبره بأنها كانت بيده حين شنق نفسه، كان يحملها وهو يلتقط انفاسه الاخيرة، ظل (هشام) يتمعن الصور، اندهش مما كانت تحتويه من منظرٍ بشع، ظل يسأل نفسه عن ما جرى.

اخبره مدير السجن بأن هناك جريمة قتل في هذه الصور، فهي صور طفليه اللذان قُتِلَا بالأمس، اخبره ايضاً بأن المُجرم قضى ليل الامس وهو يصرخ بأسمهما ويقول "قتلوا اطفالي".

اخبره كيف انهم اضطروا لنقله الى زنزانه معزولة كي لا يسمعوا نحيبه، بقي طول الليل يصرخ ويُردد اسماء اطفاله، ظل على هذا الحال الى ان حل

الصباح وسُمِحَ له بالذهاب الى دورة المياه، حينها خبأ اغطية سريره حول خصره ليشنق نفسه فيها.

احتفظ (هشام) بالصور، وطلب من مدير السجن بأن لا يخبر احداً بصدد الموضوع، كان (هشام) ذا سلطة على ادارات السجون كافة بسبب علاقته الوطيدة بالوزير المسؤول عنها لما بعد الثورة، تمكن من التكتم على الامر، ولكنه الان جالساً يفكر في اخر حوار له مع (قمر)، حين اخبرها بأنه يتمكن من قتله ولكنه يُريد له ان يتذوق الموت ببطء، حين اخبرها بأنه ينتظر ذلك اليوم الذي يراه فيها يسير خائفاً الى حبل المشنقة، ظلت مسامعه تُردد اخر ما قالتُه (قمر)، صدقها حين وعدته بأنها ستجعله يتذوق الموت دون ان يموت.

لم يخبرهم (هشام) عما حدث، احتفظ بالصور واخبرهم عن عذر كاذب لمجيئه.

اوشكت الشمس على الغروب وكل واحدٍ منهم يحتفظ بسرٍ عن (قمر)، لم يفصح احدهم عن شيء، اكتفوا بتقديم السجائر لبعض.

بعد صمتٍ طويل وقف (هشام) وقال (ليعقوب): لما لا نبحث عنها في المستشفيات ومراكز الامن؟

اجابه (يعقوب): بحثتُ عنها في كل الاماكن قبل ان اتى الى هنا.

كانت اجابة (يعقوب) يغلبها البرود، وقتها كان قد صدق الحقيقة، فكر ملياً قبل ان يُصدق بأنها رحلت.

قال (هشام): سأذهب انا الان، سأتصل بقيادات الامن في المدينة لأعطي اسمها واوصافها لعلهم يعثرون عليها.

خرج (هشام) وبقي (يعقوب) و(سارة) صامتين، وبعد عدة دقائق ....

استدركت (سارة) قائلةً بدمعٍ منهمر: يجب عليّ اخبارك بشيء.

تفاجئ (يعقوب) بالأمر ...

قال لها: هل تعلمين شيء عن (قمر)؟

قالت: تركت لي (قمر) هذه الحقيبة، لم افتحها، لا اعلم ما بها، انا خائفةٌ من

انها ..... انها....

لم تكمل حديثها، كانت خائفة، استمرت بالبكاء، ارادت اعطاء الحقيبة

(ليعقوب).

اكملت كلامها قائلةً: اتمنى انها تركت رسالة لتعلمنا بمكانها، اتمنى انها سافرت

فحسب.

قام (يعقوب) واخذ الحقيبة ...

قال: كلا لم تسافر، بحثت في مكتبها ووجدتُ جواز سفرها وجميع اوراقها

الرسمية.

فتح (يعقوب) الحقيبة، كانت تحتوي على مجموعة اوراق، اطلع عليهن

سريعاً وبقي يقرأ احدهن، كانت رسالة وداع تتضمن عدة وصايا، لم تقل الى

اين ذهبت، ولكنها لمحت للموت بين كلماتها.

بقيت (سارة) خائفةً تنظرُ الى عينيه، سألتهُ عن مُحتوى الرسالة ولم يجيبها،

أعطاها اياه فعرفت ما حصل، قرأتها وهي تعلم جيداً مقدار وفائها لحبيبها.

انتهى الامر، وعلى الجميع تَقَبُّل ما صاغهُ القدر، اصبحت (قمر) مُجرد ذكرى، ذكرى من دون اثر، رحلت دون ان تترك لها قبراً، رحلت والقدر اراد مع رحيلها ان يمحي كل اثرٍ كان لها على هذه الارض، محى بكلِّ لَوْمٍ اخر خطواتٍ لها على رمل شاطئ، كانت تسير باتجاه الموت والقدر يدفع موج الشاطئ ليمحي اثار اقدمها، كي لا يجدها احد، كي لا يعترف بِقُدسية هذه الاثار الوفية، سيظل وفائها رَغْماً عن انفه، ستحيا (قمر) في قلب كُلِّ عاشق، ستحيا في فِكر كل وفي، ستحيا من اجل ان تتعلم منها كُلُّ نساء الارض معنى الوفاء، ستبقى مناراً لكل امرأةٍ لم تستدل طريقها الى الاخلاص.

كانت (قمر) قد باعت منزلها وسيارتها وجميع مُقتنياتها ووضعت كل اموالها في حساب مصرفي باسم (يعقوب)، تركت له وصيةً تطلب فيها منه بأن يُسلم ممتلكاتها الى احدى شركات التجارة في المدينة بعد ان انجزت كافة الاوراق اللازمة لعملية البيع، كما اوصت ايضاً بأن توزع اموالها بالتساوي على خمسة نساء.

كانت (قمر) ولمدى سنوات، تتبرع بجزء من دخلها الى ورشة صغيرة للخياطة في احدى القرى، كانت تذهب إليهن كل منتصف شهر لتوزع هذه الاموال بصورة سرية، بعد ان اتفقت مع مديرة الورشة بأن تخبرهم حين يسألون عن مصدرها بأنها مُساعداتٌ من احدى المنظمات الخيرية، كانت تأتي عند الصباح الباكر لتضع على كل ماكينة خياطة مبلغ من المال يساعدهن على العيش بالاضافة الى دخلهن الشهري من عملهن.

اوصت (قمر) بأن تُوزع تَرَكتها عليهن بالتساوي، شريطة ان تفتح كل منهن ورشة خياطة خاصة بها، ليكون لكل منهن ورشتها الخاصة ودخلها الخاص. نفذ (يعقوب) ما جاء بوصيتها، لا شيء كان يصف دموعهن حين علمن بحقيقة المبالغ التي كانت تأتي لهن، حين حدثهن (يعقوب) عن (قمر) وعن روعتها وحسنها، اعطى لكل منهن صورة لها بعد ان ظلمن ذلك، سألن عن مصيرها، اخبرهن (يعقوب) بأنها سافرت لتتزوج خارج البلاد.

لم يتبقى له سوى انتظار اليوم الذي ستفتتح فيه هؤلاء النسوة ورشهن، كانوا قد وعدوه بأن الافتتاح سيكون مطلع الشهر القادم.

في صباح يوم مُشرق، كان (يعقوب) على موعدٍ لزيارة ورشهن الجدد، كان يوم الافتتاح، زارهن ورأى الفرح يغمر ثغرن، لكل واحدة منهن الان ورشتها الخاصة، تركن العمل في القرى النائية، اصبح عملهن في العاصمة وتضاعف دخلهن الشهري عشرات الاضعاف.

علقن صور (قمر) في كل ورشة، تمجيداً لها، وقف (يعقوب) لدقائق يتمعن احدى صورها في احدى الورش، انهمرت دموعه حين قالت له احداهن بأنهن ينتظرن رجوعها الى الوطن، لعلها تدخل احدى الورش صدفة ويتعرفن عليها.

في ذات اليوم، شهدت العاصمة افتتاح تمثالاً (لأحمد)، اراد الحزب الليبرالي تمجيد ذكره، اراد تحنيط تضحيتيه في متاحفه السياسية، وضعوا له نُصباً في احدى اهم المناطق في المُدن، بعد ان رفض اتباع جبهته التي شكلها قبيل الانتخابات من وضع تمثاله في مدخل بناية الحزب، اولئك الذين كانوا

يدعموه منذُ مقالاته الاولى، منعوهم من وضعه امام مقر الحزب لأنه كان  
يُمثل شعباً بأكمله وليس حِزباً.

في ذلك اليوم .. عاد (يعقوب) فخوراً من الورش الخمس التي تم افتتاحها  
بحسب وصية (قمر)، ذهب مُسرعاً قبل غروب الشمس ليقف امام تمثال  
(احمد)، وقفَ فأبتسم فخراً نيابةً عن (قمر)، كان تمثالهُ بكلتا عينيه  
الجميلتين.

## الخاتمة

لو شاء الله أن ينسى أنني دُمية، وأن يهبني شيئاً من حياة أخرى، فإنني سوف أستثمرها بكل قواي، ربما لن أقول كل ما أفكر فيه، لكنني حتماً سأفكر في كل ما سأقوله، سأمنح الأشياء قيمتها، لا لما تمثّله، بل لما تعنيه. سأنام قليلاً، وأحلم كثيراً، مدرّكاً أنّ كل لحظة تُغلق فيها أعيننا تعني خسارة ستين ثانية من النور، سوف أسير فيما يتوقف الآخرون، وسأصحو فيما الكل نيام.

لو شاء ربي أن يهبني حياةً أخرى، فسأرتدي ملابس بسيطة وأستلقي على الأرض، ليس فقط عاريّ الجسد وإنما عاريّ الروح أيضاً، سأبرهن للناس كم يخطئون عندما يعتقدون أنهم لن يكونوا عشاقاً متى شاخوا، دون أن يدركوا أنهم يشيخون إذا توقفوا عن العشق.

للطفل سوف أعطي أجنحة، لكنني سأدعه يتعلّم التحليق وحده، وللكهول سأعلمهم أن الموت لا يأتي مع الشيخوخة بل بفعل النسيان.

لقد تعلمتُ منكم الكثير أيها البشر، تعلمت أن الجميع يريد العيش في قمة الجبل غير مدرّكين أنّ سر السعادة تكمن في تسلقه، تعلمت أن المولود الجديد حين يشدّ على إصبع أبيه للمرة الأولى فذلك يعني أنه أمسك بها إلى الأبد، تعلمت أن الإنسان يحق له أن ينظر من فوق إلى الآخر فقط حين يجب أن يساعده على الوقوف، تعلمت منكم أشياء كثيرة، لكن، قلة منها ستفيدني،

لأنها عندما ستوضَّب فيه حقيبي أكون قد ودعتُ الحياة، قل دائماً ما تشعر به، وافعل ما تفكّر فيه.

لو كنت أعرف أنها المرة الأخيرة التي أراك فيها نائمة لضممتكِ بشدة بين ذراعيّ ولتضرعتُ إلى الله أن يجعلني حارساً لروحك، لو كنت أعرف أنها الدقائق الأخيرة التي أراك فيها، لقلتُ "أحبكِ" ولتجاهلتُ بخجلٍ أنكِ تعرفين ذلك.

هناك يوماً يوم غد، والحياة تمنحنا الفرصة لنفعل الأفضل، لكن لو أنني مخطئٌ وهذا هو يومي الأخير، لأحببتُ أن أقول كم أحبكِ، وأني لن أنساكِ ابداً، ذلك لأنّ الغد ليس مضموناً لا للشباب ولا للمسن.

ربما تكون في هذا اليوم المرة الأخيرة التي ترى فيها أولئك الذين تحبهم، فلا تنتظر أكثر، تصرف اليوم لأن الغد قد لا يأتي ولا بدّ أن تندم على اليوم الذي لم تجد فيه الوقت من أجل ابتسامة، أو عناق، أو قبلة، أو أنك كنت مشغولاً كي ترسل لهم أمنية أخيرة.

حافظ بقربك على مَنْ تحب، اهمس في أذنهـم أنك بحاجة إليهم، أحببهم واعتنِ بهم وخذ ما يكفي من الوقت لتقول لهم عبارات مثل (أفهمك، سامحني، من فضلك، شكراً) وكل كلمات الحب التي تعرفها.

لن يتذكرك أحد من أجل ما تضر من أفكار، فأطلب من الربّ القوة والحكمة للتعبير عنها، وبرهن لأصدقائك ولأحبائك كم هم مهمّون لديك.

غابريـل غارسيا ماركيس



قمر واحد عشر ليلة  
The moon and eleven nights



عبد الرحمن عصام الصباح تولد بمغارة ١٩٨٦ حاصل  
على شهادة البكالوريوس في القانون وعلى شهادته  
الطبيعية في الهندسة المعمارية حاليا يرسله ليل  
شهادة الماجستير في الشؤون العام نشرت له  
العديد من المقالات السياسية والاجتماعية

[www.facebook.com/Hayder\\_Isam](http://www.facebook.com/Hayder_Isam)  
[www.twitter.com/Hayder\\_Isam](http://www.twitter.com/Hayder_Isam)  
[www.instagram.com/Hayder\\_Isam](http://www.instagram.com/Hayder_Isam)  
[Hayder\\_Isam@hotmail.com](mailto:Hayder_Isam@hotmail.com)